4251

للاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر هاتف ٦٣١٠٤٠٤
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩، ١٠ س ٢٣ الربيعان ١٤٠٩هـ ـ تشرين ثاني/كانون أول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٨م

اشتقاق أسماء المواضع والمدن العربية عند متقدمي العلماء

كانت (سياحةً) ممتعةً ذِهْناً وثقافةً ، في كتاب حافل بالمفيد الطَّريف من جوانب المعرفة العامة، فلقد حرص ياقوت بن عبدالله الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ (١٢٢٨م) أن يودع كتابه «معجم البلدان» خلاصة ماطلع عليه في مؤلفات من سبقه من العلماء، مما يتعلق بالبلدان والجبال والأودية والقرى والمحال والبحار والأنهار والأصنام وغيرها، فجمع من تلك المؤلفات ماكان مشتتاً ، وأضاف إليها ماكان مهملاً ، حتى أصبح هذا الكتاب (أَوْحَدَ في بابه) ـ كما وصفه مؤلفه[1].

وحلَّتِ (الدورة الرابعة والخمسون) من دورات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية، فكانت مناسبةً طيبةً أتاحتْ لي معاودة تتبع عدد من أسماء المواضع التي ورد ذكرها فيما سيعرض في تلك الدورة من مواد «المعجم الكبير»، وهومعجم شرع المجمع بتأليفه منذ أكثر من نصف قرن، وأصدر منه مجلدَيْنِ ضخمين، بلغ فيهما إلى حرف الحاء، وهيَّأ للعرض في جلسة يوم الأحد السابع عشر من شهر رجب ١٤٠٨هـ (٦ آذار سنة ١٩٨٨م) من مواد ذالك الحرف من (ح.د.ب) إلى آخر مادة (ح.ذ.ن) في نحو عشرين ومئة صفحة، ومن بينها اعلام من أسماء القبائل والأشخاص والمواضع مِمَّا جُلُّهُ ـ إن لم يكم كله ـ ذُو ارتباطٍ وثيق بهذه البلاد الكريمة التي منها انبثق نور الهداية ، فأضاء أقطار العالم ، حتى انتشر فيها العلم والعدل والهدى.

كان من بين أسماء المواضع التي وردتْ في تلك المواد: (حَدَد) الاسم القديم للجبل المُطِلِّ على بلدةِ تَيْمَاء من الجنوب الغربي، المعروف الآن باسم (غُنَيْم) وكان

مما قرأتُ عنه في أحد المؤلفات أنه مذكور في «التوراة» مقروناً بتيماء، باعتبارهما من أبناء إسماعيل[٢] فحفزني هذا لمحاولة معرفة الطريقة التي سار عليها العلماء في تعليل أسماء المواضع القديمة التي سبقتْ تدوينَ اللغة العربية ــ في القرن الثالث الهجري فما بعده ــ وهي التي يُعَبَّرُ عنها بأنها جامدة ، أو مرتجلة ــ أي غير مشتقة، ولاشك أن «معجم البلدان» من أحفل المؤلفات وأشملها في هذا الباب ، وقد جعل مؤلفه هذا الأمْرَ نُصْبَ عَيْنيهِ منذ أن شرع في تأليف كتابه، فنص في مقدمته أنه ذكر اشتقاق الاسم إن كان عربياً، ومعناه ــ إن أحاط به ــ إن كان أعجمياً ــ فكان أنْ أمضيتُها سويعاتٍ مفرقةً، في تصفح الصفحات الكثيرة في أجزائه الأربعة، حتى انتهتْ بي سياحتي إلى قناعةٍ بأنَّ هذا الجانب من جوانب الدراسات الجغرافية المتعلق بتعليل أسماء المواضع القديمة لا يصحُّ الوقوف فيه عند ماخلفه لنا سلفنا الصالح من متقدمي العلماء، بل لا يزال في حاجة إلى دراساتٍ أكثر عُمْقاً، وأوسع أفقاً، فمجالات المعرفة قد اتسعت، وآفاق العلوم أصبحت غير محدودة بزمان أو مكان، فهي تزداد وتتجدد في كل لحظة. وأولئك العلماء ــ أسبغ الله على أَجَدائهم شآبيبَ العفو والرضوان ــ قد قَدَّمُوا لنا مااستطاعوا تقديمه، من ضروب المعرفة التي أدركوها، فاستحقوا من الله عظيم الأجر، ومنا الاعتراف بفضل السبق مع إزجاء وافر الشكر.

ولقد اتضح لي أن مؤلف «المعجم» ــ مع كثرة مصادره وتنوعها، مما سرد أسماء أكثرها في مقدمته، وذكر غيرها عند الرجوع إليه ــ قد بلغتْ به الثقة بابن الكلبي درجةً حملته على اعتماد آرائه أساساً في تعليل إطلاق الأسماء القديمة على مواضعها المعروفة، مع علمه بمنزلته عند علماء الحديث وغيرهم من مشاهير علماء عصره، ويبدو هذا جَلِياً في الدفاع عنه ــ ماوجد إلى ذالك سبيلاً ــ كقوله بعد إيراد كلام له[٣]: ولله دَرُّهُ ماتنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا وكان قولُه أقوى حجةً ، وهو مع ذالك مظلوم، وبالقوارص مكلوم. وقوله[٣]: قال ابن الكلبي: إنما سُمِّي دَيْرُ الجماجم لأن بني تميم وذُبْيَانَ لما وَاقَعتْ بني عامر، وانتصرت بنو عامر، وكثر القتلى في بني تميم، بنوا بجماجمهم هذا الدَّيْر، شكراً على ظفرهم ــ وهذا عندي بعيد من الصواب ــ وهو مَقُولٌ على ابن الكلبي، وليس يصح عنه،

فإنه كان أهدى إلى الصواب من غيره في هذا الباب ، لأن وقعة بني عامر وبني تميم وذُبْيَانَ كانتْ بِشِعْبِ جَبَلَةَ، وهو بأرض نَجْدٍ وليس بالكوفة . انتهى .

وياقوت أجلُّ من أن يجهل أن ابن الكلبي كغيره من العلماء ليس معصوماً من الخطإ ، وقد نقل عنه من ذالك أشياء كثيرة ، كَعَدِّهِ رُهَاطَ ــ الوادي القريب من مكة ــ في بطن ينبع ، وزعمه أنَّ ٱلْحِمَى مضافٌ إلى جُرَشَ الذي في الشام ، لاجَرَش[٤]، وغير ذالك مما ليس هذا موضع بسطه ، ومع هذا فلاشك أن هشام ابن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤/٠٠٠) من أوسع متقدمي العلماء معرفةً في كل مايتعلق بأحوال العرب قبل الإسلام، وله في ذالك مؤلفات تُعَدُّ أَهَمَّ ماأُلِّفَ في موضوعها، ولولاها لفقد الباحثون أسساً لدراسات كثيرة من تلك الأحوال ككتاب «الأصنام» وكتاب «الخيل» وغيرهما مما يقارب مئة وخمسين مؤلفاً، وهو ــ بدون شك ــ إمام علم النسب بلا منازع، وعلى مؤلفاته المعوَّلُ في هذا العلم، ومن أهمها كتابا « جمهرة النسب » و « افتراق العرب »[٥] .

أما مايتعلق بالبلدان فقد اطلع ياقوت على كتابين له عنها هما : «اشتقاق البلدان» عَدَّهُ من مصادره في مقدمة كتابه ــ و«أنساب البلدان» نقل كثيراً عن نسخة منه بخط أحد مشاهير العلماء[٦]، وإن لم يصرح بمواضع النقل، وهو فيما نقل من الكتابين لايُمَيِّزُ بينهما إلا قليلاً .

ومعلومات ابن الكلبي مستمدة من روافد متعددة ، مايتعلق بأنساب العرب يظهر أنه اعتمد على مؤلفات أبيه محمد بن السائب المتوفي سنة ١٤٦ ، مع ماأضاف إليها مما وجد مُسَجَّلاً ، أو تلقَّاه بالسماع عمن عاصرهم ، ومايتعلق بالبلدان يعول كثيراً على الشرقي بن ٱلْقُطَامِيِّ (الوليد بن الحصين، المتوفي في منتصف القرن الثاني) وهذا الرجل كانت له حظوة لدى الخليفة المنصور، بحيث كان يبعثه إلى بعض الملوك[٧]، وقد أسند إليه تعليم ابنه المهدي الأدب، وهو من قبيلة كلب .

وقد أكثر ابن الكلبي النقل عن الشرقيِّ مُصَرِّحاً باسمه[٨]، كما نقل عن أبيه محمد بن السائب نَصاً يظهر أنه من «التوراة» قائلاً: أخبرني أبي قال[٩]: رومي وصقلب وأرميني وافرنجي إخوة، وهم بنو لنطي . . . بن يونان بن يافث، سكن

كل واحد منهم بقعة من الأرض فسميت به. من هذا النص وأمثاله مما ورد في «التوراة» كما في الكلام على أبناء اسماعيل بعد ذكرهم قال: (هذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم) ــ وَجَدَ ابنُ الكلبي المجالَ أمامه واسعاً لنسبة كثير من أسماء المواضع إلى شخص ورد له ذكر في الأخبار القديمة المدونة ــ كالتوراة وغيرها ــ أو المتداولة بين الأخباريين عن الأمم التي لاتاريخ لها.

وابن الكلبي على درجة من الذكاء، ومن سعة الاطلاع، مكَّنَاهُ أن يضع ــ غالباً ــ كل اسم فيما يناسب له من المواضع، وأن يحاول ربطَ تلك الأسماء ربطاً يتفق مع تقاربها في مواضعها، ووفق ورودها في النصوص أو الأخبار التي اعتمد عليها.

ويظهر من النصوص التي نقلها ياقوت عن كتابيه في البلدان أنه يسير في تأويل أسمائها في اتجاهات خمسة: ــ

١ ــ اعتماده على نصوص قديمة ــ كالتوراة ــ وهو حينما يسلك هذا الاتجاه يسير سيراً متماسكاً، وإنْ لم يكن مستقيماً دائماً، ويتضح هذا في نظرته إلى أسماء المواضع الأعجمية الواقعة في شرق المعمور من العالم، فهو يراها منقولة عن أسماء أشخاص يرجعون إلى أصل واحد، ممن عاش في تلك المواضع، بل قد يحاول الربط بين اسمي موضعين متباعدين، زاعماً أنهما سُمِّيَا بشخصين أَخَوَيْنِ، وأكتفي بسرد أسماء أورد ياقوت كلامه عنها في «المعجم» وترتيبه يغني عن الإحالة إلى مواضعها: أرَّان ــ في أرمينية ــ وأصبهان، وجرزان، وجيلان، والرِّيّ، والسُّوس في خوزستان ــ والصين، وفارس، وكرمان، وموقان، وهمذان ــ هاؤلاء كلهم يجمعهم نسب واحد، ويرجعون إلى أصل واحد هو يافث بن نوح، ومعروف ماورد في «التوراة» عن انحصار سكان العالم بأبناء نوح الثلاثة: سَامٍ وحامٍ ويافثٍ.

وهناك أسماء مواضع واقعة في أطراف الجزيرة ونواحي العراق والشام، ومنها ماله ذكر في «التوراة» أو في شروحها، مثل آمد وأيلة والبلقاء، ودَومة الجندل، وعَدَن، وعُمَان ــ بضم العين وتخفيف الميم ــ وهِيْت، وتلك البلاد انتشر فيها

أبناء إبراهيم الخليل، وإذن فتلك أسماء أشخاص منهم، سميت بها تلك المواضع، ودمشق سميت بدمشق بن قالي المتصل النسب بسام بن نوح الجد الأعلى لإبراهيم، وهذا لا ينفي وجود من لا ينتمي إلى إبراهيم قد عاش في هذه البلاد، كصيدون وهو من أبناء كنعان بن حام، وبه سميت صيداء، أما غزة التي سميت بها المدينة المعروفة فهي امرأة صور، الذي بنى مدينة صور، ولكن الذي لم يتضح ملمح ابن الكلبي فيه هو قوله عن (فلسطين): سميت بفليشين.. من بني يافث بن نوح، ثم عُرِّبَتْ، فلماذا نسب هذا الموضع إلى أحد بني يافث.

هذا وأمثاله ــ مما لا يتسع المجال لذكره ــ مما تأثر به ابن الكلبي بما عَرَفَ أو نقل له عن «التوراة».

٢ ــ أما ماله صلة بأخبار القصَّاصين من أسماء المواضع مما يتعلق بتاريخ الأمم التي عاشت في الجزيرة ثم بادَتْ كالآراميين (بني إرم) والعمالقة وغيرهم ممن لم تُدَوَّنْ سِيَرُهُمْ وأخبارُهُمْ فلابن الكلبي ــ فيما يرويه عن أبيه أو غيره من شيوخ ــ طريقة تدلُّ على خصب قريحة، لا تقف عند حَدِّ نسبة الاسم إلى شخص ينتمي إلى إحدى تلك الأمم، بل تحاول إيجاد تقاربٍ بين الأشخاص يتفق مع تقارب المواضع المسميات، كما في هذا الخبر الطريف الذي أورده صاحب كتاب «المناسك»[١٠]: هشام بن محمد عن أبيه قال: سُمِّيَ جَبَلاَ طَيِّءٍ أن سَلْمَى بنت حام بن حي، من بني عمليق عَلِقَها أجـأُ بنُ عبدالحي من بني عمليق، وكان الرسول بينهما حاضنةً لها تدعى العوجاء، فهرب بها وبحاضنتها إلى موضع جبلي طَيِّءٍ، وبالجبلين قوم من عاد، وكان لسلمى إخوةٌ هم ٱلغَميم وٱلمُضِلُّ وفَدَكُ وفائد، والحَدَثانُ، فخرجوا في طلبهم، فأخذُوا سلمى فوضعوها على الجبل، وكُتِّفَ أَجَـأُ على الجبل الآخر، وقُطِعَتْ يدَا العوجاءِ ورجلاها فوضعت على جبل آخر، ثم قال الإخوة: والله لا نرجع إلى قومنا أبداً، فمضى الغَميم إلى ناحية الحجاز، وأقبل ٱلمُضِلُّ إلى موضع القاع، واستنبط به بئراً وأقام حتى مات، ولحق فَدَكُ بموضع فدك فسمي به، ولحق فائد بالجبل الذي سمي فائد بطريق مكة[١١]، ولحق الحدَثَانُ بحَرَّةِ الحدثانِ فسميت هذه المواضع بهم، وهي منازل طَيِّءٍ بين الجبلين.

وكما نقل ياقوت[١٢] عنه عن الشرقي: الرَّبَذَةُ، وزَرُود والشُّقْرَةُ بنات يَثْرِبَ بن قانية بن مهلائل بن إرم، ونقل عنه: سميت زبالة بزبالة بنت مسعر، امرأة من العمالقة نزلتها، وسميت طَمِيَّةُ بطميَّةَ بنت جام من بني عمليق، وأرض صُبْحٍ بناحية اليمامة سميت برجل من العماليق يقال له صبح.

٣ ــ وللملوك حِمْيَرَ قُبَيْلَ ظهور الإسلام من السيطرة والنفوذ بين سكان الجزيرة مَا دفع القصاصين ورواة الأخبار إلى التزيُّدِ فيما يروون عنهم، والاعتماد في كثير منه على الخيال، مما يجد الباحث نماذج منه في كثير من المؤلفات القديمة ككتاب «أخبار عُبَيْدِ بن شَرْيَةَ الجرهمي» وكتاب «التيجان في ملوك حمير» لابن هشام و«شرح القصيدة الحميرية» لنَشْوان وغيرها، ولهذا فقد وجد ابن الكلبي مرتعاً خصباً في تلك الأخبار، ولكونه يَمُتُّ بنسبه إلى أصحابها إذْ هو كلبي قُضَاعيٌّ حِمْيَريٌّ، قحطاني، وله في الأخبار والحكايات صولات وجولات ــ فقد صادفت هوى في نفسه.

فسلطان أولئك امتدَّ ــ على مايرى ابن الكلبي ومن شايعه من مؤرخي اليمن ــ إلى جميع أرجاء العالم، إذ افريقس بن صيفي[١٣] ــ أحدهم ــ غَزَا المغرب فلما بلغ (افريقية) تلك البلاد الواسعة أمر أن تُبْنَى هناك مدينة اشتق اسمها من اسمه، ثم نقل إليها الناس، فنسبت تلك الولاية الواسعة بأسرها إلى هذه المدينة، ولا ينسى الراوي أن يوشِّحَ هذا الخبر بما يُحَلِّيْهِ من الشعر، وأغرب من هذا أنه ــ عفا الله عنه ــ لم يَعْدِمْ من مشاهير اللغويين والعلماء من يقفو أثره في تهويل أمر أولئك الملوك، ويرى أن نفوذهم بلغ أقصى المعمورة شرقاً بحيث ذكر عن أحدهم وهو شَمِر بن إفريقس أنه بلغ بلاد الصين في غزواته فَنُسِبَتْ إليه مدينة (سَمَرْقَنْدَ)[١٤]، ولا ينسى ابن الكلبي قُوَّادَ أولئك الملوك من نسبة بعض المواضع إليهم فالسَّلْمَان الموضع المعروف في شرق الجزيرة في حدود العراق سُمِّيَ باسم سَلْمَانَ الحميري مَرَّ بهذا الموضع حين بُعِثَ في جيش كثير يريد شَمِر يرعش بن ناشر النعم... الذي سمي به (سمرقند) لأنه كسر حائطها.

وقد يَعْمَدُ للإغرابِ ــ حين يَتَصَدَّى لبيان معاني أسماءِ بعض المواضع التي

لا يستعصي إدراكُ اشتقاقها على من لديه أدنى إلمام بالاشتقاق اللغوي ، فيحاول إيجاد صلة بين تلك المواضع وبين ذوي المجد التليد من أولئك الملوك الصناديد .

إن قصة الملك ٱلحِمْيَرِيِّ الذي غزا المدينة، وعلم من أخبارها قرب بعث النبي الكريم ﷺ ، فسار إلى مكة حاجاً ، قِصَّةٌ لها شهرتها عند عامة المؤرخين ، وابن الكلبي شيخ الأخباريين، وهاهو يدلي بدلوه في تعليل أسماء مناهل الطريق ومنازله التي مرَّ بها التُّبَّعُ الْحِمْيَرِيُّ ، ولاتزال معروفة فيما بين المدينتين الكريمتين ، مما نقله ياقوت عن «اشتقاق البلدان» فيما يظهر: ــ

مَلَـلُ : لما صدر تُبَّعُ عن المدينة بعد قتال أهلها يريد مكة ، نزل مَلَلَ ، وقد أَعْيَا ، فسماها مَلَل .

السيالة : مَرَّ بها تُبَّع ــ بعد رجوعه من قتال أهل المدينة ــ ووواديها يسيل فسماها السيَالة .

الروحاء : نزلَ تُبَّعُ الرَّوْحَاءَ ــ بعد رجوعه من قتال أهل المدينة ــ فأقام بها وأراح ، فسماها الروحاء .

الرُّوَيْثَةُ : نزل تُبَّع الرُّوَيْثَةَ، وقد أبطـأ في مسيره ، فسماها الرُّوَيْثَةَ، من راثَ يريث إذا أبطـأ .

السقيا : لما رجع تُبَّعُ . . فنزل السُّقْيَا يريد مكة ، وقد عطش ، فأصابه بها مطر ، فسماها السُّقْيَا .

ٱلعَرْجُ : لما رجع تُبَّع يريد مكة رآى دواباً تعرج ، فسماها العرج .

قُدَيْدُ : نزل تُبع قُدَيْداً فهبَّتْ ريح قَدَّتْ خيم أصحابه ، فسمي قُدَيْداً .

إلى مالا داعي للإطالة بذكره ، وقد يحاول السير على هذه الطريقة حتى في الأسماء الأعجمية كأن يقول في اشتقاق اسم (قِنَّسْرِيْنَ) البلد الشامي ــ: مَرَّ ميسرة بن مسروق العبسي على هذه البلدة فقال ماهذه ؟ فسميت له بالرومية، فقال: والله لكأنها قِنُّ نَسْرٍ ، فَسُمِّيَتْ قِنَّسْرِيْنَ . واعْجَبْ للزمخشري ــ العالم

اللغوي ــ حين يوجه كلام ابن الكلبي أو يحذُوْ حذوه ، فيقول: نقل من القِنَّسْر بمعنى القِنَّسْرِي وهو الشيخ المُسِنُّ وجُمِعَ ، وأمثاله كثيرة !!

ألا يستظرف ــ بالظاء المعجمة ــ القارىء، وقد استطرف ــ بالطاء المهملة ــ تلك التأويلات الساذجة لأسماء المواضع ــ مارُوي عن الشاعر المشهور كُثَيِّر بن عبدالرحمن الخزاعي (كثير عزة) ولعله أراد مجاراة ابن الكلبي في تعليل تلك الأسماء وأمثالها، قال[١٥]: سُمِّيَ (ملل) لتململ الناس به ، و(الروحاء) لكثرة أرواحها، و(العرج) لتعرُّجه، و(السقيا) لما سُقُوا من الماء العَذْب، و(الجُحْفَة) لأن السيول قد جَحفتها، و(قُدَيد) لِتَقَدُّدِ السيول بها، و(مَرٌّ) لمرارة مائها .

٤ ــ أما نسبة المواضع لأناس ينتمون إلى القبائل التي عرفت بعد بدء تدوين التاريخ العربي من القحطانيين أو العدنانيين، فهي فيما نقل عن ابن الكلبي قليلة، لأنه يدرك الفوارق الزمنية بين معرفة تلك المواضع والزمن الذي عاش فيه أولئك الأشخاص، وقد لا يلحظ في كثير من الأحيان ماذكره هو وغيره فيما يتعلق بمواقع سكنى القبائل في الجزيرة، كأن ينسب الرُّها ــ في الجزيرة الفراتية ــ لرجل يدعى الرُّها ، يوصل نسبه بخمسة آباء إلى لَخْمٍ القبيلة القحطانية التي عُرِفَ انتشارُها فيما بين أطراف الشام الغربية إلى مصر[١٦]، وينسب صَنْدُودَاء في شرق الشام لامرأة تدعى بهذا الاسم هي ابنة لخم، فكأنَّ لَخْماً الذي تنسب إليه القبيلة استقر أول ماأستقر في هذه الجهة ولما تنتقل القبيلة من الجنوب كأخواتها من القبائل اليمنية القحطانية، وينسبُ جَبَلَ البِشْرِ إلى رجل عاش في القرن الأول الهجري كان خفيراً لفارس ، فقتله خالد بن الوليد ، وليس مُبَرَّأً من تأثير العاطفة القبلية، ولهذا فنسبته خناصرة ــ من أعمال حلب ــ لخناصرة بن عمرو الكلبي الذي وصفه بأنه ملك الشام ، تدعو للتأمل .

إن (الثَّعلبية) الماء الذي كان معروفاً في شرقي الدهناء في طريق الحج في رأي هشام بن محمد منسوبٌ لرجل من بني دُوْدَان بن أسد يقال له ثعلبة استنبط ماءها ــ في قصة طريفة[١٧].

وجبل (ثور) في أسفل مكة المكرمة منسوب إلى ثور بن عبد مناة بن أُدٍّ بن

طابخة بن الياس بن مضر .

و(هَجَرُ) ــ الاسم الذي لايزال يطلق على الأحساء ــ سُمِّيَتْ عينُها بهجر بنت المكفف، من العرب المتعربة، وكان زوجها مُحَلِّمَ بنَ عبدالله ، صاحب النهر الذي بالبحرين، يقال له نهر محلّم ، وعين محلم[١٨].

و(ضَرِيَّةُ) الماء الذي أصبح قرية، في عالية نجد ، سُمِّيَ بِضَرِيَّة بنت نزار ، وهي أم عمران بن الحاف بن قضاعة ، ــ والقاريء يدرك أنَّ قبيلة كلب من قُضَاعة ــ أما الذي قد لا يدركه كل قاريء فهي ٱلْمَزِيَّةُ الخاصَّة بهذا الموضع عند الأخباريين ، فقد رووا أنَّ الله خلق جُؤَجُؤَ آدم من كَثِيب ضَرِيَّة ــ ولعل هذا والله أعلم لنقاء تربة هذا الكثيب وصفائها من الشوائب !!

ويقرب من هذا قول صاحب « معجم البلدان » عن دَحْنا ــ أو دَجْنَا الموضع المعروف بين مكة والطائف : دَحْنَا أَرْضُ خلق الله منها آدم . ولعله تأثر بالحديث المنسوب إلى النبي ﷺ إن الله استخرج ذريَّةً آدم من ظهره بِدَحنا ــ أو بنعمان الوادي القريب من دَحْنا ــ على ما ذكر الطبري في تفسير الآية الـ (١٧٢) من سورة الأعراف في تفسيره ، وفي ذكر خلق آدم من تاريخه . ويبقى البحث عن وجه تخصيص هذا الموضوع بهذه المزِيَّة !!

٥ ــ ويُجَرُّ ذكر آدم للإشارة إلى رفع نسبة كثير من المواضع التي ينظر إليها نظرة احترام أو تقديس إلى أبي البشر ، فجبل (أبي قُبيس) المطل على الكعبة المشرفة ، كنَّاه آدم عليه السلام بهذه الكنية ــ فيما ذكر هشام ــ حين اقتبس منه هذه النار التي بأيدي الناس اليوم ، من مرختين نزلتا من السماء على أبي قُبَيس ، فاحتكَّتَا فَأَوْرَتَا ناراً ، فاقتبس منها آدم .

ولا داعي للإطالة بذكر أمثلة من هذا القبيل ، تتعلق بتعليل أسماء مِنَى ، وجَمْعٍ (مزدلفة) وعرفة[١٩]، وأمثالها من الأمكنة التي لها منزلة في النفوس ، مما كان مروياً عن هشام أو عن علماء ساروا على نهجه .

كما لا داعي للاسترسال في ذكر أقوال كثير من العلماء يظهر أنهم تأثروا بابن الكلبي أو من سار على نهجه أو أنهم اقتبسوا من مصادر ذات صلة بالكتب القديمة

المحرفة كـ «العهد القديم» وغيره .

ومجمل القول أن المتتبع لأقوال الذين تصدَّوْا لتعليل أسماء الأماكن العربية من الأخباريين ومن سار على نهجهم من المؤرخين يجد ذالك من شاكلة ماسلف إيراده .

أراني قد أطلتُ السياحة في هذا الكتاب القيم ، فأبعدتُّ النَّجْعَةَ عما أردتُّ قصده ، ولكن لا يفوتني أن أقرر بأن كلَّ ماذكرته عن ابن الكلبي أو غيره من العلماء الذين ساروا على نهجه ــ ومأأكثرهم !! على تلك الطريقة من تعليل أسماء الأمكنة القديمة ، لم أُرِدْ منه إلا تنبيه الأذهان إلى ضرورة التعمق بدراسة معاني أسماء المدن والمواضع القديمة في هذا العصر ، الذي توافرت فيه وسائل المعروفة ، وتنوعت ، وأصبح لعلم الآثار منزلته في الدراسات الجغرافية والتاريخية مما لم يتهيأ لأؤلئك العلماء .

وليس من شك بارتباط أسماء المواضع بساكينها الأقدمين، ارتباطاً ذا أثر لاحظه المتقدمون، ولكنهم توسعوا فيه وبنوا كثيراً منه على استنتاجات قد لا نجد لها أساساً تاريخياً ، ولاينفي هذا أن جل أسماء الأعلام في اللغة العربية سواءاً كانت أسماء مواضع أو أسماء أشخاص ذات اشتقاق لغوي من مصادر عربية، لوحظ في وضعها اتصاف الشخص أو الموضع بصفة مشتقة من مصدر اسمه، وهذا من الأمور البدهية، كما أن كثيراً من المواضع سميت بأسماءِ سكانها سواءاً كانت قديمة أو حديثة ، إلا أن أسماء المواضع القديمة حين يتجه لدراستها ذوو الاختصاص من علماء الآثار والتاريخ القديم واللغويين، لاشك أنهم سيضيفون إلى ماأُثِرَ عن متقدمي العلماء في هذا الجانب المهم مايمد ثقافتنا بروافد جديدة تقوم على أسس صحيحة من المعرفة .

ولقد تمنيت قبل خمسة وثلاثين عاماً حين رأيت الأستاذ الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه «المعجم» يتعرض لبعض تعليل أسماء المواضع بطريقة فيها من الجدة والطرافة ماينأى بها عما عُرِفَ عن متقدمي العلماء تمنيت أن يتسع هذا الاتجاه فيقوم على أسس من الدراسات العميقة الشاملة التي لا ترتكز على الخيال فحسب، ومن

أمثلة محاولة الشيخ العلايلي تعليل الأسماء قوله[٢٠]: (واصل الْجَذْر (ابَنَ) تُرَّهِيٌّ (ميثولوجي) ومن البقايا الأثرية الدالة (الأبانان) وهما جبلان مُحَدَّدَا الرأس كالسِّنان، أحدهما أسود، والآخر أبيض، يمرُّ بينهما وادي الرُّمَةِ ، وهو قاع عظيم، تنصب فيه جماعة أودية، وللعرب ــ كغيرهم كما هو معروف ــ بإجراء حكايات حول الأماكن والبقاع ذوات الصفة الفريدة ، فيغلب في تقديري ــ من وراء هذه التسميات وتحليلها ــ أنَّ الجبلين يرمزان في الخيال العربي الأُسْطوري إلى الليل بالجبل الأسود ، وإلى النهار بالجبل الأبيض ، ومن بينهما وادي الرُّمَةِ الذي يرمز إلى مَسْرَحِ الحياة، الماثل وشيكاً إلى مسرح صِنْوِهِ ، تمشي الرِّمَمُ فيه مَشْيَ السَّيْلِ ، وكأن (لَمَرِّ الغداةِ وكَرِّ العشيِّ) في تصور العربي شكلَ الطاحونة الرهيبة الدائرة بالموت على الحياة في غير انقطاع أو توقف . وهذا التصور نجدُ له نظيراً عند الإغريق في حكاية ربة الليل) . انتهى .

أنا حقاً لا أرتاح إلى التوغل في الخيال بتلك الصورة التي عبر عنها الشيخ العلايلي ، بل لا أرى للخيال مدخلاً للدراسات التاريخية والجغرافية ، ولكنني أُعْجبت بهذا الاتجاه الجديد ، لأنه يعبر عن شدة الحاجة إلى تغيير مارسخ في الأذهان من معلومات تلقيناها عن اطمئنان وثقة ، وحسن ظن بسلفنا الصالح دون الاتجاه للبحث عن حقائقها اتجاهاً لايُقْصَدُ منه هضم حق أولئك السلف ولا انتقاصهم .

وإنما يراد منها سلوك النهج العلمي الذي يفضي بالباحث إلى ادراك الحقائق الثابتة بيقينٍ واطمئنان ، وإن كان أكثر ما توارثناه من معلومات عن ماضينا البعيد قد تراكم عليه غبار الزمن بصورة حجبت حقيقته .

وأجتزئ القول بعرض عشرة أسماء من مئات أسماء المدن والمواضع القديمة التي استعصى عليَّ فَهْمُ معانيها واستغلق إدراك الأصول اللغوية التي اشْتُقَّتْ منها .

وما أسعدني حين أرى اتجاه طلاب المعرفة من أبنائنا إلى التعمق في دراسة مايتصل ببلادنا وبحياتنا .

١ ــ أَبْهَـا (قاعدة بلاد عسير) :

لم يرد اسم هذه البلدة فيما اطلعت عليه من المؤلفات المشهورة ، التي تعرضت للحديث عن عمران المدن ، وتحديد مواقع المواضع ، باعتبارها من المدن القديمة ، وعدم ورود اسمها لا ينفي قِدَمَها .

ولعلَّ أقدم نصٍّ ورد فيه ذكرها ــ على ماأعلم ــ هو ماجاء في كتاب «صفة جزيرة العرب»[٢١] للحسن بن أحمد الهمداني ــ الذي عاش عشرين عاماً من آخر القرن الثالث الهجري وبقية حياته في القرن الرابع ــ وهو نصٌّ يدل على قدم تلك البلدة ــ ففي الحديث عن (جُرَش وأحوازها) قال[٢١]: ويصالي قَصَبة جُرَش أوطانُ حَزِيمة من عَنْز، ثم يُواطِنُ حَزِيمة من شاميها عَسِير ، قبائل من عنز ، وعَسِيرُ يمانية تَنَزَّرَتْ ، ودخلتْ في عنز ، فأوطان عسير إلى رأس تَيَّة ، وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أَبها ، وبها قبر ذِي القرنين ــ فيما يقال ــ عُثِر عليه على رأس ثلاث مئة من الهجرة .

وأعاد ذكرها بقوله[٢١]: والدَّارة وأبها ، والحللة والفتيحا ، فَحَمَرة وطَبَب ، فأتانة والْمَغْوَث فجرشة ، فالأيداع ، أوطان عسير من عنز ، وتسمى هذه أرض طود . انتهى .

ولو عرف ياقوت الحموي ــ صاحب «معجم البلدان» اسم (أبها) ــ لما أعياه تعليله ، فمادة (بهو) في الفصحى ذات مدلولات واسعة ، واستعمالات كثيرة ، ويبقى الاطمئنان بذالك التعليل .

وقد لفت نظري الأستاذ محمد بن عبدالله بن حُمَيد رئيس النادي الأدبي في أبها إذ نشر في «المجلة العربية»[٢٢] كلمة استوضح فيها عما ورد في كتاب «كنوز مدينة بقليس»[٢٣] تأليف وندل قيلبس منسوباً إلى سفر (أشعيا) من كتاب «العهد القديم» من (أن الهجن من مدينة إيفا (أبها) ستأتي جميعها من سبا ، وستجلب الذهب والبخور) إلى آخر ماذكر ، ويستوضح الأستاذ محمد: هل حقاً كانت أبها تعرف باسم (إيفا) في الزمن القديم؟ وهل كانت مَعْبراً للرحلات

التجارية وقت ازدهار حضارة سبإ ومعين وما تلاها من عصور جاهلية قبل الإسلام ؟

ومع أنني ليس لي من الاطلاع على الكتاب الذي نقل عنه وندل فيلبس النصَّ مايمكنني من أن تكون إجابتي مبنية على أسس قوية من المعرفة إلا أن تلك العبارة ــ كما يظهر قد تصرف المعرب فيها تصرفاً زاد اضطرابها ــ ونصها ــ كما في «سفر اشعيا» ــ ٦/٦٠ ــ: تغطيك كثرة الجمال ــ بكران ــ مديان وعيفة ، كلها تأتي من شبا تحمل ذهباً ولباناً . ومع غموض العبارة إلا أن الاسم اتضح مَغايراً لما في تعريب كلام وندل فيلبس ، فهو في مصدره (عيفة) لا (إيفا) ثم قرأت في «سفر التكوين» نصاً صريحاً هو كما في «الاصحاح» ــ ٤/٢٥ ــ حيث ذكر أبناء مديان وأنهم: عيفة وعفر وحنوك وأبيداع والدعة . وهذا النص يبطل ماتوهمه (فيلبس) من أن (عيفة) هي أبها ، وبصرف النظر عن التحريف الواقع في أسفار التوراة جميعها إلا أن (أبها) لا تقع في أحد الطرق الموصلة إلى شمال الجزيرة من بلاد سبإ ، لارتفاعها عن الطريق العام المار بِجُرَش ، وعن الطريق التهامي ــ وقد فصلت هذا في كلمة نشرت في إحدى الصحف ، [وانظر «العرب» ٥٢٥] وما أريد الوصول إليه هو أن اسم (أبها) من الأسماء التي لم يتضح لي معناها .

٢ ــ تُنْغَـةُ (في منطقة حائل):

يصف متقدمو العلماء هذه المنطقة في العهود السابقة لتدوين التاريخ على ماوصل إليهم من الأخبار المتناقلة بأنها بلاد واسعة ، كثيرة المياه والشجر والنخيل والريف ، تسكنها بقايا من أمم بائدة كصحار وجديس[٢٤]، فانتقلت إليها قبيلة طيء اليمنية القحطانية من وادي طَرِيب ــ في منطقة عسير ــ فاستوطنتها قبل ظهور الإسلام .

وقد بقيت تلك القبيلة في هذه البلاد ، حتى العصر الحاضر ، حيث عرفت قديماً باسم جبلي طَيِّءٍ ، وحديثاً بـ (جبل شَمَّر) وشَمَّرُ اسم فرع صغير من فروع القبيلة طغى على أكثر الفروع .

ومن أبرز مواطن الاستقرار المعروفة قديماً في هذه المنطقة (تُنْغَة) ــ بعد التاء المثناة الفوقية المضمومة نون ساكنة فغين معجمة مفتوحة فهاء تنطق تاء في حالة الوصل ــ.

وقد عرفت تُنْغَةُ بأن حاتماً الطائي قُبر فيها، وكانت تقع في موضع حصين من جبل أجإ، فقد أراد المحرق أحد ملوك الشام من آل جفنة أن يدين له حاتم فامتنع، فأقسم الملك: لَيَقْدِمَنَّ عليه قريته، ثم ليجللن مواسلاً ــ الرِّيَطَ[٢٥] مصبوغاتٍ بالزيت، ثم ليشعلنَّها بالنار، ولكنه حُذِّر من ذالك وقيل له: إنْ تقدم القريةَ تهلِكْ، فانصرف[٢٦].

وقد عرفت باسم ٱلْقُرَيَّة فقال امرؤ القيس:

تَبِيتُ لبـوني بـٱلقُـرَيَّـةِ أُمَّنـاً وأَسْـرَحُهَا غِبـاً بِأَكْنَـافِ حَائِـلِ

وكذا في صدر الإسلام، فقد اعترض أهلها للحسين بن علي أثناء توجهه إلى العراق[٢٧]، فعرضوا عليه أن يقيم عندهم، وقال له الطِّرِمَّاحُ بن عَدِي الطائي: إنْ أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به فَسِرْ حتى أُنْزِلَكَ مَنَاعِ جَبَلَنا الذي يُدْعى أَجَـإ امتنعنا به والله من ملوك غسان وحِمْيَرَ، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله إنْ دخل علينا ذلٌّ قط، فأسير معك حتى أنزلك القُرَيَّة، ثم أَقِمْ فينا مابدا لك، فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائيٍّ يضربون بين يديك بأسيافهم، والله لا يوصل إليك.

ويظهر أن (القُرَيَّة) أصبح علماً بدل (تنغة) لغرابة هذا الاسم، وصعوبة نطقه، كما في شعر امرئ القيس، ولقربه من الوادي الذي كان معروفاً باسم حائل كان يضاف إليه، لتمييزه عن قُرَيَّاتٍ أخرى متعددة، ويبقى البحث في أصل الاسم القديم وهذا مالم يتعرض له من عرفتُ من المتقدمين كنصر بن عبدالرحمن الاسكندري ــ مصدر ياقوت ومن جاء بعده كصاحب «تاج العروس» بل وقع من بعضهم اختلافٌ في ضبطه، هل هو بالغين المعجمة أم بالعين المهملة، وصحح صاحب «التاج» الأول، وخطأ صاحب «القاموس» واطلاق الاسم على موضع في حضرموت، ثم نسبة ذالك الموضع إلى شخص ذي عقب

معروف النسبة[٢٨] يوحي بأنه قد يكون ذَا صلة بلغةِ اليمنيين القدماء الذين ترجع إليهم قبيلة طيء في عصورها القديمة ، وهناك أسماء مواضع في هذه المنطقة لا يرتاح الباحث لما يورده اللغويون عن اشتقاقها مثل : مَوْقَق ، وغَضْوَر ، ورَمَّان ، وأجـأ ، وغيرها .

٣ ــ تيمـــاء :

ويحاول اللغويون إيجادَ صلة بين اسم تيماء البلدة هذه وبين مادة (ت . ى . م) في اللغة العربية الفصيحة ، فيقول الأزهري : المتيَّمُ المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء لأنها يُضَلُّ فيها ، وقال الأصمعي : التيماء الأرض التي لاماء فيها ، وقد يكون لهذا أصل من الناحية اللغوية ، ولكن البلدة كانت معروفة قبل بَدْءِ تدوين اللغة العربية بأحقاب طويلة ، فقد ذكرت في «التوراة»[٢٩] وفي أخبار حروب موسى ــ عليه السلام ــ للعمالقة[٣٠].

ولكن الذي لاشك فيه أن نصوص التوراة التي وصلت إلينا محرفة ، ولا يمكن الاطمئنان إلا إلى ماثبتت لدينا صحته من قبل علماء ذوي اختصاص بالدراسات الأثرية واللغوية .

٤ ــ جُرَشُ (قاعدة بلاد الأزد في صدر الإسلام):

وفي منطقة عسير عرفت هذه المدينة في العهد الجاهلي ثم في صدر الإسلام ، وصفها متقدمو المؤرخين بأنها مدينة عظيمة حصينة وولاية واسعة[٣١] ذات صناعة وزراعة ، فقد أرسل أهل الطائف إليها من يتعلم صناعة المجانيق حين علموا أن الرسول ﷺ عزم على غزوهم ، وعُرِف بها نوع من أجود أنواع العنب يدعى (الجُرشي) وبجودة أُدُمِها .

وقد فتحت مدينة جُرَش في العهد النبويِّ صُلْحاً ، وقدم وفد من أهلها على رسول الله ﷺ فأسلموا فقال لهم ــ فيما يرويه ابن سعد وغيره من أصحاب السير ــ: «مرحباً بكم أحسن الناس وجوها ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم» وجعل شعارهم (مبروراً) وحمى لهم حول

قريتهم . وبقيت معروفة في صدر الإسلام ، حيث نسب إليها ــ في من نسب ــ السيدة الخيزران ، زوجة الخليفة المهدي وأم ولده وصاحبة الآثار العمرانية في طريق الحج العراقي ، وفي مكة حيث عمرت دار الأرقم التي كان يجتمع فيها المسلمون بالرسول ﷺ في أول الإسلام ، فعرفت الدار بها ، وتوفيت سنة ١٧٣[٣٢] .

وبقيت المدينة معروفة حتى القرن الرابع الهجري حيث وصفها الهمداني[٣٣] بأنها كورة نجد العليا ، واعتبرها قاعدة لما حولها من الأودية والقرى ، يضيفها في التحديد إليها ، ولكنها اختفت من الوجود في عصر متأخر مجهول ، وانتقل سكانها المعروفون باسم (العواسج) إلى ثِنْيٍ من أثناء وادِي بيشة عرف باسم (وادي ابن هشبل) .

ويرى أحد المتأخرين من الباحثين[٣٤] أن زوال تلك المدينة بسبب ثورة بركان كان بقربها يعرف باسم (حَمُومة) حيث تبدو صخور تلك الأكمة سوداء ، كأنها مصهورة ، ومن ذالك اشتق اسم (حمومة) فهو كما قال الهمداني[٣٥]: وجُرَشُ في قاع ولها أشرافٌ غربية منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها ، وبينها وبين حَمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ــ حمومة وحمة وكولة ــ .

ولاتزال آثار جرش معروفة جنوب شرق مدينة خميس مشيط بنحو خمسة عشر كيلاً[٣٦]، أما اسم جُرَش الذي عُرِفتْ به المدينةُ فليس من المستبعد أن يكون اسم أول من سكنها ، ككثير من المدن والأودية الواقعة في جنوب الجزيرة .

ولكن الطريف في ذالك ماجاء في كتاب «أنساب البلدان» لهشام بن الكلبي ــ كما نقل ياقوت[٣٧]: جُرَش قبائل من أفناء الناس تَجَرَّشُوا ، وكان الذي جرَّشَهُمْ رجل من حِمْيَرَ يقال له زيد بن أسلم ، خرج بثور له عليه حمل شعير ، في يوم شديد الحر ، فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبه ، فحلف لئن ظفر به ليذبحه ، ثم ليجرشَنَّ الشعيرَ ولَيَدْعُوَنَّ على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ، وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشياً !!

ومع سذاجة هذا التعليل فإنه لا ينطبق على الواقع من حيث موقع جُرَش،

فذات القصص ــ وهي جبال لاتزال معروفة تبعد عن جُرش جنوباً شرقياً بما يزيد على مئة كيل ، وهي في أعالي وادي طريب[٣٨]، ولكن أبا المنذر ــ والله يعفو عنه ــ يأتي بالعجائب الغرائب ــ ولعل منها ماذكر في تعليل جَرَش ــ بفتح الجيم ــ الموضع الأثري القديم في الشام (الأردن) فقد نسبه لرجل يدعى جَرَش بن عبد الله ، وصل نسبه بقبيلته كلب .

٥ ــ حَجْـرُ (قاعدة بلاد اليمامة) :

المدينة التي قامت الرياض على انقاضها[٣٩]، لقد كانت من أقدم المدن في قلب الجزيرة، وكانت تعرف باسم الخضراء خضراء حَجْرٍ ، وهي حاضرة قبيلة طَسْمٍ ، والخِضْرِمَةُ في ٱلخَرْجِ حاضرة جَدِيْسَ[٤٠]، والقبيلتان من الأمم البائدة .

وبعد أن خلفتهما قبيلة بني حنيفة بقيت حَجْرُ قصبةَ اليمامة، ثم أصبحت في صدر الإسلام سُرَّة اليمامة، ومنزل السلطان والجماعة، ومنبرها أحد المنابر الأولية : مكة والمدينة واليمن ودمشق واليمامة والبحرين والكوفة ، وجلُّ أهلها بنو عبيد من بني حنيفة، وبها من كل القبائل[٤١].

ويعلل متقدمو العلماء اسم حَجْرٍ بأن عُبَيْدَ بن ثعلبة سيدَ بني حنيفة عثر على القصور والحصون، وحدائق الأشجار والنخيل، خالية بعد فناء طَسْم وجَدِيْسَ ، فاحتجر ثلاثين قصراً، وثلاثين حديقة، وسماها حَجْراً ومنع النزول فيها إلا لمن كان من ولده لصلبه ــ في قصة طويلة معروفة[٤٢] ــ إلا أن هذا التعليل أقرب إلى الخرافة منه إلى الواقع، فاسم (حجر) كان معروفاً في عهد طسم قبل سكنى بني حنيفة لهذه البلاد، الذي لا يسبق زمن ظهور الإسلام بأكثر من قرنين ــ في القرن الخامس الميلادي[٤٣]، وكلمة (هَجْر) على ماذكر بعض العلماء يقصد بها البلدة بلغة العرب العاربة فمنها هجر البحرين وهجر نجران، وهجر جازان[٤٤]، وكل بلد تمتاره البادية فهوهجرهم[٤٥]، والهاء والحاء حرفان حَلْقِيَّان يتعاقبان في كثير من الكلمات، وقد يقال: بأن المتكلم يؤثر التسهيل عند الابدال وحرف الهاء في النطق أسهل من حرف الحاء، وهذا صحيح ولكن ليس قاعدة مطردة.

٦ ــ خيبـــــر :

اسم الواحة المعروفة الواقعة في الحرة المعروفة بها في الشمال الشرقي من المدينة المنورة، وقد اختلف المتقدمون في تعليل هذا الاسم فمنهم من يرى اشتقاقه من قولهم أرض خبرة أي طيبة الطين سهلة[٤٦]، ومنهم من زعم أنه اسم رجل من العماليق هو أول من نزل هذه البلاد، وهو خيبر بـن قانية بن عبيل بن مهلائل بن ارم[٤٧]، وهناك من يرى أن الكلمة عبرية تعني الحصن، ولاشتمال هذه البلاد على حصون سموها (خيابر) واحدها خيبر، ويؤيد هذا بعض الباحثين في عصرنا.

وأرى أن اسم (خيبر) من الأسماء الموغلة في القدم، ولما جهل اللغويون معناه تكلفوا لتأويله مختلفَ الأقاويل كعادتهم في أسماء المواضع القديمة، أما القول بأنه مأخوذ من لسان اليهود، وأن الخيابر فيه هي الحصون؛ فمن المعروف أن بلاد خيبر كانت معروفة قبل سكنى اليهود، ويمكن القول بأن كلمة (خيبر) مما وافقت فيه اللغة العبرية اللغة العربية، أو أن لهذه الكلمة من المعاني مالم يدون في الكتب اللغوية التي وصلت إلينا كأسماء مواضع أخرى في هذه المنطقة، منها ماحاول المتقدمون تعليله، ومنها مااعتبروه جامِداً مثل: (فدك) الواحة الواقعة شرق خيبر في حرَّتها، والمعروفة الآن باسم (الحائط) و(يَدِيع) الواحة الواقعة جنوب (فدك) والتي تعرف باسم (الحُوَيِّط).

و(ضَرْغد) البلد الواقع شرق (فدك).

وأكثر أسماء حصون خيبر القديمة.

٧ ــ دَوْمة الجندل (قاعدة بلاد الجوف قديماً) :

اسم قاعدة إقليم الجوف حتى عام ١٣٧٠ ــ وينطق بضم الدال وفتحها، وقد يقال دوماء الجندل[٤٨]، وأصل هذا ماورد عن ابن الكلبي: لما كثر ولد إسماعيل ــ عليه السلام ــ بتهامة خرج دَوماءُ بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة، وبنى فيه حصناً، فقيل: دوماء، ونسب الحصن إليه مع الاختلاف في اسم ابن اسماعيل هذا هل هو دوماء أو دوم، أو دما. ولكن الحمويَّ وقد ذكر كلام ابن الكلبي يورد

خبراً يدل على تأخر حدوث التسمية عن عصر اسماعيل فيذكر أن الأكيدر الملك الكندي كان منزله أولاً بالحيرة ــ في العراق ــ وكان يزور أخواله من قبيلة كلب، ويخرج معهم إلى الصيد، فعثروا على مدينة متهدمة لم يبق إلاَّ حيطانها، وهي مبنية بالجندل ــ الحجر ــ فأعادُوا بناءها، وغرسوا بها الزيتون وغيره، وسموها دومة الجندل، تفريقاً بينها وبين دومة الْحِيرة، والأُكَيْدر أدرك ظهور الإسلام، وأجلاه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ إلى الحِيرة، وياقوت نفسه فاته أنه ذكر أَنَّ إنشاء دومة الحِيرة كان بعد إجلاء الأكيدر من دومة الجندل، إذ قال: دوماً بالكوفة، والنجف محلها، ويقال: اسمها دومة لأن عمر لما أجلى أكيدِرَ دُومة ــ صاحب دومة الجندل ــ قدم الحيرة فبنى بها حصناً ، وسماه دومة أيضاً . ثم ذكر دومةَ من قرى غُوطة دمشق، المعروفة الآن والتي ينطق اسمها (دوما)[٤٩].

والواقع أن دومة الجندل من أقدم المدن عهداً ، فقد ورد اسمها في «التوراة»[٥٠] وذكرت في الكتابات الأشورية باسم (ادومانو) وأن الملك الأشوري سَنْحَرِيب استولى عليها، وأسر ملكتها سنة ٦٨٨[٥١] قبل الميلاد، ولقدم هذه المدينة تخبط المتقدمون في تعليل اسمها كأمثالها. وبقربها مواضع لايجد الباحث لأسمائها في المؤلفات اللغوية مايطمئن إليه في فهمها، وهي بدون شك مقتبسة من جذور لغوية لاتزال مجهولة .

ومنها سكاكة ــ اسم المدينة الثانية التي أصبحت قاعدة المنطقة منذ عام ١٣٧٠هـ .

وقارا ــ التي تنطق الآن القارة ــ ويطلق الاسم على بلدة في سورية .

وزعبل: اسم تل عظيم على مقربة من مدينة سكاكا ــ كان حصناً، أو معبداً[٥٢].

٨ ــ مكـــة المكرمـــة :

البلدة التي قدسها الله بأن وضع فيها البيت العتيق، الذي جعل حجه أحدَ الأركان التي يقوم عليها الدين الإسلامي ﴿ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كَفَرَ فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين﴾[٥٣] وشرفها بأن ذكرها في كتابه

الكريم بأسماء متعددة، فلا غرو أن يحاول علماء اللغة ــ مااستطاعوا ــ في اختيار المعاني الملائمة لتلك الأسماء، بتأثير عواطف دينية سامية كقولهم:

١ ــ سميت مكة: من المُكَاكَةِ وهي اللُّبُّ والمخ الذي وسط العظم، سميت لأنها وسط الدنيا، ولُبُّها، وخالصها.

٢ ــ سميت مكة: لأنها تنقص الذنوب وتنفيها.

٣ ــ سميت مكة: لأنها تهلك من ظلم فيها.

٤ ــ سميت مكة: لأنهم يمتكُّون الماء فيها ــ أي يستخرجونه ــ.

٥ ــ سميت مكة: لأنها تجذب الناس إليها، والملك الجذب.

٦ ــ سميت مكة: لأنها تمكُّ الجبارين ــ أي تُذْهِبُ نخوتهم ــ.

٧ ــ سميت مكة: لِازْدحام الناس بها، من قولهم: امتكَّ الفصيلُ ضَرْعَ أُمِّهِ إذا مَصَّهُ مَصاً شديداً.

٨ ــ سميت مكة: لأن العرب تَمُكُّ عند الكعبة ــ أي تُصْفِرُ صَفِير المُكَّاءِ الطائر المعروف ــ مع تصفيق بالأيدي في الطواف.

٩ ــ سميت مكة: لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هَبْطَةٍ شبه ٱلمَكُّوكِ ــ وهو إناء معروف ــ.

١٠ ــ سميت مكة: لأنه لايفجر فيها أَحَدٌ إلَّا بُكَّتْ عنقه، فكان يصبح وقد التوت.

إلى أقوال أخرى لاتخرج عن هذه المعاني.

وللمعاصرين من الباحثين من المستشرقين وغيرهم حول هذا الاسم من الأقوال ماهو أقرب إلى الخيال، ولعل من أطرفها رأيٌ لكاتب عراقي في بحث له عن مكة بعنوان (مكة وحمورابى)[٥٤] حيث حاول إيجاد صلة بين (بكا BAGA) إلـه بابلي كان معروفاً في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ومنه أُخِذَ اسم الإله الكنعاني (بَعْلَبَكَّ) ثم يخلص إلى القول بأنه يخمن أن (بـك) أُطلق أولاً على مكان المعبود في مكة، ولما كانت أسماء المواضع تؤنث أضيفت إليه علامة التأنيث، فصار (بكة)، ثم عرفت باسم مكة.

40251

وكذالك اختلفوا في معنى اسم (بكة) من أسماء هذه المدينة الكريمة، ورد في القرآن الكريم ﴿ إنَّ أول بيتٍ وُضع للناس للَّذِي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾[٥٥] فبينما يرى بعض اللغويين أن الميم أبدلت باء ، يرى آخرون تغايراً في المعنى بين الاسمين ، ومن أمثلة الاختلاف:

١ ــ سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة.
٢ ــ بكة اسم لبطن مكة لأنهم يتباكَّوْنَ فيه ــ أي يزدحمون ــ.
٣ ــ بكة موضع القرية، ومكة موضع البيت.
٤ ــ بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذُو طوَى، وهو بطن مكة المذكور في الآية الكريمة من سورة الفتح.

ولعل أعدل الأقوال في هذا ماروي عن عالم مكة الإمام التابعي الجليل مجاهد ابن جبر من أن الميم والباء يتعاقبان، وبه قال الإمام اللغوي ابن قتيبة[٥٦] وغيره.

٩ ــ وَجُّ (الطـائـــف) :

هناك ترادف بين كلمتي (وج) و(الطائف) في نصوص المتقدمين، بينما المعروف الآن اطلاق اسم (وج) على الوادي الذي يخترق مدينة الطائف، منحدراً من المرتفعات الواقعة جنوب غرب المدينة حول قرية (الوهط) متجهاً صوب الشمال الشرقي حيث يُدْعَى أسفله (ٱلعَرْج)، ثم يفيض في الأرض البراح.

ومن ذالك الترادف قول ياقوت في «معجم البلدان»: الطائف هو وادي وَجٍّ، وهو بلاد ثقيف[٥٧]. وقوله ــ في موضع آخر ــ: في تفسير الخبر المنسوب إلى النبي ﷺ[٥٨] ــ: آخر وَطْأَةٍ لله يوم وَجٍّ ، وهو الطائف، وغزوة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ ، ولصاحب «القاموس المحيط»[٥٩]حول هذا القول اعتراض ليس هذا محل ذكره.

ويتضح مما أورده متقدمو العلماء من أخبار عمران الطائف قدم تسمية الموضع باسم وج، لنسبة هذا الاسم إلى العمالقة ــ إحدى الأمم المجهول عصرها ــ بخلاف اسم الطائف المنسوب حدوثه لمن عاش قبيل الإسلام بزمن يسير[٦٠].

فما أصل تسمية ذالك البلد ؟ يلجأ المتقدمون لبيان مثل هذا إلى مايتناقله القصاصون من أخبار الأمم التي عاشت في الجزيرة في عصورها الأولى ــ ولا ملجأ لهم غير ذالك ــ فيجدون من الأسماء الشائعة بين تلك الأمم مايتفق مع أسماء المواضع التي هم بحاجة إلى معرفة أصولها، فيرجعونها إليها، وليروح القارئ عن نفسه، هاهو أشهر أقوال رواة الأخبار منهم:

سُمِّيَ وَجٌّ (الطائف) بِوجِّ بن عبدالحق من العمالقة (العماليق) وهو أخو (أجإٍ) الذي سمي به جبل طيء، وهو من الأمم البائدة[٦١].

ولهذه الصلة بين اسم هذا الوادي الواقع في غرب الجزيرة وبين اسم ذالك الجبل المعروف الواقع في شمالها مايربط الاسمين بأسماء مواضع أخرى هناك، لا يتورع ياقوت ــ أمطر الله على قبره شآبيب الرحمة والغفران ــ من نسبته إلى (العلماء بأخبار العرب) بدون تسمية أحد منهم، وهو لايخرج عما هو معروف عن أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في أحد كتابيه «اشتقاق البلدان» أو «انساب البلدان»: ذكر العلماء بأخبار العرب[٦٢] أن أجأ سمي باسم رجل وسمي سلمى باسم امرأة، وكان من خبرهما أن رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبدالحي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى، فكانا يجتمعان في منزل العوجاء حاضنة سَلْمَى، حتى علم بهما اخوة سلمى وهم الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان، فخافت سَلْمَى وهربت هي وأجأ والعوجاء، وتبعهم اخوتها فلحقوا سلمى على الجبل المسمى سلمى فقتلوها هناك فسمي الجبل باسمها، ولحقوا العوجاء على هضبة بين الجبلين فقتلوها هناك فسمي المكان بها ولحقوا أجأ بالجبل المسمى بأجإ فقتلوه فيه فسمي به، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم فسار كل واحد إلى مكان فأقام به فسمي ذالك المكان باسمه[٦٣] ــ وتقدم الخبر ــ.

١٠ ــ يَثْرب (المدينة المنورة):

من أسماء المدينة الشريفة طيبة الطيبة، الكثيرة الأسماء، مما يدل على شرف المسمى، وقد ورد في القرآن الكريم حكاية عن المنافقين في غزوة الأحزاب في التحريض على الانصراف عن القتال مع رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين:

﴿ وإذْ قالتْ طائفةٌ منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ﴾[٦٤] ووردت آثار في النهي عن تسميتها بهذا الاسم[٦٥].

ويختلف المتقدمون من اللغويين وغيرهم في معنى هذا الاسم وان اتفقوا على قدمه، ونسبته إلى إحدى الأمم البائدة، ويحاول بعضهم اعتباره مشتقاً من مصدر (ثرب) أو ذا صلة به ، فيورد ابن الأثير في «النهاية»: يثرب اسم مدينة النبي ﷺ قديمة ، فغيرها وسماها طيبة وطابة، كراهية التثريب ، وهو اللوم والتعيير — انتهى . ويَلْمَحُ ياقوتُ تَكَلُّفَ اللغويين وتمحُّلَهُمْ في محاولة تعليل الأسماء ومحاولة اشتقاقها من مصادر فيقول: ولو تكلف متكلف أن يقول في (يثرب) أنه (يفعل) من قولهم لا تثريب عليكم أي لا تعيير ولا عيب، ويقال أصل التثريب الافساد — إلى آخر ماذكر —[٦٦].

ولاشك بأن اسم (يثرب) من الأسماء الموغلة في القدم حتى جهل أصلها ، فعمد أولئك العلماء إلى القول بأن أول من سكن يثرب رجل من العمالقة[٦٧] (العماليق) وقيل من أبناء إرم — (الآراميين) هو يثرب بن قانية بن مهلائل بن إرم ابن سام بن نوح — وذالك بعد تفرق أبناء نوح .

ومن الطريف أن يحاول ابن الكلبي — فيما يروي عن شيخه الشرقي بن القُطَامي — إيجادَ صلةٍ قرابة بين يثرب الارمي وبين مواضع تقع في طريق الحج في نجد[٦٨] فيقول: زرود، والشقرة والربذة بنات يثرب بن قانية بن مهلائل بن رخام بن عبيل اخي عوض بن إرم بن سام بن نوح — على تباعد تلك المواضع .

فزرود — من المناهل المعروفة وهي واقعة في الجانب الغربي من الدهناء شرق بلدة الأَجْفُرِ بمنطقة حائل[٦٩] (بقرب خط الطول: ٤٣/١٨° وخط العرض: ٢٧/٥٠°).

والشقرة — وهي أيضاً معروفة كانت من المناهل فأصبحت الآن قرية تقع غرب الحناكية (نخل قديماً) بنحو ثلاثين كيلاً ، ووادي الشقرة يجتمع بوادي الحناكية في حَضَوْضَا[٧٠].

والرَّبَذَة: الموضع الأثري المعروف في عالية نجد[٧١].

ومَلْمَحُ ابن الكلبي ــ أو شيخه ــ في محاولته تلك قد يكون مبنياً على إدراك كون بني ارم (الآراميين) قد انتشروا في البلاد من أعلاها إلى أسفلها، قبل وجود القبائل العربية المعروفة أخيراً، مع جهل زمانهم وانفرادهم بلغة خاصة، منها أسماء هذه المواضع التي يحمل الجهل بمعانيها على اعتبارها أسماء جامدة، والملاحظ أن المواضع كثيراً ماتضاف إلى سكانها، ومن ثم تعلق بها أسماء أؤلئك السكان، وليس معنى هذا مطابقة قول ابن الكلبي ــ أو غيره من المتقدمين ــ في تعليل كل الأسماء القديمة للواقع، ولكنه محاولة لتوجيه آراء أؤلئك الأجلة من العلماء الذين لايجد الباحث في هذه النواحي سوى تعليلاتهم، حتى يفتح العلم آفاقاً أخرى من المعرفة.

حمد الجاسر

الحواشي :

١ ــ مقدمة «معجم البلدان».

٢ ــ «قاموس الكتاب المقدس» ١/ :٣٦: (ا. اي: ١ ــ ٣٠ حدد (حدة) أحد أولاد اسماعيل (ا. اي: (٣٠) ويدعى أيضاً حدار (تك: ٢٥: ١٥). وانظر «تاريخ العرب قبل الإسلام». ١/٢٩٢ وقد وهم مؤلفه حين قال: يعرف حدد في الكتب العربية بأدد.

٣ ــ «معجم البلدان» رسم (جوف) و(دير الجماجم).

٤ ــ المصدر رسم (سواع) و(جرش).

٥ ــ الأول طبع القسم الأول منه والثاني نقل البكري في مقدمة «معجم مااستعجم» وفي مواضع أخرى وكذا ياقوت فأكثر النقل.

٦ ــ رسم (الرُّها) ٧ ــ «معجم البلدان» رسم (الغريين).

٨ ــ المصدر رسم (اران ــ البلقاء ــ الربذة ــ زرود ــ الصين ــ هجر).

٩ ــ المصدر رسم (صقلب).

١٠ ــ «الاصحاح» ٢٤/٢٥ ونصه: (وهذه أسماء بني اسماعيل حسب مواليدهم: نبايوت ــ بكر اسماعيل ــ وقيدار، وإدْبَئِيل، ومِبْسَام، ومشماع، ودومة، ومسآ، وحدار، وتيما، ويطُور، ونافيش، وقدمة، هاؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم).

١١ ــ ٣٠٥ ١٢ ــ وفيه ص٣٠٦: عن هشام بن محمد عن أبيه سميت فيد بفائد بن حام من بني عمليق.

١٣ ــ «معجم البلدان» كل اسم في موضعه من الكتاب.

١٤ ــ «معجم البلدان» رسم (افريقية) و(سمرقند).

١٥ ــ كتاب «المناسك» ٤٤١ ومابعدها ١٦ ــ «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم.

١٧ ــ «المناسك» ٢٩٣ و«معجم البلدان» وتجد فيه نصوص كلامَ ابن الكلبي عند ذكر أسماء المواضع.

١٨ ــ انظر عن (عين محلّم) قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» رسم (محلم).

١٩ ــ «صفة جزيرة العرب» ــ ٣٨٧ و«معجم البلدان».

٢٠ ـ «المعجم» ٤٧/١ طبعة ١٣٧٣ (١٩٥٤م).
٢١ ـ ٢٥٧/٢٥٦ ـ طبع «دار اليمامة» في الرياض سنة ١٣٩٤ (١٩٧٤م).
٢٢ ـ جزء رجب ١٤٠٨ ص١١٥ ٢٣ ـ ١٢٣ . ٢٤ ـ «معجم البلدان» رسم أجا .
٢٥ ـ مواسل قمة من قمم أجا مطلة على قرية حاتم، انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية». والرِّيَط : جمع رَيْطة وهي الثياب المنسوجة شرائح .
٢٦ ـ «الأغاني»: ١٠٥/١٦ ط الساسي بمصر.
٢٧ ـ «تاريخ ابن جرير» ٣٠٤/٢ط أوربة ٢٨ ـ «تاج العروس» تنع وتنغ .
٢٩ ـ «سفر التكوين» ١٤/٢٥ و«سفر ايوب» ١٩/٦ و«شمال الحجاز» ١٠٠
٣٠ ـ «تاريخ ابن خلدون»: ٤٨/٢ و٥٩٥ .
٣١ ـ «طبقات ابن سعد» ٣٣٧/١ و«السيرة النبوية» لابن هشام ٢٣٢/٤ و«تاريخ ابن جرير» ٧٢٩/١ و«معجم البلدان» و«تاج العروس» رسم (جرش) .
٣٢ ـ «تاريخ بغداد» ٤٣١/١٤ ٣٣ ـ «صفة جزيرة العرب» ٢٥٥ .
٣٤ ـ مذكرات سليمان شفيق باشا مجلة «العرب» س ٦ ص ٧٠٦ .
٣٥ ـ «صفة جزيرة العرب» ٢٥٦ .
٣٦ ـ في مجلة «العرب» س ٦ ص ٢٤١/٢٤٧ ـ بحث مفصل عن موقع جرش للأستاذ الشيخ سعيد بن عياش الغامدي رئيس محكمة خميس مشيط .
٣٧ ـ «معجم البلدان» رسم (جرش) .
٣٨ ـ «صفة جزيرة العرب» ٢٥٣ ومجلة «العرب» س ١٨ ص ٩٠.
٣٩ ـ قرأت في أحد المؤلفات الحديثة أن الرياض كانت حمى لخيل الأمير مقرن بن أجود الجبري في القرن العاشر وكانت تسمى (رياض مقرن) ثم عرفت فيما بعد باسم (الرياض) ولا أدري من أي مصدر هذا إلا أن وجود قصر قديم عرف باسم (مقرن) قد يؤيد ذالك القول .
٤٠ ـ «صفة جزيرة العرب» ٢٨٤ .
٤١ ـ «بلاد العرب» ٤٢ ـ «معجم البلدان» رسم (حجر).
٤٣ ـ «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» ٤١ .
٤٤ ـ «صفة جزيرة العرب» ١٧٠ ٤٥ ـ «أبو علي الهجري» ٣٨٦ .
٤٦ ـ «جمهرة اللغة» ٣٥٦/٣ لابن دريد .
٤٧ ـ «معجم البلدان» و«معجم مااستعجم» و«تاج العروس» رسم (خيبر).
٤٨ ـ «في شمال غرب الجزيرة» ٥٢٨ .
٤٩ ـ «معجم البلدان» رسم (دومة) ٥٠ ـ «سفر التكوين» ٢١٤/٢٥ و«سفر اشعيا» ١١/٢١ .
٥١ ـ «لمحات عن بعض المدن القديمة» للدكتور عبدالرحمن الأنصاري، مجلة «الدارة» ج١ ص٨٢ ففي «سفر التكوين» الاصحام الـ ٢٥ .
٥٢ ـ «في شمال غرب الجزيرة» ١٤٧ .
٥٣ ـ سورة آل عمران الآية ٩٧ .
٥٤ ـ كتاب «تاريخهم من لغتهم» عبدالحق فاضل . ٢١/٧ وزارة الإعلام العراقية سلسلة دراسات (١٧٧) سنة ١٩٧٧.
٥٥ ـ سورة آل عمران الآية ٩٦ . ٥٦ ـ «معجم البلدان» رسم (بكة).
٥٧ ـ «تاج العروس» رسم (بك). ٥٨ ـ رسم (الطائف).
٥٩ ـ رسم (وج).

شِعْرُ القُحَيْفِ العُقَيليّ

[وهذا شاعر آخر من شعراء هذه البلاد يتصدى لجمع شعره عالم محقق جليل واسع الاطلاع له جهود مشكورة في جمع ما تشتت من أشعار المتقدمين هو الأستاذ الدكتور حاتم الضامن ، أما الشاعر فهو القحيف بن خير العقيلي عاش في بلاد قومه بني عقيل في نواحي الأفلاج ، وقد سبق أن تصدى المستشرق الألماني الدكتور سالم الكرنكوي المعروف قديماً باسم فريتس كرنكو لجمع شعره ونشره في مجلة « المجمع الأسيوي البريطاني » سنة ١٩١٣ من ص ٣٤١ إلى ٣٦٨ .

وقد حاولت اضافة شيء إلى ما جمعه الاستاذ كرنكو ، فنشرت في مجلة « العرب » س ١ ص ٤٠٦ إلى ٤٠٨ و٥٥١ و١١٥٥ .

ولكن محاولة الدكتور حاتم الضامن كانت أجدى وأنفع .

ولهذا ترى مجلة « العرب » أن تتحف قراءها بما قام به الدكتور الضامن حيال هذا الشاعر المقل ، ممثلاً في مقدمة ضافية عن حياة الشاعر وتحليل موضوعات شعره ، ثم بجمع ما استطاع جمعه اعتمادا على ما سبقه من محاولتين لجمع ذالك الشعر ، مع تميز عمل الدكتور الضامن بتخريج ذالك الشعر . ولقد عني الأستاذ الدكتور شاكر الفحام بالشاعر القحيف واخباره وأشعاره قبل ثلاثين عاماً ، كما أشار إلى ذالك في بحث نشر في مجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » (مج ٦٢ ج ٣ ــ ذو القعدة ١٤٠٧هـ/ تموز ١٩٨٧م ص٦١٥/٦٢٩) ويظهر ان الدكتور شاكراً اكتفى بعمل الاستاذ الدكتور الضامن مع الاشارة إلى تخريج بعض أبيات وردت في مصادر لم يوردها الدكتور الضامن .

ولصلة بحث الدكتور شاكر بهذا الشاعر ترى مجلة « العرب » في نشره مما يكمل جوانب الموضوع . وها هو ما اقام به استاذنا الجليل الدكتور حاتم الضامن من دراسة وجمع لشعر القحيف نقلاً عن مجلة « المجمع العلمي العراقي » : [م ٣٧ ج ٣ ص ٢٢٢ إلى ٢٥٣] وهذه المجلة مما لا يتسنى لكل باحث الاطلاع عليها بسهولة ويسر] .

***

من شعراء العصر الإسلامي القُحيف بن سُليم العقيلي ذكره الجمحي في الطبقة العاشرة وهم أربعة رهط . مزاحم بن الحارث العقيلي ويزيد بن الطثرية

---

٦٠ ــ انظر الخبر مفصلاً في المؤلفات المخصصة لتاريخ الطائف لابن فهد والعجيمي والفاكهي .
٦١ ــ «معجم البلدان» رسم الطائف و«تاج العروس» رسم (أجأ) . ٦٢ ــ المصدر رسم (أجأ).
٦٣ ــ الخبر مفصل في كتاب «المناسك» ٣٠٥ وهو مما رواه ابن الكلبي عن أبيه.
٦٤ ــ سورة (الأحزاب) الآية الـ (١٣) ٦٥ ــ «وفاء الوفاء»: ١١/١ .
٦٦ ــ «معجم البلدان» رسم (يثرب) ٦٧ ــ «تاج العروس» رسم (ثرب).
٦٨ ــ «معجم البلدان» رسم (زرود).
٦٩ ــ «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية «قسم شمال المملكة» رسم (زرود).
٧٠ ــ كتاب «المناسك» ٥٢١ .
٧١ ــ للدكتور سعد الراشد الباحث الأثري المعروف في كلية الآداب جامعة الملك سعود مؤلف عن هذا الموضع ، من منشورات الجامعة .

وأبو دُوَاد الرُّواسي والقحيف العقيلي ، وهذه الطبقة كلها من بني عامر بن صعصعة[١] . وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام[٢] . وقال عنه صاحب « المؤتلف والمختلف » انه شاعر محسّن كثير الذب عن قومه[٣] ، وكان يُشببُ بخرقاء التي كان ذو الرمة يشببُ[٤] بها ، ونسبه كما نقله صاحب « الخزانة » عن « الجمهرة » و « العباب » للصاغاني هو : القُحيف (بضم القاف وفتح المهملة) ابن خُمَير (بضم المعجمة وفتح الميم) بن سُلَيم (بضم السين وفتح اللام[٥]) . ومن الغريب أن يذكر البغدادي في مكان آخر من « الخزانة » بانه شاعر جاهلي[٦] ، وهو وهم كما أرى . ومن خلال متابعة أخبار القحيف يتضح لنا ان حياته الأولى كانت غير واضحة المعالم ، ولكن الأخبار تذكر رثاءَه ليزيد بن الطثرية الذي قتل سنة (١٢٦) وله أخبار مع المُهَيْر بن سلمي الحنفي بعد قتل الوليد بن يزيد سنة (١٢٦) كذالك وهذا يؤكد لنا انه كان حياً بعد هذا التاريخ ، ويذكر الشاعر في بعض قصائده ادراك الشيب له ويعبر عن استيائه من الشَّيبَاتِ اللواتي طلَعْنَ لأن الشيب داءٌ يكرهه[٧] .

وتبقى أخباره الخاصة والمتعلقة بأهله أو بيته غير متميزة سوى ماذكر عن علاقته بخرقاء التي تذكر الأخبار انها جاوزت تسعين سنة ، وهي اشارة تدلُّ ولو بشكل تقريبي على عمره الذي يكون قريباً من سن خرقاء . ثم تقف بعض الأخبار على مجاورته لامرأة من عبس وقد أقام عندها شهراً وهام بها عشقاً ويؤكد هذا الخبر انه كان من أجمل الرجال واشطّهم[٨] ، ويشكو القحيف في بعض قصائده حساده الذين كانوا يغارون من نبوغه وشهرته وهم من ابناء عمه الذين حاولوا أن يفسدوا علاقته[٩] .

كانت منطقة الفَلَج وما أحاط بها من البادية هي دار بني كعب بن ربيعة بن عامر ، وفي جنوبها كانت بلاد قيس ومنطقة الفَلَج هي المنطقة التي كان يتحرك فوقها شاعرنا ، وتسمى فلج الأفلاج لكثرة زرعها ونخيلها ، وقد أشار إليها الشاعر ووقف عندها وذكر ثمارها ونخيلها وما توزع في أرضها من نبت خضيد ومنظر أنيق وما تربعت فيها من خُرّد[١٠] ، وفي ربوع المواضع المتناثرة في هذه المنطقة كان صوت القحيف يرتفع ليذبّ عن قومه بعد ان استعر أوار الحرب بين

بني عقيل وحنيفة عندما جاءَت حنيفة غازية كعباً ، وجاء صريخ كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أمير عليها ، فأرسل في عقيل يستمدها فأتته ربيعة بن عقيل وقشير بن كعب والحريش بن كعب وافناء خفاجة ، وكان ممن سار معه القحيف ويزيد بن الطثرية فساروا حتى واجهوا القوم فواقعوهم ، وقتل في هذه الواقعة يزيد بن الطثرية فرثاه القحيف بأبيات مجَّد فيها بطولته ، وبكى شجاعته ، وذكر نخوته ومروءته واستذكر أيامه .

إن التزام الشاعر بالدفاع عن قضايا قومه كانت تنعكس في المشاعر الصادقة التي كان يطوي عليها ضلوعه وهو يرثي ابطالهم . ويمجد قتلاهم ويذكر حسن بلائهم فكانت هذه الومضات المتباعدة التي وقفنا عليها تؤشر الحسن الذي كان يتداخل في نفسه ، واللوعة التي كانت تعتلج في حناياه وهو يبكي اولئك الرجال الأشداء أمثال الشاعر يزيد بن الطثرية الذي كان ينعته بالصنديد والفتى الذي خسرت به القبيلة حامياً من حماتها ومدافعاً عن وجودها[١١] .

وبناء القصيدة عند القحيف ينحو نحواً تقليدياً لأنه يحاول ان يمهد لكل غرض بما يتناسب معه .

وقصيدة الحرب التي كانت تأخذ حجماً متميزاً من شعره كان الشاعر يهيء لها لوازمها وعدتها ويعالج موضوعاتها بأساليبه التي تعطيها الصورة الواضحة ، وتحقق لها المناخ المناسب ، بعد أن يمهد للأحداث التي سيعرض لها . متخذاً من الحجج ما يبرر له خوضها ، ولعلّ قصيدته العينية التي عثرنا عليها ــ وهي أكمل من بقية قصائده ــ تكاد تكون من النماذج الكاملة في هذا الميدان ، فهو يستحضر الهموم بعد ان جَرّعَهُ البين السم الزعاف ، وبعد ان تذوق مطعمه الفظيع . ولكن هذه الحالة لم تحمله على ترك السياق العام الذي كانت تسير بموجبه مسارات القصيدة فهو كالشنفرى وكغيره من الشعراء الفرسان الذين يردون الماء البعيد في جوف الفلاة التي لا أنيس بها إلا الحمام والقطا . وقد اتخذ من زمام ناقته وعمامته صلة لرشائه حتى يبلغ الماء لبعد قعره . وقد أعيا ناقته التعب حتى كلت عن السير ، وقد أوغل بها في الوادي حلاًّ وترحالاً ، فبدت عظامها وضلوعها من الهزال ،

ممهداً بكل هذه الخصائص ليستقل إلى المُهير الذي جمع لقبيلته الجموع ، ولكنه ينتهي إلى تمجيد قومه الذين يكونون نعم القوم عند احتدام الوغى ، وفي اشتداد المعركة[١٢] .

وتمثل قصيدته اللامية التي يمكن ان تكون نموذجاً آخر من قصائده المكتملة صورة البناء التقليدي الذي كان الشاعر يسعى إليه وهو يكشف لنا عن صورة أوضح لقصيدة الحرب التي مهد لها منذ الأبيات الأولى ، ووضع لوازمها وأدواتها التي استخدمها لتكون أكثر ايحاءً ، وأشدّ تأثيراً ، وفي الأبيات وضوح كامل للبيض والنصال والصريخ وحنين النبع والأسل والنهال ومحالفة السيوف وذكر الصافنات وكراديس القبائل ومجاميع الكتائب والنواصي الشعث ، وصياح البيض التي تقرعها النصال . وغيرها من الألوان والأصوات والحركات والمواضع التي تعطي الحرب خلالها ، وتجل للمواقف قدراتها ، وقد اكتملت اللوحة في عرف الشاعر بعد أن استطاع ان يجعلها صوتاً آخر من أصواته الشعرية وملحمة ثانية من ملاحم قبيلته وهي تضارع حنيفة بعد أن كانت حنيفة هي القبيلة التي غزت دياره عدواناً ظَانّة بأنفسها سْدة البأس ، ومعتقدة بقدراتها علي المصاولة ، ولكن الحرب انتهت إلى غير صالحها فتناثرت ممزقة وتوزعت أقساماً .

ان صوت الشعر الحربي كان يرتفع في قصيدة قحيف دفاعاً عن الحمى ، وايماناً بمصلحة القوم وحماية عن الأرض التي وهب لها شعره ونفسه ، فكان حقاً من شعراء الحرب ، وكان حقاً من شعراء القضية التي منحها من نفسه ما تستحق ، ومن مشاعره ما جعلها منتصرة[١٣] ، وهو بذالك يمكن ان يضاف إلى مجاميع الشعراء الفرسان الذين عشقوا البطولة ، وتمثلوا الفروسية وعبروا في مضامينهم الشعرية عن القيم التي كانت تتمثل في هذا الاتجاه ، ولو قُيّض لشعر القحيف ان يكتمل لقدم لنا صورة واضحة عن هذا المفهوم الشعري في عصره ، وعلى الرغم من طول هذه القصيدة فان صاحب «المكاثرة» قد أورد ثلاث أبيات ربما تكون جزءاً منها ، وهذا دليل آخر من ادّلة ضياع شعره وهو آفة ابتلي بها هذا الشاعر وغيره ، ثم تجاوزت الشعراء إلى الشعر العربي الذي ضاع كثير منه ولازمته هذه الظاهرة في مراحله الأخرى .

وكان القحيف أميناً على سيادة قومه ، وحامياً لحمى قبيلته ، وكان شعره تعبيراً عن هذا التوظيف وكانت مضامينه تؤكد عمق الاحساس بالانتماء إلى الأرض التي عاش فوقها ، وفي مجابهته للمهير بن سلمي الحنفي كانت تتجسّد هذه الروح وتتعالى هذه الصيحة ، فكان دون العقيق الموت ورداً وأحمرا[١٤] . وكان قتلى قومه من الشهداء الصابرين[١٥] وعلى الرغم من الجموع التي حشدها المهير من حنيفة فإن قومه سيرهبون خصومهم وهم يردون في أيمانهم البيض لامعة . وقد تجمعت عقيل وقشير وجعدة والحريش وكلهم ليوث غاب[١٦] وعندما كانت تتصاعد في نفسه سورة الفخر ، وتعلو همته قدرات الاعتزاز كان شعره يأخذ اتجاها قومياً حادًّا ، وكانت معانيه تلتقي في حدود إبائه الفذ ، وعندها تكون غضبة مضرية[١٧] ، وتختلط بفخره مروءته وانسانيته التي تعف عند المقدرة وتصفح عند التمكن عزةً وتكرماً ، وهذا ماكان يؤكده الشاعر في بعض مقتطعاته التي بقيت من قصائد طويلة[١٨] وكثيراً ماكان فخره يأخذ المبالغة تأكيداً لروح الاعتزاز ، وترسيخاً لصوت الشموخ والتحدي[١٩] ، وكان الشاعر يعبر عن لذة الاشتفاء من الخصوم والتغني بالنصر والحرص على ادراك الثأر وتأكيد قدرة القبيلة في اذلال خصمها واذاقته الهوان ، وتجريعه كؤوس الهزيمة .

لقد تركت أيام الفلج أثرها الواضح في شعر القحيف بعد ان اقتطعت جزءا من شعره وأخذت حجمها المناسب من قصائده . لأنه حاول ان يتحدث من خلالها عن قدرة قومه الحربية اذ اشتدت فيها سواعدهم ، والتقت قبائلهم وتوحدت سيوفهم ، وارتفعت راياتهم ، وكان اعتزازه بقومه يوحي بعمق الصلة الممتدة في جذور انتمائه ، ويؤكد ولاءَه إلى النصر الذي يمكن أن يتحقق وهذا ما دفع صاحب « المؤتلف والمختلف » إلى أن يقول : كان كثير الذب عن قومه[٢٠] ، ولعل خروجه ويزيد بن الطثرية في مقدمة المقاتلين دفاعاً عن حمى القبيلة ، وذوداً عن كرامة ابنائها يعطي هذا التصور وجهه الواضح ، ويحدد رأي الشاعر في القضايا الحاسمة التي كانت تتعرض لها القبيلة ، وان حرصه على ابلاغ رسالته إلى قريش وأفناء قيس كان يعني تحمله مهام قومه ، واضطلاعه بالمسؤولية الكبيرة التي كانت تفرضها عليه تبعاته من خلال التزامه الشعري ، وهذا ماكان

يدفعه إلى ادانة (حنيفة) القبيلة التي كانت تشكل محور الصراع من قومه وكان ذكرها يقترن بعبارات التهديد والوعيد مثل عتابها بالرماح وغيرها[٢١] ، وفي الطرف الثاني من الصراع كانت تتردد أسماء قبيلته وبطونها مثل عقيل وكعب وخاصة عندما تشتد زحمة الصراع ، وتتعالى قعقعة السيوف ويحتدم اشتجار القنا . كما أنّ فخره بانتصار قومه كان يقترن أيضاً بتذكيره لخصومه وهم يتساقطون صرعى على النشاش بعد أن ضربوا ضرباً شديداً[٢٢] أو تركوا صرعى تنتابهم القشاعم والذئاب ، وتوزعهم السباع والضباع[٢٣] ، وكما كانت النشاش تذكره بمواقع الانتصار كانت (النقب) تثير في ذهنه صورة الاقتدار ، وهو يذكر بني حنيفة وماجرى لهم .

وتظل أسماء المواضع التي عرض لها أو وقف عندها تمثل الاشارة الجادة في تعلقه بأرضه وحبه لها وصلته بكل جزء من أجزائها ، وكان الشاعر حريصاً على تحديد هذه المواقع وهذا ما جعل البلدانيين يستشهدون بشعره، ويعتمدونه في تثبيت هذه المواقع وقد استشهد له ياقوت في « معجم البلدان » بأبيات كثيرة ، فقد ذكر (معدن البرم)[٢٤] وأضاخ[٢٥] وخبت[٢٦] والسيدان[٢٧] والأوق[٢٨] والخنوقة[٢٩] وفلج الأفلاج[٣٠] وذي بقر[٣١] وكتمان[٣٢] والعقيق[٣٣] .

إن دفاع الشاعر عن قبيلته ، وانصرافه إلى تسجيل مآثرها الزم شعره بظاهرة تميزه بالفاظ الحرب والسلاح فكان قاموسه مشحوناً بالفاظ الحرب : فالرماح[٣٤] والحرب[٣٥] والصارم[٣٦] والسيوف[٣٧] والقنا[٣٨] والدروع[٣٩] والمغفر[٤٠] والشهيد[٤١] واللواء[٤٢] والطعن[٤٣] والصرعى[٤٤] والسبايا[٤٥] والصنديد[٤٦] والأسنة[٤٧] . وغيرها من الألفاظ التي تمثل المعاني البارزة في قصائده . أما غزله فعلى الرغم من روح القتال ، وخوض غمرات، الحرب التي عاشت في شعره . وارتسمت في مدلوله الفني ، واتسع حجمها في استخدامه فان ذالك لم يحل دون اظهار عاطفته التي كانت تشرق في ملاحة ابياته ، وحبّه الذي كان يترقرق في ظل شوقه ، واحاسيسه التي كانت تُراق على أطراف الفاظه ، وترش وجوه معانيه ، فيزهو في دلالتها الشوق اللامع ، ويزهو في خفقاتها حبّه الأصيل[٤٨] فخرقاء التي جاوزت التسعين سنة لم تزد إلا ملاحة في عيني القحيف ، لأنها أصبح من

القبس ، ولأنها تظل تحمل رونق الصبا ، وتعيش الوجه المشرق ، وتضفي على الحياة من روحها ما تجعلها رائعة في كل العيون ، رضية في كل القلوب ، ولأن الشاعر ظل ينظر إليها من خلال نظراته القديمة فبقيت الصورة لا تتغير ، وظلت العيون الخالدة تفيض بمعاني الشباب الفتي ، والنضارة الزاهية ، وهذا ماجعلها غير مرتبطة بالزمن . لانها تخرج عليه من هذا المنظار ، وتبتعد عن صروفه في هذه العيون ، ولا تقع تحت تأثيره في دائرة الأحداث التي يقع تحت ضغطها الآخرون ، وهذا ما اعطاها صورة الملاحة ، ثم تبدو لنا شخصية ثانية عندما يتحدث إلى امرأة من عبس ، ولكن الاخبار لا تروي لنا بقية القصة بعد أن تنقطع أبيات القصيدة عند البيت الرابع ، وتنتهي معها قصة الشاعر الذي جاور بني عبس ، وأقام عندهم شهراً وهام بالمرأة العبسية ، والأبيات الأربعة يغلب عليها طابع الفتوة والفروسية وتتصاعد فيها عبارات الحرب والشجاعة وربما اتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عن قدرته ، وكانت المرأة فيها شاهداً على فروسيته ، وفي القطعة (٢٥) يذكر أبو الفرج أن بعض الفقهاء نهى القحيف عندما شاهده وهو يحد النظر إلى امرأة فنهاه عن ذالك وقال له : اما تتقي الله ؟ ، ويعبر الشاعر من خلال أبياته التي يرد بها عن فلسفته التي وجد لها طريقاً في تلك الأبيات[٤٩] .

ووقفنا على مقطع من قصيدة له في مدح حكيم بن المسيب القشيري ومديحه يجاري فيه معاني المديح المتعارف عليها ، ولكن انقطاع الأبيات وضياع القسم الآخر من القصيدة قطع الصورة التي عبر خلالها الشاعر عن منهجه فيه[٥٠] .

ديـــــوانـه :

يشير صاحب « الخزانة » إلى ديوان الشاعر بخط محمد بن حبيب[٥١] وكذالك تأتي الاشارة في شرح أبيات « مغني اللبيب »[٥٢] ويشير البكري في « التنبيه » وهو يذكر بيتاً له بانه ثابت في ديوان شعره[٥٣] ، ويبدو أن عوادي الأيام قد اتت على الديوان فطمرته مع المجاميع الأخرى التي لم تظهر حتى يومنا هذا ، وهذا ما دفع المستشرق كرنكو إلى أن ينبري لجمع شعر الشاعر الذي جمع له ثلاثاً وعشرين مقطوعة ونشرها عام ١٩٣١[٥٤] . ومثله صنع الأخ الأستاذ حمد الجاسر ، حفظه

الله تعالى . وعلى الرغم من الفائدة الكبيرة التي قدمها نشر هذا الديوان إلا أن الطبعة جاءَت خالية من التخريج والشرح والدراسة التي تعطي هذا الشاعر نصيبه ، وقد استطعنا ان نضيف واحداً وعشرين بيتاً إلى ما جمع الاستاذان الفاضلان مع محاولة دراسة شعر الشاعر وحياته من خلال تحليل الأبيات وابراز الجوانب المتميزة في شعره ، ويبقى فضلَ السبق لهما .

ان عدد الأبيات التي عثرنا عليها تؤكد مجموعة من الحقائق التي يمكن ان ننتهي إليها . منها ان الصفة العامة عليها صفة الأبيات المفردة والمقطعات التي تعني انها أجزاء من قصائد ، كما ان مقدمة بعض القصائد تؤكد انها مقدمات لاغراض الزم الشاعر نفسه بها ، وان هذه المقدمات كانت مشحونة بالعواطف وهي بلا شك محاولات للوصول إلى الأغراض الأخرى التي تؤدي إلى الغرض الرئيس الذي أراده الشاعر ، ولكن انقطاع الأبيات المفاجيء يوحي بالضياع الذي أصاب القطعة(٥٦) ، وتتجدد هذه الظاهرة في القطعة رقم (٩) التي لم تبق الأيام منها غير ثلاثة أبيات وقف فيها الشاعر عند المواضع التي كان يطوف بها ، أو يحن إليها ، وقد تقدمته الحمول الروائح ، وتبقى مقدمات القصائد التي وقف الشاعر عندها دليلاً من أدلة ضياع شعر الشاعر بعد ان وجدناه يباشر الموضوع ، ويقدم له ثم تنقطع الأبيات(٥٧) .

وشعر القحيف العقيلي الذي كتب عليه ان يظهر للمرة الثالثة وهو بهذه القلة فان أسباباً كثيرة تختفي وراء هذا الشعر الذي يظل يمثل النقطة الأولى في جمع شعره أو العثور على ديوانه الذي اكَدّت النصوص وجوده إلى زمن البغدادي (١٠٩٣) للهجرة ، وندعو الله جلّت قدرته أن يوفق العاملين على احياء التراث ، إنّه نعم الموفق .

[الحواشي] :

(١) « طبقات فحول الشعراء ٢/٧٦٩ - ٧٧٠
(٢) « الأغاني » ٢٤/٨٣
(٣) « المؤتلف والمختلف » ١٢٩
(٤) « الأغاني » ٢٤/٨٣
(٥) « الخزانة » ٤/٢٥٠
(٦) « الخزانة » ٢/٣٤٢
(٧) القطعة رقم (٢٥)
(٨) « الأغاني » ٢٤/٨٥
(٩) القطعة رقم (١٣)
(١٠) القطعة رقم (١٤)

(١١) القطعة رقم (٢٢) و(٣٤)
(١٣) القطعة رقم (٢٣)
(١٥) القطعة رقم (١٩)
(١٧) القطعة رقم (٣٠)
(١٩) القطعة رقم (٣٢)
(٢١) تنظر القطع رقم ١، ٧، ٢٠، ٢٣، ٢٦
(٢٣) القطعة رقم (٢) و(٥)
(٢٥) القطعة رقم (٧)
(٢٧) القطعة رقم (٩)
(٢٩) القطعة رقم (١٠)
(٣١) القطعة رقم (١٥)
(٣٣) القطعة رقم (١٨)
(٣٥) القطعة رقم (١)
(٣٧) القطعة رقم (٥)، (٣٣)، (١٢)
(٣٩) القطعة رقم (١٨)، (٢٠)
(٤١) القطعة رقم (٤)
(٤٣) القطعة رقم (٤)
(٤٥) القطعة رقم (٣)
(٣٧) القطعة رقم (٣٣)
(٤٩) القطعة رقم (٢٥)
(٥١) « الخزانة » ٤/ ٢٥٠
(٥٣) « التنبيه » ١٥٠
(٥٥) في مجلة « العرب » م١ج٥ ١٩٦٧

(٥٧) القطعة رقم (١٤)

(١٢) القطعة رقم (٢٠)
(١٤) القطعة رقم (١٨)
(١٦) القطعة رقم (٢٠)
(١٨) القطعة رقم (٣١، ٣٢)
(٢٠)« المؤتلف والمختلف » ١٢٩
(٢٢) القطعة رقم (١١)
(٢٤) القطعة رقم (٧)
(٢٦) القطعة رقم (٩)
(٢٨) القطعة رقم (٩)
(٣٠) القطعة رقم (١٤)
(٣٢) القطعة رقم (١٦)
(٣٤) القطعة رقم (١)، (١٢)، (٢٦)
(٣٦) القطعة رقم (١٢)، (٣٢)
(٣٨) القطعة رقم (١٤)
(٤٠) القطعة رقم (١٨)
(٤٢) القطعة رقم (٤)
(٤٤) القطعة رقم (٢)، (١١)، (٢٠)
(٤٦) القطعة رقم (١٢)، (٣٤)
(٤٨) القطعة رقم (٦)
(٥٠) القطعة رقم (٣٣)
(٥٢) «شرح أبيات مغني اللبيب» ٢/ ٣٩٣
(٥٤) في مجلة « المجمع الأسيوي البريطاني » سنة ١٩١٣ ص ٣٤١ : ٣٦٨ . - The Journai The Royal Asiatic Society
(٥٦) تنظر المقطعات رقم (١)، (٣)، (٨)

مابقي من شعره

ـ ١ ـ

١ ـ لعمري لقد أمْسَتْ حنيفةُ أيْقَنَتْ بأنْ ليسَ إلا بالرماحِ عتابُها
٢ ـ فخلوا طريقَ الحربِ لا تعرضوا لها إذا مضر الحمراء عبّ عبابُها
٣ ـ فيا حبذا قيس لدى كلِّ موطنٍ تزايل هامَ القومِ فيه رقابُها
٤ ـ ومن ذا الذي لا يَجْتَوي حربَ عامِرٍ اذا ما تلاقت كَعْبُها وكِلابُها
٥ ـ لعمري لقد ضاقَتْ دِمَشْقُ بأهلها غداةَ رَأَوْا قيساً ترفُّ عقابُها

ـ ٢ ـ

١ ـ هم تركوا على النَّشَّاش صرعى أباحوها القشاعم والذئابا

ـ ٣ ـ

أتَنْسَوْنَ يا حَزْنانَ طَخْفَةَ نِسوةً تُرِكْنَ سبايا بينَ فَيْشانَ فالنَّقْبِ(*)

ـ ٤ ـ

١ ـ لقد مَنَعَ الفَرائضَ عن عُقَيْلٍ بطَعْنٍ تحتَ أَلْوِيةٍ وضَرْبِ
٢ ـ ترى منه المُصَدِّقَ يومَ وافَى أطَلَّ على معاشِرِهِ بِصَلْبِ

ـ ٥ ـ

١ ـ تركنا على النَّشَّاش بكرَ بن وائلٍ وقد نهلَتْ منها السيوفُ وعَلَّتِ
٢ ـ وبالفَلَج العادي قتلى إذا التقت عليها ضباعُ الغيلِ باتت وظَلَّت
٣ ـ قتلنا على النَّشَّاش منها عصابةً كراماً وسمناها الهوانَ فذلَّتِ
٤ ـ إذا ما الضباعُ الجِلَّةُ انتجعتهُمُ نما النِّيُّ في أصلائها فاتمَهَلَّتِ

ـ ٦ ـ

قال أبو الفرج : كبرت خرقاء (صاحبة ذي الرمة) حتى جاوزت تسعين سنة ، وأحبت أنْ تَنفِّقَ ابنتها وتُخطب ، فأرسلت إلى القحيف العقيلي ، وسألته أنْ يُشَبِّبَ بها فقال :

١ ـ لقد أرسلتْ خرقاءُ نحوي جَرِيَّها(١) لتجعلني خرقاءُ ممنْ أضَلَّتِ
٢ ـ وخرقاءُ لا تزدادُ إلّا مَلاحَةً ولو عُمِّرتْ تَعْمِيرَ نوحٍ وجَلَّتِ

ـ ٧ ـ

١ ـ فَمَنْ مُبْلِغٌ عني قُرَيْشاً رسالةً وأفناء قيس حيثُ سارَتْ وحلَّتِ
٢ ـ بأنّا تلاقينا حنيفة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم وَلَّتِ
٣ ـ لقد نزلت في مَعْدِنِ البُرْم نزلةً فلأياً بلأيٍ من أُضاخَ استقلَّتِ

ـ ٨ ـ

١ ـ خليليَّ ماصبري على الزَّفَراتِ وما طاقتي بالشَّوْقِ والعَبَراتِ(٢)
٢ ـ سَقَى ورَعَى الله الأوانس كالدُّمى اذا قُمنَ جُنْحَ الليلِ مُبْتَهِراتِ(٣)

٣ ـ إذا مِسْنَ قُدَّامَ البيوتِ عَشِيَّةً قِصارَ الخُطَى يَرْفُلْنَ في الحَبراتِ
٤ ـ دَعَوْنَ بحبَّاتِ القلوبِ فأقْبَلَتْ إليهِنّ بالأهواءِ مُبْتَدِراتِ
٥ ـ تَقَطَّعُ نفسي كُلَّ يومٍ ولَيْلَةٍ على إثرِ ما قد فاتني حَسَراتِ[٤]

ـ ٩ ـ

١ ـ ألا ليت شعري هل تَجِنَّنَّ ناقتي بخبتٍ وقُدَّامي حُمُولٌ روائحُ
٢ ـ تَرَبَّعَتِ السيدان والأَوْق إذ هما محلٌ من الأصرامِ والعيشُ صالحُ
٣ ـ وما يجزأ السيدان في رَيِّقِ الضُّحَى ولا الأَوْق إلّا أَفْرَط العين مائحُ

ـ ١٠ أ ـ

١ ـ تَحَمَّلْنَ من بَطْنِ الخنوقةِ بَعْدَما جَرَى للثريا بالأعاصيرِ بارِحُ

ـ ١٠ ب ـ

وقال لما حرمه إبراهيم بُن عاصم وهو منصرف عنه :

١ ـ أغادٍ أبا الصَبَّاح أمْ متروّح؟ وللْمُغْتَدِي أمضَى هُمُوماً وأَرْوَحُ
٢ ـ وإني غَدُوٌّ مِنْ سجِسْتَان لم أمُت بها لعطاء لي مِنَ الله مُرْبِحُ

ـ ١١ ـ

١ ـ فداء خالتي لبني عُقَيْلٍ وكعبٍ حينَ تزدحمُ الجدودُ
٢ ـ هم تركوا على النَّشَّاش صَرْعى بضربٍ ثمَّ أهْوَنُهُ شَدِيدُ

ـ ١٢ ـ

قال أبو الفرج : كان القحيف العقيلي يتحدث إلى امرأة من عَبْس ، قد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقاً ، وكان يخبرها أنّ له نَعَماً ومالاً ، وهويته العَبْسِيَّة ، وكان من أجمل الرجال وأشَطِّهم ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها في ماله ارتحلَ عنهم وقال :

١ ـ تقولُ لي أخت عَبْسٍ ما أرى إبلاً وأنت تزعم مَنْ والاك صِنْدِيْدُ
٢ ـ فقلتُ يكفي مكانُ اللومِ مُطَّرِدٌ فيه القَتيرُ بسَمْرِ القَيْنِ مَشْدودُ[٥]

٣ ـ وشِكَّةٌ صاغَها وَفْراءَ كامِلَةً وصارم من سيوف الهند مَقْدودُ
٤ ـ انّي ليرعَى رجالٌ لي سوامَهُمُ لي العقائل منها والمقاحِيدُ[٦]

ـ ١٣ ـ

قال ابن سلام : كان القحيف خرج زائراً لإبراهيم بن عاصم العقيلي ، فبعث الأشهب بن كليب العقيلي إلى إبراهيم بن عاصم[٧] رسولاً يخبره أنّ القحيف قد هجاه وأساء القول فيه ، ليحرمه وليقصيه ، ففعل . فقال القحيف :

١ ـ ودَاخلَةٍ بيني وبينَ ابنِ عاصم مباركة الأسباب موصولة غدا
٢ ـ أبا عاصم إنّي إليكَ لَمُشْتَكٍ رِجَالاً عَسَى أنْ يَقْعُدُوا منْكَ مَقعَدا
٣ ـ متى ماتُحِطْ خُبْراً بنا يا ابنَ عاصِمٍ تَجِدْ لي رجالاً من بني العَمِّ حُسَّدا
٤ ـ وما ذاكَ عن ذنبٍ اليهم جَنَيْتُهُ سِوى أنَّ لي ذكراً أغارَ وأنْجدَا

ـ ١٤ ـ

١ ـ بدأنا فقلنا أثأبَ البحرُ واكتَسَتْ أسافلهُ حتى ارْجَحَنَّ وأوَّدا
٢ ـ أمِ التينُ في قُرْيانِهِ تَمَّ نَبْتُهُ خَضِيداً ولولا لينُهُ ما تَخَضَّدا
٣ ـ أمِ النخلُ من وادي القُرى انحرفت له يمانيَّةُ هَزَّ القنا فتأوَّدا[٨]
٤ ـ سقى فلجَ الأفلاجِ من كل قُمَّةٍ ذهابٌ تُرَوِّيه دِماثاً وقُوَّدا[٩]
٥ ـ به نجدُ الصيدَ الغريبَ ومنظراً أنيقاً ورَخْصاتِ الأنامِلِ خُرَّدا

ـ ١٥ ـ

١ ـ فيا عجباً مني ومن طارقِ الكَرَى اذا مَنَعَ العين الرقاد وسَهَّدا
٢ ـ ومن عبرة جاءت شآبيبَ إنْ بدا بذي بَقَرٍ آياتُ ربعٍ تأبَّدا

ـ ١٦ ـ

١ ـ نظرتُ خلالَ الشمسِ من مشرقِ الضحى ووافَيتُ من كُتْمانَ ركناً عَطَوَّدا
٢ ـ بعينين لم تستكرها يومَ غُبرةٍ ولم تهبطا جوفَ العراقِ فترمدا
٣ ـ إلى ظُعُنٍ للمالكيات بالضُّحى فيالك مرأى ما أشاقَ وأبعدا

— ١٧ —

وقال وهو في الطريق :

١ ـ طلبتك ما طلبتك أمّ عَمْرو ولم يعلم علينا الناس عارَا
٢ ـ وكنتُ من العفافِ وكانَ مني وكنتِ عفيفة عِلْمِي نَوارا
٣ ـ فلمّا أحدث الحدثانُ أمراً وجَدَّ الحَبْلُ فانْجَزر انْجِزَارا
٤ ـ مررت أمام بيتك أجْنَبِيًّا وأمّا مِنْ هواك فلا اعتذارا
٥ ـ ولولا أنت ما نظرتَ زر نجم إليَّ ولا اعْتَرَفْتُ لها منارا
٦ ـ ولا اسْتَقْبَلتُ بينَ جِبَالِ بَمٍّ وإسبيذ لِهَاجِرَةٍ أُوَارَا

— ١٨ —

١ ـ أأمَّ ابنِ ادريس أَلَمْ يأتِكِ الذي صبَحْنا ابنَ ادريس به فتقطَّرا
٢ ـ فليتكِ تحت الخافقين تَرَيْنَهُ وقد جُعلت درعاً عليها ومِغْفَرا
٣ ـ يريدُ العقيقَ ابنُ المُهَيْرِ ورهطُهُ ودونَ العقيقِ الموتُ وردا وأحمرا
٤ ـ وكيفَ تريدون العقيقَ ودونَهُ بنو المحصنات اللابسات السَّنَوَّرا

— ١٩ —

قال يرثي يزيد بن الطثرية :

١ ـ ان تقتلوا منّا شهيداً صابرا
٢ ـ فقد قَتَلنا منكم مَجازرا[١٠]
٣ ـ عشرين لمّا يدخلوا المقابرا
٤ ـ قتلى أصِيبتْ قُعْصاً نحائرا[١١]
٥ ـ نُفْجاً ترى أَرْجُلَها شواغِرا[١٢]

— ٢٠ —

١ ـ أمنِ أهلِ الأراك عَفَتْ رُبُوعُ نَعَمْ سَقْياً لهم لو تستطيعُ
٢ ـ زيارتَهم ولكن أحْضَرتنا همومٌ مايزالُ لها مُشيعُ
٣ ـ كأنَّ البَيْنَ جَرَّعني زُعافاً من الحيَّاتِ مَطْعَمُهُ فظيعُ

٤ ـ وماءٍ قد وردتُ على جَبَاهُ حَمامٌ حائمٌ وقَطاً وُقوعُ[١٣]
٥ ـ جعلتُ عمامتي صِلةً لدَلْوِي إليه حينَ لم تَرِد النسوعُ[١٤]
٦ ـ لأسقيَ فِتْيةً ومُنَقَّباتٍ أضرَّ بنِقْبِها سَفَرٌ وجيعُ[١٥]
٧ ـ رَكبناها سَمانَتَها فلما بَدَتْ منها السَّناسِنُ والضلُوعُ[١٦]
٨ ـ صَبَحناها السِّياط مُحَذْرَجاتٍ فَعَزَّتْها الضليعة والضليعُ[١٧]
٩ ـ لقد جَمَعَ المُهَيْرُ لنا فقُلنا أتحسَبُنا تروِّعُنا الجُموعُ
١٠ ـ سَتَرْهَبُنا حَنِيفةُ إن رأتنا وفي أيمانِنا البِيضُ اللّموعُ
١١ ـ عُقَيلٌ تَغْتَري وبنو قُشَيْرٍ تَوارَى عن سواعِدها الدرُوعُ[١٨]
١٢ ـ وجَعْدةُ والحريشُ لُيوثُ غابٍ لهم في كلِّ مَعْرَكَةٍ صَريعُ
١٣ ـ فنِعْمَ القومُ في اللَّزَباتِ قومي بنو كَعْبٍ إذا جَحد الرَّبيعُ[١٩]
١٤ ـ كُهولٌ مَعْقِلُ الطُّرَداءِ فيهم وفتيانٌ غَطارفةٌ فروعُ
١٥ ـ فمهلاً يا مُهَيْرُ فانتَ عبدٌ لكعب سامِعٌ لهمُ مُطيعُ
١٦ ـ خليلٌ وامقٌ شفق عليها له منها ابنُ أربعةٍ رضيعُ
١٧ ـ مَريعٌ منهمُ وطنٌ فشِسْعَى بعيدٌ منْ له وَطَنٌ مَرِيعُ[٢٠]

ـ ٢١ ـ

تبيتُ مع الأزلامِ في رأس حالقٍ وترتادُ مالم تَحْتَرِزْهُ المخاوِفُ

ـ ٢٢ ـ

قال يرثي ابن الطثرية :

١ ـ ياعينُ بكِّي هَمَلاً على هَمَلْ
٢ ـ على يزيد ويزيد بن جَمَلْ[٢١]
٣ ـ قتّال أبطال وحَوْلَهُ حِلَلْ[٢٢]

ـ ٢٣ ـ

وقال في يوم الفلج : حين جاءهم صريخ بني كعب بن ربيعة على بني عِجل :

١ ـ ديارُ الحيِّ تَضْرِبُها الطِّلالُ من الخافي بها أهلٌ ومالُ[٢٣]

٢ ـ وأجْـذَمَ ذَبُّها عَـوْداً وبَـدْءاً بـدَفَّيْهِ تَعَبْقَـرَتِ السِّخـالُ[٢٤]
٣ ـ بها الفُدُرُ الـرِّيادُ وكـلُّ هِقْلٍ كبيتِ الرَّفْقَةِ احترقوا فقالوا[٢٥]
٤ ـ أمـا ومُعَلِّمِ التـوارةِ مـوسى ومَنْ صلَّى وصامَ له بِلالُ[٢٦]
٥ ـ لقـد كانَتْ تَـوَدُّكَ أُمَّ عَمْـرٍو بذاتِ الصَّدْرِ إذْ نُسِيَ الخِلالُ[٢٧]
٦ ـ وبَيْض يجعـلونَ الهـامَ فيهـا اذا ابيضَّتْ من الخلل النِّصالُ[٢٨]
٧ ـ ولما أنْ دَعَـوْا كعباً وقـالوا نَـزَال وعـادةٌ لهُمُ نـزالِ[٢٩]
٨ ـ أتـانـا بـالعقيقِ صريـخُ كَعْبٍ فَحَنَّ النَّبْعُ والأَسَلُ النِّهالُ[٣٠]
٩ ـ ثـلاثـاً ثُـمَّ وَجَّهْنَـا إلَيْـهِمْ رَحىً للموتِ ليس لها ثِقالُ[٣١]
١٠ ـ وحـالَفْنا السيـوفَ وصـافِنـاتٍ سـواءٌ هُنَّ فينـا والعِيـالُ[٣٢]
١١ ـ بنـاتُ بناتِ أعْـوَجَ طـامِحـاتٍ مدى الأبصارِ جِلَّتُها الفِحالُ[٣٣]
١٢ ـ شـعـيرٌ زادُهـا وفتيتُ قَـتٍّ ومن ماءِ الحديدِ لها نِعالُ[٣٤]
١٣ ـ وكَـرْدَسَتِ الحريشُ فعـارضُونـا بخَيْلٍ في فوارِسِها اخْتِيالُ[٣٥]
١٤ ـ وسـالت من أبـاطِحِهـا قُشَـيْرٌ بِمِثْلِ أتيِّ بِيشَة حين سَالوا[٣٦]
١٥ ـ نقـودُ الخيـلَ كُـلَّ أَشَقَّ نَهْدٍ وكلَّ طِمِرَّةٍ فيهـا اعتدالُ[٣٧]
١٦ ـ تكـادُ الجنُّ بـالغَـدَواتِ منَّـا اذا اصْطَفَّتْ كتائِبُنا تُهالُ[٣٨]
١٧ ـ فَبِتْنَ عـلى العُسَيْلَةِ مُمْسكـاتٍ لَهُنَّ غُـدَيَّةً رَهَـجٌ جُفـالُ[٣٩]
١٨ ـ فلمَّا شَقَّ أَبْيَضُ ذو حَـواشٍ لـه حـالٌ وللظلماء حـالُ[٤٠]
١٩ ـ صبحنـاهُمْ نـواصِيَهُن شُعْثـاً بهنَّ حـرارةٌ وبنا اغْتِـلالُ[٤١]
٢٠ ـ فلما جُحْـدِلَـتْ مِئتـانِ منهم وَفَرَّ حنانُهُمْ عنهم فـزالوا[٤٢]
٢١ ـ وصـاروا بـينَ مُمْتَنٍّ عليـهِ ومنصوبٍ لـه جِـذْعٌ طَـوَالُ
٢٢ ـ تُكَفِّنُهُمْ حَنِيْفَـةُ بعـد حَـوْلٍ وكيف يُكَفَّنُونَ وقد أحالوا[٤٣]
٢٣ ـ أَمِنْكُمْ يـاحنيفَ نَعَمْ لَعَمْـرِي لِحىً مَخْضوبَةً ودَمٌ سِجَالُ[٤٤]
٢٤ ـ ولولا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْل حَجْرٍ صِياحَ البَيْضِ تَقرَعُها النِّصَالُ[٤٥]
٢٥ ـ كـأنَّ الخيـلَ طـالِعَـةً عليهم بفُرْسانِ الصَّباحِ قَطاً رِعالُ[٤٦]

ـ ٢٤ ـ

قال في يوم النَّشَّاش :

١ ـ وبـالنشـاش يـومٌ طـارَ فيـه لنـا ذِكْـرٌ وعُـدَّ لنـا فَعَـالُ

٢ ـ كـأنّ الأيْمَـنَـيْنِ بـني نُمَـيْرٍ وايـانـا وقـد حَسِرَ القتـالُ
٣ ـ سَحـابـة صَيِّف للبَـرْقِ فيهـا زَفِيفٌ لـيلةَ اختبـأَ الهـلالُ

ـ ٢٥ ـ

قال أبو الفرج : نظر بعض فقهاء أهل مكة إلى القُحيف ، وهو يحدُّ النظر إلى امرأة ، فنهاه عن ذالك ، وقال له : أما تتقي الله ؟ تنظر هذا النظر إلى غير حُرمةٍ لك وأنت محرم ؟ فقال القحيف :

١ ـ أعْينيَّ مَهْلاً طالما لم أقُلْ مَهْلا وماسَرَفاً مِ الآنَ قلتُ ولا جَهْلا(٤٧)
٢ ـ وان صِبا ابنِ الأربعينَ سفاهةٌ فكيف مع اللائي مُثِلْتُ بِهَا مَثْلاَ(٤٨)
٣ ـ عـواكِفَ بالبيتِ الحـرامِ ورُبَّما رأيتَ عيونَ القوم من نحوها نُجْلا
٤ ـ يقـولُ لي المفتي وهُنَّ عَشِيَّةً بمكَةَ يَسْحَبنَ المُهَدَّبَةَ السُّحْلا(٤٩)
٥ ـ تَقِ الله لا تنـظرْ إليهنَّ يا فتى وماخِلْتُني في الحجِ مُلْتَمِساً وَصْلا(٥٠)
٦ ـ ووالله لا أَنْسى وانْ شَطَّت النَّوَى عرانينَهُنَّ الشُّمَّ والأعينَ النُّجْلا(٥١)
٧ ـ ولا المِسْكَ من أعرافِهِنَّ ولا البُرى جواعِل في أوساطِها قَصَباً خَذْلا(٥٢)
٨ ـ خليليَّ لولا الله ما قلتُ مَرْحَبا لأول شَيْباتٍ طَلَعْنَ ولا أَهْلا(٥٣)
٩ ـ خليليَّ إنّ الشيبَ داءٌ كَرِهْتُـهُ فما أحسنَ المرعى وما أَقْبَحَ المحلا
١٠ ـ ومن أعجب الدنيا إليَّ زُجاجةٌ تَظَلُّ أيادي المنتشِينَ بها فُتْلا(٥٤)
١١ ـ يَصُبّونَ فيها من كُرومٍ سُلافةً يروحُ الفتى عنها كأنّ به خَبْلا

ـ ٢٦ ـ

١ ـ أتعرِفُ أم لا رَسْمَ دارٍ مُعَطَّلا من العام يمحاهُ ومن عام أولا(٥٥)
٢ ـ قـطارٌ وتـاراتٍ خَـريقٌ كـأنَّها مُضِلَّةٌ بَوٍّ في رَعيلٍ تَعَجَّلا(٥٦)
٣ ـ ولو أنكرت ضَيْماً حنيفةُ حَلَّقَتْ بها المُغرِبُ العَنْقاءُ حَوْلاً مُكَمَّلا
٤ ـ وفي الصَّحْصَحِيّين الذينَ تَرَحَّلوُا كواعِبُ من بَكْرٍ تُسامُ وتُجْبَلا
٥ ـ أُخِذْنَ اغْتصاباً خِطْبَةً عَجْرَفِيَّـةً وأُمْهِرْنَ أرْماحاً من الخطِّ ذُبَّلا

ـ ٢٧ ـ

حيـاً وحيـاةٌ مـا تَضُرُّ جنـودُهُ بـريئـاً وتختصُّ الأثيمَ المُعَتَّـلا

ـ ٢٨ ـ

١ ـ على كل ذَيَّالٍ أَطارَ نَسِيلَهُ عُبابُ الحيا والخِصبُ حتى تَفَيَّلا
٢ ـ رَعى الرَّوضَ والقُريانَ حتى إذا رأى نَصالَ السَّفا من حيثُ رُكِّبْن نُصِّلا

ـ ٢٩ ـ

١ ـ عـاثَتْ في الْعَقِيْقِ بنـو قُشَـيْرٍ كَعيْثِ جَعَارٍ في أخرى الرِّخالِ
٢ ـ خنَـاثَى يـأكلونَ التمـرَ لَيْسُـواً بـزوجـاتٍ يلِدْنَ ولا رِجـالِ

ـ ٣٠ ـ

فلولا السَّـرِيُّ الهـاشمُّي وسيفُـهُ أعادَ عُبَيْدُ الله يوماً على عُكْلِ

ـ ٣١ ـ

١ ـ لقد لَقِيَتْ أفناءُ بكر بن وائلٍ وهِزَّانُ بالبطْحَاءِ ضَرْباً غَشَمْشَما[٥٧]
٢ ـ اذا مـا غَضِبنا غضبـةً مُضَـرِيَّـةً هتكنا حِجابَ الشمسِ أو قَطَرَت دما[٥٨]

ـ ٣٢ ـ

١ ـ سلوا فَلَجَ الأفلاجِ عنّا وعنكم وأكْمَةَ اذْ سالتْ سرارتُها دما
٢ ـ عشيَّةَ لو شئنا سَبَيْنا نساءَكُم ولكنْ صَفَحْنا عِزَّةً وتكرُّما
٣ ـ عشيَّةَ جاءت من عُقَيْلٍ عِصابةٌ تقدَّمَ من أبطالِها مَنْ تقدَّما

ـ ٣٣ ـ

١ ـ فـإن تضربونـا بالسياطِ فَإنَّنـا ضربناكم بالمرهفاتِ الصـوارِمِ
٢ ـ وانْ تحلقوا منا الرؤوس فَإنَّنـا قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصِمِ

ـ ٣٤ ـ

قال يمدح حكيم بن المسيب القشيري :

١ ـ اذا رَضِيَتْ عـليَّ بنـو قُشَـيْرٍ لعَمْرُ الله أعْجَبَني رضاها[٥٩]
٢ ـ ولا تنبـو سيـوفُ بني قُـشَـيْرٍ ولا تمضي الأسِنَّةُ في صفاها[٦٠]

٣ ـ تَنَضِّيْتُ القِـلاصَ إلى حكـيمٍ خوارجَ من تَبالةَ أو مناها[٦١]
٤ ـ فـما رَجَعَتْ بخـائبـةٍ رِكـابُ حَكيمُ بن المُسَيَّبِ مُنْتهاها[٦٢]

ـ ٣٥ ـ

قال يرثي يزيد بن الطثرية :

١ ـ ألا تـبـكـي سَراةُ بـني قُـشَـيْرٍ عـلى صِنديـدِها وعـلى فَتاهـا
٢ ـ فـانْ يُقْتَـلْ يـزيـدُ فقـد قَتَلْنـاً سراتَهُمُ الكهـول على لحـاهـا
٣ ـ أبا المكشوحِ بَعْـدَكَ من يُحامي ومَنْ يُزجي المطيَّ على وَجَاها

ـ ٣٦ ـ

١ ـ ومختبطٍ بَيَّتُّ إذْ جـاء طـارقـاً وأحسنتُ مثواه وأسررتُ ما يَهْوَى
٢ ـ فباتَ دَفِيأً طاعِماً غـيرَ مُوْءَبٍ إلى أَنْ غدا مُرْغَى وأعلنتُ ما يُرْوَى

بغداد : د. حاتم صالح الضامن

[الحواشي] :

(*) [أرى صواب كلمة (حزنان) : (خزان) بالخاء المعجمة بعدها زاي فألف فنون ـ جمع خزز : وهو ذكر الأرانب ، ويضرب به أبناء البادية المثل في سرعة الهرب فيقولون : أخوف من الخزز ، وأهرب من الخزز . كما يقولون ذالك على الأرانب . وأضيف إلى طخفة لكثرة أرانبها ، إذ حولها شعاب وأودية كثيرة تألفها الأرانب إلى عهدنا هذا . أما فيشان والنقب فهما من قرى بني حنيفة ، كما في كتاب « صفة جزيرة العرب » ـ ٢٥٤ ـ ط « دار اليمامة » ـ حمد]

(١) حريها : رسولها .

(٢) « الأغاني » : بالهم .

(٣) « الزهرة » : منبهرات .

(٤) « الأغاني » : تساقط نفسي . . . فاتها « الزهرة » . . . . من قد فاتها .

(٥) القتير : رؤوس المسامير . السمر : شد الشيء بالمسمار . القين : الحداد .

(٦) العقائل : جمع عقيلة ، وهي كرائم الابل . والمقاحيد : جمع مقحاد . وهي الناقة العظيمة القحدة وهي السنام .

(٧) إبراهيم بن عاصم العقيلي ، أحد قواد أسد بن عبدالله القسري ، أخى خالد بن عبدالله القسري . والأشهب الذي ورد ذكره في مقدمة القصيدة هو الأشهب بن عبدالله بن كليب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل من بني عم القحيف ، ذكره الآمدي في « المؤتلف والمختلف » وهو شاعر « هامش طبقات ابن سلام » ٧٩١ .

(٨) في الأصل : هن القنا . وهو تحريف .

(٩) في الأصل : من كل همة . وهو تحريف . قال ياقوت : ويروى : سقى الفلج العادي .

(١٠) « الأغاني » : فقد تركنا .
(١١) القعص : القتل السريع .
(١٢) نفجا : من الانتفاج ، وهو الارتفاع . شواغر : مرفوعات .
(١٣) الجبى : الماء المجموع في الحوض للإبل . وفي « طبقات ابن سلام » : وماء قد يظل .
(١٤) النسوع : جمع نسع ، وهو سير مضفور يجعل زماما للبعير . وفي « طبقات ابن سلام » بتبلغ اذا تقاصرت النسوع .
(١٥) منقبات : رقيقة الأخفاف . النقي : مخ العظام . وفي « طبقات ابن سلام » : ومنفهات . . . أضر بنيها . وفي « اللسان » : ومنفهات . . . رجيع .
(١٦) السناسن : حروف فقار الظهر ، أو رؤوس أطراف عظام الصدر .
(١٧) محدرجة : مفتولة . يقال : حدرج السوط أي فتله وأحكمه حتى استوى وصار أملس . وعزتها : غلبتها . الضليعة والضليع : القوي الشديد الأضلاع الواسع الجنبين .
(١٨) تغتزي : تقصد .
(١٩) اللزبات : الشدائد .
(٢٠) مريع وشسعى : موضعان .
(٢١) « الأغاني » : حمل ، بالحاء المهملة .
(٢٢) « الأغاني » جرار حلل . والحلل : جمع حلة ، بالكسر ، وهم القوم النزول ، وفيهم كثرة .
(٢٣) الطلال : جمع طل ، وهو مطر صغار القطر . الخافي : الجن ، وأرض خافية : بها جن .
(٢٤) أجذم : أسرع . الذب : الثور الوحشي . تعبقرت : جنت ، أي صارت كأنها في أرض عبقر ، وهي أرض الجن ، والسخال : جمع سخلة : وهي ولد الشاة . والدف : صفحة الجنب .
(٢٥) الفدر ، من الوعول : المسن منها أو الشاب التام . الرياد : من راد يرود ، إذا جاء وذهب لم يطمئن ولم يستقر . الهقل : الظليم (ذكر النعام) . احترقوا : من شدة حر الشمس . قالوا : من القيلولة .
(٢٦) بلال : هو ابن رباح الحبشي ، مؤذن الرسول ﷺ .
(٢٧) ذات الصدر : اسم مكان على الأغلب . الخلال : المصادقة .
(٢٨) البيض : جمع بيضة وهي الخوذة التي توضع عل الرأس . الخلل : منفرج مابين الصفوف في الحرب . النصال : جمع نصل ، وهو حديدة السيف أو السهم .
(٢٩) في البيت اقواء .
(٣٠) العقيق : عقيق اليمامة ، وهو واد واسع ، وهو لبني عقيل . الصريخ : المستغيث . النبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . الأسل : نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق ، محددة الأطراف معتدلة ، وسميت الرماح أسلا على التشبيه به . والنهال : المتعطشة إلى الدم ، فاذا شربت منه رويت .
(٣١) ثلاثا : أي ثلاث ليال . الثفال : جلد يبسط تحت رحى اليد ليقي الطحين من التراب .
(٣٢) الصافنات : الجياد . وصفنت الفرس : اذا قامت على ثلاث . وفي « الأغاني » : ومضمرات .
(٣٣) أعوج : فرس عتيق . وطمح بصره إلى الشيء : ارتفع . ومدى البصر : منتهاه . جلة ؛ جمع جليل ، وهو المسن . وفي « أدب الكاتب » وشرحيه : ملجمات . . . عليتها الفحال .
(٣٤) القت : أجود علف الخيل . ماء الحديد : أي الحديد نفسه أذيب ثم سبك .
ورواية « الأغاني » :

تعادى شزبا مثل السعالي ومن زبر الحديد لها نعال

(٣٥) كردس القائد خيله : جعلها كتيبة كتيبة . والحريش : من بطون بني كعب بن ربيعة . الاختيال : الزهو والتيه . وفي الصناعتين : من فوارسها .

(٣٦) الأباطح : جمع أبطح ، وهو بطن الوادي ومسيل مائه . وبيشة : واد . الآتي : السيل . ورواية « اللسان » :

وجاءت من أباطحها قريش كسيل أتى بيشة حين سالا

(٣٧) أشق : طويل . نهد : جسيم قوي . طمر : طويل القوائم خفيف . وفي « الاقتضاب » : نعوذ .

(٣٨) تهال : تفزع من شدة الهول . وفي « معجم البلدان » : اذا صفت كتائبها .

(٣٩) العسيلة : ماء في جبل قنان (؟) . الرهج : الغبار . وعجز البيت في « معجم البلدان » : بهن حرارة وبها اغتلال .

(٤٠) أبيض ذو حواش : أي الفجر . وشق الفجر : طلع .

(٤١) النواصي : جمع ناصية ، وهي منبت الشعر في مقدم الرأس . والشعث : المتفرقة الشعر . الاغتلال : من الغليل والغلة ، وهو حرارة الجوف من العداوة والغيظ والشوق وغيرها .

(٤٢) جحدلت : صرعت . الحنان : أراد رئيس القوم الذي يلوذون به .

(٤٣) أحال : حال عليه الحول ، أي اتت عليه سنة كاملة .

(٤٤) سجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة . وسجل الماء سجلا : صبه صبا .

(٤٥) حجر : مدينة اليمامة .

(٤٦) الرعال : جمع رعيل ورعلة ، وهي القطعة المقدمة من الخيل .

(٤٧) « زهر الآداب » : خليلي مهلا .

(٤٨) « الأغاني » لسبة بدل سفاهة . مثلن بنا مثلا .
« زهر الآداب » : اللات بدل اللائي . ومثل بالرجل : نكل به .

(٤٩) « الأغاني » : يلمحن . والمهدبة السحل : الثياب البيض الرقيقة ذات الأهداب .

(٥٠) « زهر الآداب » : بالحج .

(٥١) « الأغاني » : اقسمت لا أنسى . « زهر الآداب » : فوالله .

(٥٢) « الأغاني » : أعطافهن . . . ضممن وقد لوينها قضبا خدلا .
والبرى : جمع برة ، وهي الحلقة من خلخال أو سوار . والخدل من النساء : الغليظة الساق ، ويقال : مخلخلها خدل أي ضخم .

(٥٣) « زهر الآداب » : . . . لا والله .

(٥٤) قال القالي : وهذا البيت شاهد على أن اليد العضو تجمع أيادي .

(٥٥) « اللسان » : و « الخزانة » : يغشاه .

(٥٦) « اللسان » : حريق ، بالحاء المهملة . ومضلة ، بفتح الميم والضاد .

(٥٧) الغشمشم : الكثير الظلم .

(٥٨) قال الآمدي : أخذ هذا البيت بشار فأدخله في قصيدته .

(٥٩) هو من شواهد النحو المشهورة على ان (على) بمعنى (عن) .

(٦٠) يريد أن سيوفهم قاطعة لا تنبو عن شيء ، وأسنة غيرهم لا تؤثر فيهم ، فانهم كالصخرة الملساء ، وهي الصفا .

(٦١) تنضيت : يقال : انضى فلان بعيره ، أي هزله . القلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة . تبالة : بلدة معروفة . مناها : أي من مكان قريب منها .

(٦٢) هو من شواهد النحو على أن الباء قد زيدت في الحال المنفية .

تخريج الشعر :

١ ـ « الحماسة البصرية » ١/٩ .

٢ ــ « الموشح » ٣٤٥ (هامش الأصل) .
٣ ــ « معجم البلدان » ٢٨٥/٤ (فيشان) .
٤ ــ « الأغاني » ٨٩/٢٤ . قال أبو الفرج : ويروى لنجدة الخفاجي .
٥ ــ البيتان ١، ٢ في « معجم البلدان » ٢٧٢/٤ (فلج) .
البيتان ١، ٣ في « هامش الموشح » ٣٤٥ .
البيت الأول في « معجم البلدان » ٢٨٦/٥ (النشاش) .
البيت الرابع في « اللسان » و « التاج » (مهل) .
٦ ــ « الأغاني » ٨٥/٢٤ .
٧ ــ « معجم البلدان » ١٤٥/٥ (معدن البرم) .
٨ ــ « الحماسة الشجرية » ٥٤٢/١ عدا الأول . الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥ في « الزهرة » ١١/١ . البيتان ١، ٥ في « الأغاني » ٨٢/٢٤ .
٩ ــ « معجم البلدان » ٢٨٢/١ (أوق) .
١٠ ــ « معجم البلدان » ٤٩٤/٢ (الخنوقة) .
١٠ ب ــ « الفصوص » ٤٣٧ .
١١ ـ مجلة « العرب » س ١ ص ٤١٤ .
١٢ ــ « الأغاني » ٨٥/٢٤ .
١٣ ــ « الفصوص » ٤٣٧ ، والبيتان ٣، ٤ في « طبقات فحول الشعراء » ٧٩١ .
١٤ ــ « معجم البلدان » ٤٧١/١ (فلج) .
١٥ ــ « معجم البلدان » ٤٧١/١ (بقر) .
١٦ ــ « معجم البلدان » ٤٣٦/٤ (كتمان) .
١٧ ــ « الفصوص » ٤٣٧ ، السادس فقط في « الأزمنة والأمكنة » ٢٣/٢ .
١٨ ــ « معجم البلدان » ١٣٩/٤ (العقيق) .
١٩ ــ « أسماء المغتالين » ٢٤٨ ، « الأغاني » ١٨٢/٨ .
٢٠ ــ الأبيات ١ ــ ٦ ، ٩ ــ ١٥ في « الأغاني » ٨٧/٢٤ ــ ٨٨ والأبيات ٤ ـ ٨ في « طبقات فحول الشعراء » ٧٩٧ والأبيات ١ ، ٢ ، ١٦ ، ١٧ في « معجم البلدان » ١١٨/٥ (مريع) البيتان ١ ، ٣ في « معجم الشعراء » ٢١١ والبيت الخامس في « شرح مايقع فيه التصحيف » ٣٨٣ ، والسادس في « اللسان » (رجع) ، والسابع بلا عزو في « اللسان » (سمن) والثامن في « اللسان » (حدرج) ، والسابع عشر في « معجم البلدان » ٣٤٢/٣ (شسعى) .
٢١ ــ « تهذيب اللغة » ٢١٩/١٣ ، « اللسان » و « التاج » (زلم) .
٢٢ ــ « أسماء المغتالين » ٢٤٨ ، « الأغاني » ١٨٢/٨ .
٢٣ ــ الأبيات عدا السادس والسابع في « طبقات فحول الشعراء » ٧٩٢ ــ ٧٩٦ .
الأبيات ٦ ــ ٨ في « البرصان والعرجان » ٢٦٩ ، الأبيات ٨ ، ١٠ ، ١٢ في « الأغاني » ٨٩/٢٤ ، الأبيات ١٠ ، ١١ ، ١٥ في « الاقتضاب » ٢٥٥/٣ ، الأبيات ١٥ ــ ١٧ في « معجم البلدان » ١٢٥/٤ ، البيتان ٨ ، ١٤ في « اللسان » (قوا) ، البيت الأول في « التمام » ١١٨ ، والبيت ١١ في « أدب الكاتب » ٣١٨ و « شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف » ٣٨٣ ، « وشرح أدب الكاتب » ٣٠٠ ، البيت ٢٣ في « العمدة » ٤٧/٢ ، البيت ٢٤ في « معجم الشعراء » ٢٢١ ، عجز البيت ١٣ في « الصناعتين » ٣٣٦ .
٢٤ ــ « المكاثرة عند المذاكرة » .
٢٥ ــ الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ــ ٩ بلا عزو في « أمالي القالي » ١٢٤/٢ و « زهر الآداب » ١٠٥٧ وأكد نسبتها إلى

المجموع
من شعر القحيف العقيلي

[وهذا علامة جليل يعنى بشعر القحيف هو الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، ذو الجهد المشكور في إبراز نسخة فريدة من شعر الفرزدق .

وفي هذا البحث الممتع عن القحيف مايضيف إلى دراسة أستاذنا الدكتور الضامن معلومات تجملها وتكملها ، كما يصحح بعض أخطاء وقعت في المحاولة التي قامت بها مجلة « العرب » بجمع شعر هذا الشاعر في سنتها الأولى .

وهذا ما دعى مجلة « العرب » لنشره نقلاً عن مجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » ج٣م٦٢ ص٦١٥] .

(١)

هو القُحَيْف[١] بن خُمير[٢] بن سُلَيْم[٣] النَّدى[٤] بن عبدالله بن عوف بن حزن

القحيف البكري في « التنبيه واللآلي » إذ قال : هذا الشعر أشهر بالنسبة إلى القحيف العقيلي من أن يرتاب به مرتاب أو يشك فيه شاك .

الأبيات ٢ ــ ٧ في « الأغاني » ٨٩/٢٤ ــ ٩٠ ، الأبيات ١ ، ٢ ، ١٠ ، ١١ في « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » ١٠٥ ، الأبيات ١ ، ١٠ ، ١١ في « اللآلي » ٧٥١ .

٢٦ ــ « النوادر في اللغة » ٢٠٨ ، الأول والثاني في « اللسان » (رعل) و « خزانة الأدب » ٣٤١/٢ والخامس بلا عزو في « المعاني الكبير » ١٠٩٥ .

٢٧ ــ « نضرة الاغريض » ٦٠ .

٢٨ ــ « أدب الخواص » ١١٣ .

٢٩ ــ « الأمثال » (لمورج) ٤٩ ، الثاني بلا عزو في « كتاب سيبويه » ١٩٦/٢ وهو برواية أخرى في « اللسان » (خنث) .

٣٠ ــ مجلة « العرب » س ١ ص ٥٥٣ .

٣١ ــ « المؤتلف والمختلف » ١٢٩ ، « اللسان » (غشم) ، « التذكرة السعدية » ١٨٥ .

٣٢ ــ « معجم البلدان » ٢٧١/٤ (فلج) .

٣٣ ــ مجلة « العرب » س ١ ص ٥٥٧ .

٣٤ ــ « خزانة الأدب » ٢٤٧/٣ ــ ٢٤٩ « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢٣١/٣ و٣٩١/٢ البيتان ١ ، ٢ في « مجاز القرآن » ٨٤/٢ و« نوادر أبي زيد » ١٧٦ و« الاقتضاب » ٣٤١/٣ و« اللسان » (رضي) و« المقاصد النحوية » ٢٨٢/٣ و« شرح شواهد المغني » ٤١٦ ، الأول في « الكامل » ٥٣٨ و٨٢٤ و« المقتضب » ٣٢٠/٢ و« جمهرة اللغة » ٤٩١/٣ و« المحتسب » ٥٢/١ و« الخصائص » ٣١١/٢ و« الاقتضاب » ٢٦٦/٢ و« الانصاف » ٦٣٠ و« شرح المفصل » ١٢٠/١ و« همع الهوامع » ٢٨/٢ و« الدرر اللوامع » ٢٢/٢ ، وينظر « معجم شواهد اللغة » ٤١٥ . والرابع في « مغني اللبيب » و« همع الهوامع » ١٢٧/١ و« الدرر اللوامع » ١٠١/١ وينظر « معجم شواهد اللغة » ٤١٦ و« معجم شواهد النحو الشعرية » ٦٨٦ .

٣٥ ــ « الأغاني » ١١٨/٨ « وفيات الأعيان » ٣٧٤/٦ ، « مختار الأغاني » ٣٤٥/٨ الأول والثالث في « معجم الشعراء » ٢١١ .

٣٦ ــ « الأمثال » لأبي عكرمة ٢٥ ، الأول بلا عزو في « الزاهر » ١٥٧/١ .

ابن خفاجة (واسمه معاوية)[٥] بن عمرو بن عُقَيْل[٦] بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة[٧] . وقد جاءت نسبته في كتب الأقدمين : الخفاجى تارة ، والعامري تارة ، والعقيليّ في الأعم الأغلب .

وهو شاعر إسلامي مقلّ[٨] . عدّه ابن سلام في الطبقة العاشرة من الشعراء الإسلاميين وهم أربعة رهط : مزاحم بن الحارث العقيليّ ، ويزيد بن الطثرية القشيري ، وأبو دواد الرؤاسي ، والقحيف العقيلي ، فالطبقة كلها من بني عامر ابن صعصعة[٩] .

وكان القحيف من أجمل الرجال[١٠] ، شبِّب بخرقاء محبوبة ذي الرمة[١١] . وله أشعار في الفتنة التي نشبت بين قومه وبين بني حنيفة عقب مقتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك (سنة ١٢٦هـ)[١٢] ، ويقول الآمدي في صفته : (شاعر محسن كثير الذبّ عن قومه)[١٣] . ولعل الأصمعي قسا عليه حين سئل عنه فقال : (ليس بفصيح ولا حجة)[١٤] .

(٢)

تحدث أبو عبيد البكري في « التنبيه » عن ديوان شعر القحيف العقيلي[١٥] ، ورأى الإمام الصغاني ديوانه بخط محمد بن حبيب الراوية الكبير[١٦] . أما المتأخرون من العلماء فلم يروا الديوان ، وكانوا ينقلون في كتبهم ما أورده الصغاني[١٧] .

وعُنِيتُ بالقحيف وأخباره وأشعاره أيام كنتُ أدرس شعر بشار بن برد في عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩م ، فقد اختلطت أبيات من تائية القحيف التي يفخر فيها بيوم النشاش بأبيات من شعر بشار بن برد[١٨] . وقيل إن بشاراً أخذ بيتاً له ليضمه إلى ميميته الشهيرة[١٩] . فحركني ذلك لتتبع أخبار الشاعر وتقصي أشعاره ، ثم اطلعت من بعد على كلمة الأستاذ كرنكو التي علّق بها على ترجمة القحيف بن خمير في المؤتلف والمختلف للآمدي وهي : (قد جمعتُ ونشرتُ مابقي من شعره في مجلة المجمع الأسيوي البريطاني)[٢٠] ، فجهدتُ وجاهدت حتى وُفّقت للحصول عليها .

(٣)

عُرِف الأستاذ الدكتور فريتس كرنكو (سالم الكرنكوي) بعلمه وسعة اطلاعه على التراث العربي ، ونشره الكثير الجيد من الدواوين والمصنفات العربية . وقد شمَّر عن ساعد الجد لجمع أشعار القحيف العقيلي ، ونَشَرها في مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان ــ ١٩١٣م) ص : ٣٤١ ــ ٣٦٨ ، المبحث الرابع عشر .

بدأ كرنكو فقدّم للشاعر وعصره (ص ٣٤١ ــ ٣٤٩) ، ثم نَشَر ما حظي به من أشعاره ، فبلغ (١٠٢) بيت ، ونصف بيت (ص ٣٤٩ ــ ٣٦٨) ، موزعة إلى (٢٤) مابين بيت مفرد ونتفة ومقطعة وقصيدة ، مرتبة على حروف الهجاء ، ماعدا النتفة (٢٤) وهي بائية . وقد ذيل الأستاذ كرنكو كل شعر بترجمته الانكليزية ، وخرج الأبيات في مظانها من كتب الأدب والتاريخ والتراجم والمحاضرات والبلدان . ثم ألحق بها المقطعة (٢٥) وهى أربعة أبيات عينية ، نص الأستاذ كرنكو على أنها للقحيف العجلي ، وهو غير القحيف العقيلي[٢١] .

وهذه جملة الكتب التي استعان بها الدكتور كرنكو في جمع أشعار القحيف : « أساس البلاغة » ، « الأغاني » ، « الاقتضاب » ، « تاج العروس » ، « تفسير الطبري » ، « الحماسة البصرية » ، « خزانة الأدب » ، « المقاصد النحوية » ، للعيني ، « الصحاح » ، كتاب « الصناعتين » ، « العمدة » لابن رشيق ، « الكامل » للمبرد ، « الكامل » لابن الأثير ، « لسان العرب » ، « مجمع الأمثال » ، « مجموعة المعاني » ، « المخصص » لابن سيده ، « معجم البلدان » ، « مغني اللبيب » ، نوادر أبي زيد الأنصاري .

لعله يحسن أن نشير إلى أن البيت المفرد (١٤) الذي أورده الأستاذ كرنكو يحتمل ألا يكون للقحيف . فقد جاء في « معجم البلدان » لياقوت : (ذو الصُّوَيْر : من عقيق المدينة ، وفيه يقول العقيليّ :

ظـرابيٌّ مـنـتـفـة لحـاهـا تسافد في أثـائب ذي صويـر)

وهذا النص لا يقطع بنسبته البيت إلى القحيف ، ففي عقيل غير ما شاعر .

كذلك فانه أورد في القصيدة اللامية (١٩) ورويُّها مرفوعٌ البيتين :

وبالنشّاش مقتلةٌ ستبقى على النشاش ما بقي الليالي
فأذللنا اليمامة بعد عزٍّ كما ذلّت لواطئها النعالُ

وهما بيتان أوردهما الميداني في « مجمع الأمثال » (٢ : ٣٩٨ ـ ٣٩٩/ يوم النشاش) ، دون أن يذكر اسم قائلهما . والقطع بأنهما للقحيف العقيلي يحتاج إلى دليل واضح .

فإذا أدرجنا هذه الأبيات الثلاثة في المشكوك من شعره حتى نصل فيه إلى اليقين ، كان ما بقي من شعر القحيف العقيلي الذي جمعه الأستاذ كرنكو (٩٩) بيتاً ونصف بيت .

(٤)

ثم قام الأستاذ العلامة حمد الجاسر بجمع ثانٍ لشعر القحيف العقيلي ، ونَشَره في مجلته الغراء « العرب »[٢٢] . وقد جعل الأستاذ الجاسر عمود عمله ما نهض به الأستاذ كرنكو ، وضَم إليه ما أُتيح له معرفتُه من شعر الشاعر مما لم يذكره كرنكو[٢٣] ، ثم خرّج الأستاذ الجاسر الشعر من مظانه من كتب التراث ، ولم يبالغ في التخريج مشيراً إلى عمل كرنكو في جمعه السابق .

نسق الأستاذ العلامة الجاسر ما جمعه في (٢٣) مابين بيت مفرد ونتفة ومقطعة وقصيدة ، كُرّر فيها الرقم (١٥) ، وضُمَّ إليها من بعدُ بيتان[٢٤] ، فيصبح العدد (٢٥) .

ولكن التحقيق يدعو إلى إسقاط البيت (١٨) :

فلولا السريّ الهاشميُّ وسيفُه أعاد عبيدُ الله يوماً على عكلِ

فهو لنوح ابن الشاعر الإسلامي الكبير جرير بن عطية بن الخَطَفَى ، وليس للقحيف[٢٥] .

كذلك لابدّ من اسقاط البيتين (٢٣) :

فـإن تضربونـا بـالسيـاط فـإننـا ضربنـاكُم بالمـرهفـات الصـوارمِ
وإن تحلقوا مِنَّا الـرؤوس فاننـا قطعنا رؤوساً منكم بالغـلاصمِ

فهما لرجل من حنيفة وليسا للقحيف[٢٦] . وتبقى عدة الأبيات التي نشرها الأستاذ حمد الجاسر بعد الاسقاط (١١٨) بيت ، من شعر القحيف .

ويبدو لي أن شيئاً من الخلل قد وقع في أثناء الطبع ، فسقطت جملة أبيات كان الأستاذ كرنكو قد رواها في جمعه السابق ، ولا يعقل أن يتناساها الأستاذ العلامة الجاسر . وهذه هي :

١ ــ سقط من المقطعة (٦) قول القحيف :

فيا حبذا قيسٌ لدى كل موطن يـزايل هـام القوم فيهـا رقابُهـا

وهو وارد في جمع الأستاذ كرنكو ، المقطعة (٣) وهي خمسة أبيات رواها صاحب الحماسة البصرية[٢٧] .

٢ ــ سقط من جَمْع الأستاذ حمد الجاسر المقطعة (٨) التي رواها الأستاذ كرنكو ، وهي ثلاثة أبيات :

فمن مبلغٌ عني قـريشاً رسـالةً وأفناء قيس حيث سارت وحلتِ
بـأنـا تـلافينـا حنيفـة بعـدمـا أغارت على أهل الحمى ثم ولتِ
لقد نزلت في معدن البرم نزلة فلأياً بلأيٍ من أضاخ استقلتِ

وهذه المقطعة مما رواه ياقوت في « معجم البلدان » .

٣ ــ سقطت المقطعة (١٠) التي رواها الأستاذ كرنكو وهي أربعة أبيات :

تقول لي أخت عبسٍ ما أرى إبلاً وأنت تزعم من والاك صنديدُ
فقلت يكفي مكان اللوم مطرد فيه القتير بسمر القين مشـدودُ
وشكة صاغهـا (؟) وفراء كـاملة وصارم من سيوف الهند مقدودُ
إني لـيرعى رجال لي سـوامهم لي العقـائـلُ منهـا والمقـاحيـد

وذكر كرنكو أنه استمد الأبيات من كتاب الأغاني[٢٨] .

٤ ــ أسقط الأستاذ الجاسر بيتاً رواه الأستاذ كرنكو (القصيدة ١٩) وهو :

وبالنشّاش يومٌ طار فيه لنا ذكرٌ وعُدَّ لنا فعالُ

وهو بيت أورده ابن الأثير في أحداث يوم النشاش منسوباً إلى القحيف العقيلي[٢٩] .

فاذا أضفنا هذه الأبيات التسعة إلى ما جمعه الأستاذ الجاسر خلص لنا من شعر القحيف العقيلي (١٢٧) بيتاً .

أما المصادر التي عاد إليها الأستاذ العلامة حمد الجاسر في تخريج الشعر الذي جمعه فهي : « الأغاني » ، « الأمالي » للقالي ، « الأمثال » لمؤرج السدوسي ، « التنبيه » للبكري ، « حماسة ابن الشجري » ، « الحماسة البصرية » ، « خزانة الأدب » ، « شرح شواهد المغني » ، « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام ، كرنكو (مجلة المجمع الآسيوي البريطاني/ نيسان ــ ١٩١٣م) ، « معجم البلدان » ، « المؤتلف والمختلف » ، للآمدي .

(٥)

وبعد مضي ثلاث وسبعين سنة على الجمع الأول نهض الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن بجمع ثالث لشعر القحيف العقيلي ، ونشره في مجلة المجمع العراقي[٣٠] . واستوعب جمعه أشعار القحيف العقيلي التي أوردها الأستاذان الفاضلان : كرنكو والجاسر ، وأضاف إليهما ما عثر عليه من شعر القحيف في مختلف المصادر . وعُني بتخريج الأشعار عناية تجاوزت الحد الذي انتهجه الأستاذان الجليلان كرنكو والجاسر ، وإن لم يستقص في تخريجه المصادر كلها ، فالاستقصاء بحر لا ساحل له ، ويصعب على المرء أن يحيط بجميع مظان الشعر ، ويطلع على مواطن وروده كافة .

رتب الأستاذ الضامن أشعار القحيف على حروف الهجاء ، وبلغت (٣٦) مابين بيت مفرد ونتفة ومقطعة وقصيدة ، فاذا أسقطنا منها البيت (٣٠) وهو لنوح ابن جرير بن عطية بن الخَطَفَى ، والبيتين (٣٢) وهما لرجل من حنيفة ، وقد تابع

الأستاذ الضامن في إثباتها مجلة « العرب » الغراء[٣١] ، تبقى عدة الأبيات التي جمعها الأستاذ الدكتور الضامن (١٣٩) بيتاً ، خالصة للقحيف . وبلغت الزيادة التي أضافها الأستاذ الضامن إلى مجموع ماجاء في الجمعين السابقين لشعر القحيف (١٢) بيتاً . وهذه هي :

١ ــ البيت المفرد ذو الرقم (٢) .

٢ ــ البيت الثالث في المقطعة ذات الرقم (٥) .

وقد ورد البيتان في « الموشح » للمرزباني (مصر ١٩٦٥م) : ٣٤٥ ، أثبتهما محقق الكتاب الأستاذ البجاوي في الحاشية نقلاً من تعليق كتبه الأستاذ محمد محمود ابن التلاميذ التركزي الشنقيطي على هامش نسخته الخطية (٢٦ ش) .

٣ ــ البيت المفرد ذو القرم (١٧) .

وقد استمده الأستاذ الضامن من كتاب « الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي (٢ : ٢٣) .

٤ ، ٥ ــ البيتان السادس والسابع في القصيدة ذات الرقم (٢٣) .

وقد جاءا في كتاب « البرصان والعرجان » للجاحظ .

٦ ، ٧ ــ البيتان الثاني والثالث من المقطعة ذات الرقم (٢٤) .

والبيتان مستمدان من كتاب « المكاثرة عند المذاكرة » .

٨ ــ البيت المفرد ذو الرقم (٢٧) .

وهو مستمد من كتاب « نضرة الاغريض » .

٩ ، ١٠ ــ البيتان ذوا الرقم (٢٨) .

وقد جاءا في كتاب « أدب الخواص » .

١١ ، ١٢ ــ البيتان ذوا الرقم (٣٦) .

وهما مستمدان من كتاب « الأمثال » لأبي عكرمة الضبي ، والأول منهما في كتاب « الزاهر » بلا عزو .

عدّد الأستاذ الضامن المصادر التي وأل إليها في جمع شعر القحيف فبلغت (٥٨) مصدراً[٣٣] . ستة عشر مصدراً منها أوردها فقط في معرض تخريج بيت أو بيتين من مقطعة القحيف التي يمدح بها حكيم بن المسيب القشيري :

اذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها
ولا تنبو سيوف بني قشير ولا تمضي الأَسِنَّةُ في صفاها
تنضيت القلاص إلى حكيم خوارج من تبالة أو مناها
فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيب منتهاها

فقد تداول النحاة واللغويون البيت الأول منها شاهداً على مجيء (على) بمعنى (عن) . ويرى أبو العباس المبرد أن بني كعب بن ربيعة بن عامر يقولون : رضي الله عليك . كذلك فقد تداولوا البيت الرابع منها شاهداً على زيادة الباء في الحال المنفي عاملها .

وأورد الأستاذ الضامن في مصادره كتابي « أمالي ابن الشجري » و « فصل المقال » ، ويبدو أنه سها عن ايرادهما في تعليقات التخريج . وليس في الكتابين من شعر القحيف إلا البيت الأول من المقطعة المذكورة .

(٦)

قلتُ آنفاً إن الاحاطة بالمصادر واستقصاء ماجاء فيها من شعر القحيف أمر عسير المنال ، وبينتُ أن الأستاذ الدكتور الضامن قد عُني بتخريج شعر القحيف في شتى المصادر فأحسن صنعاً . وقد رأيتُ أن أضمّ إلى ما قام به تعداد ما أورده الأستاذ كرنكو في جمعه من مصادر لم يذكرها الأستاذ الضامن ، ثم ما أثبتُه على هامش نسختي حين كنت أطالع شعر القحيف .

المقطوعة (٥) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيت الأول من المقطوعة ورد في « تاج العروس » (نشش) .

المقطوعة (٦) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيتين الأول والثاني وردا في « الأغاني » في ترجمة ذي الرمة ، ثم وردا في ترجمة القحيف . وأن الثاني منهما ذكر مرتين أيضاً في ترجمة القحيف ، ومرة في ترجمة ذي الرمة .

المقطوعة (٧) :

وجدتُ في تعليقاتي أني ألحقت بالأبيات الثلاثة بيتاً رابعاً :

تشكُّ نُمَيرٌ بالقنا صفحاتهم فكم ثَمَّ من نذر لها قد أحلّت

عثرت عليه في كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري[٣٤] .

المقطوعة (٩) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن الزبيدي (« تاج العروس » ٦ : ٢٨٢) أورد البيتين (٢ ، ٣) نقلاً عن الصغاني .

البيتان (١١) :

استمدهما كرنكو من كتاب « الكامل » لابن الأثير .

البيتان (١٥) :

جاء في تعليقاتي أن البيتين وردا في « شرح أبيات مغني اللبيب » ٧ : ٣٢ .

القصيدة (٢٠) :

جاء في تعليقاتي أن البيت الثامن ورد في « التاج » ٢ : ٢٠ .

وأن صدر البيت الخامس جاء في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ٢ : ١٠٨ .

المقطعة (٢٤) :

استمد كرنكو البيت الأول من « الكامل » لابن الأثير .

القصيدة (٢٥) :

جاء في تعليقاتي أن البيت الرابع ورد في شرح العكبري ٤ : ٨٥ ــ ٨٦ .

وجاء في تعليقات الأستاذ الدكتور الضامن (ت ١٠ ، ص ٢٤٩) : (قال القالي : وهذا البيت شاهد على أن اليد العضو تجمع أيادي) .

ولعله سهو ، صوابه : (قال أبو عبيد البكري في « التنبيه » . . . .) انظر التنبيه : ٥٤ ، ١٠٥ ، والسمط : ٤٠٦ .

المقطعة (٢٦) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيتين (٤ ، ٥) قد وردا في « تاج العروس» ٥ : ١٣٠ نقلاً عن العباب للصغاني .

وأن البيت (٥) قد ورد في « أساس البلاغة » و « اللسان » (مهر) دون عزو .

وأن الشطر الثاني من البيت (٥) قد ورد في « المخصص » لابن سيده (٤ : ٢٥) دون عزو .

قلتُ : وقد جاء البيتان (٤ ، ٥) في «العباب الزاخر » للصغاني ــ مادة خطط (حرف الطاء ــ بغداد ١٩٧٩م) : ٥١ ــ ٥٢ .

البيتان (٣١) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيتين وردا في « مجموعة المعاني » : ١١٣ .

المقطعة (٣٢) :

جاء في مجموع الأستاذ كرنكو أن البيت الأول ورد في « معجم البلدان » (أكمة) .

المقطعة (٣٤) :

ذكركرنكو أن البيت الأول منها ورد في « تفسير الطبري » وفي « الصحاح » وفي « المخصص » لابن سيده (١٤ : ٦٥) دون عزو .

قلتُ : ان كتب النحو واللغة التي أوردت البيت الأول كثيرة لا يكاد يحاط

بها . وكنتُ أوثر ألا تهمل الإشارة إلى مواضع وروده في كتب المتقدمين مثل كتاب « معاني القرآن » للأخفش ١ : ٤٦ ــ ١٣٣ .

ــ خرَّج الأستاذ الضامن البيتين الأول والثاني في « شرح شواهد المغني » للسيوطي (ص ٤١٦) .

ووجدت في تعليقاتي : (أورد السيوطي في شرح شواهده أيضاً شطر البيت الأول (ص ٩٥٤) ، وأورد (ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠) البيت الرابع غير منسوب) .

ــ خرّج الأستاذ الضامن البيت الأول في « الخصائص » ٢ : ٣١١ .

قلتُ : وأعاد ابن جني ذكره في « الخصائص » ٢ : ٣٨٩ .

المقطعة (٣٥) :

ذكر الأستاذ الضامن أن الأبيات الثلاثة جاءت في « وفيات الأعيان » .

قلت : جاء في الوفيات البيتان الأول والثالث .

ــ لعله يحسن أن نشير في ختام كلمتنا إلى أن البيتين رقم (٤) يرويان أيضاً لنجدة الخفاجي . وأن البيتين رقم (٣١) يرويان لرجل من بني هزان .

وقد ذكر محقق « الحماسة البصرية » ومن قبله الأستاذ الكبير عبدالعزيز الميمني الراجكوتي أن أبيات جران العود اللامية متنازعة بينه وبين ابن مقبل والقحيف العقيلي والحكم الخضري[٣٥] .

* * *

وبعد ، فإن الأستاذ الدكتور الضامن قد بذل جهوداً طيبة في صنعة شعر القحيف ، وجمع ما تناثر من شعره ، ومضى خطوة جديدة موفقة في الطريق التي سلكها سابقاه الأستاذان الفاضلان كرنكو والجاسر ، ويسّر للباحثين والعلماء شعر القحيف العقيلي ، هذا الشاعر المضيَّع الذي تغنّى حبه وأشواقه غناء عذباً ، وكان لسان قومه ومِدْرَهُمْ وفارسهم في تلك الوقائع المؤسفة التي نشبت بين بني عقيل وبني حنيفة ، في تلك الفتنة الهوجاء التي أعقبت مقتل أبي العباس الوليد بن يزيد

ابن عبدالملك (سنة ١٢٦هـ) .

لقد سعدتُ وأنا أتصفح ما نهض به الأستاذ الضامن الذي وقف نفسه لخدمة العربية وتراثها ، وأضاف بعمله هذا الذي أتمه على خير وجه مأثرة جديدة تضم إلى سابقاتها .

د. شـــاكر الفحـــام

[الحواشي] :

(١) هو بضم القاف وفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية ، على وزن زبير (« القاموس المحيط » و « تاج العروس » ــ قحف ، « خزانة الأدب » للبغدادي ٢ : ٣٤٢ ، ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » للبغدادي ٢ : ٣٩٣) .

(٢) ضبطه الأمير ابن ماكولا : بضم الخاء المعجمة وفتح الميم وتشديد الياء التحتية وكسرها ، ثم نقل عن أبي غالب بن بشران عن أبي الحسين علي بن دينار عن الآمدي أنه خمير بسكون الياء على وزن الزبير (الاكمال ٢ : ٥٢٢ ــ ٥٢٣) ، وكذلك ضبطه البغدادي على وزن زبير (« خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣) . وذكر الزبيدي في « التاج » (خمر) أن الآمدي ضبطه كأمير . وانظر « المؤتلف والمختلف » للآمدي (القاهرة ــ ١٣٥٤هـ) : ٩٣ ، و « معجم الشعراء » للمرزباني : ٣٣١ ، و « تبصير المنتبه » لابن حجر ١ : ٤٦٦ .

ــ وتصحف خمير حيناً إلى حمير بالحاء المهملة ، وتحرف حيناً إلى عمير (« لسان العرب » ــ غشم ، « القاموس المحيط » و « التاج » ــ قحف ، « نوادر المخطوطات » ٧ : ٢٤٨ ، « التذكرة السعدية » : ١٨٥) .

(٣) بصيغة التصغير على وزن زبير (« خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣ ، « تاج العروس » ــ قحف) .

(٤) الندى : الكرم ، وأضيف سليم إلى الندى لاشتهاره بالكرم (« خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣) . وقال الصغاني : رأيت بخط محمد بن حبيب في أول ديوان شعر القحيف : (البديّ) بالباء الموحدة وتشديد الياء (« العباب » للصغاني ــ قحف ، « خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣ ، « تاج العروس » ــ قحف) .

(٥) « جمهرة ابن الكلبي » ٢ : ٣١ ، « معجم الشعراء للمرزباني » (القاهرة ــ ١٩٦٠م) : ٢١١ ، ومن بني خفاجة بن عمرو بن عقيل توبة بن الحمير الشاعر صاحب ليلى الأخيلية (« جمهرة ابن الكلبي » ٢ : ٣٢ ، « جمهرة ابن حزم » : ٢٩١) .

(٦) بصيغة التصغير على وزن زبير (« خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣) .

(٧) « جمهرة ابن الكلبي » ٢ : ٣١ ــ ٣٢ ، « المؤتلف والمختلف » للآمدي : ٩٣ ، « معجم الشعراء » : ٢١١ .

ــ وجاء (حزن بن معاوية بن خفاجة) في : « الاكمال » لابن ماكولا ٢ : ٥٢٣ ، والعباب للصغاني ــ مادة قحف « تح محمد حسن آل ياسين ــ ١٩٨١م مجلد حرف الفاء : ٤٩٠ ، « خزانة الأدب » للبغدادي ٤ : ٢٥٠ « نقلا عن « جمهرة ابن الكلبي » و « العباب ») ، « تاج العروس » ــ قحف .

ــ أما سياق نسبه في « الأغاني » (٢٤ : ٨٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) : (القحيف بن خمير ، أحد بني قشير بن مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) فهو يخالف ما أجمع عليه النسابون والرواة .

(٨) « الأغاني » ٢٤ : ٨٣ ، « خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣ . ـ وجاء في « الخزانة » (٢ : ٣٤٢) قول البغدادي : (والقحيف . . . هو شاعر جاهلي ، وتقدم ذكره في الشاهد ٣٥٣) . ويبدو أن خللاً أصاب كلمة البغدادي فاضطرب معناها . وخفي وجه الصواب فيها . وقد ترجم البغدادي للقحيف في الشاهد ٨٢٥ (« خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠) .

(٩) « طبقات فحول الشعراء » ٢ : ٧٦٩ ـ ٧٧٠ .

(١٠) « الأغاني » ٢٤ : ٨٥ .

(١١) « الأغاني » ٢٤ : ٨٣ ، « خزانة الأدب » ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣ .

(١٢) « معجم الشعراء » للمرزباني : ٢١١ .

(١٣) « المؤتلف والمختلف » للآمدي : ١٢٩ (ط القاهرة ١٩٦١م) .

(١٤) « فحولة الشعراء » للأصمعي : ١٦ ، « الموشح للمرزباني » : ٢٢٠ .

(١٥) « التنبيه » : ١٠٥ .

(١٦) « العباب الزاخر » للصغاني (خطط ـ قحف) .

(١٧) « خزانة الأدب » للبغدادي ٤ : ٢٥٠ ، « شرح أبيات مغني اللبيب » ٢ : ٣٩٣ ، « تاج العروس » للزبيدي (خطط ـ قحف) .

(١٨) انظر كتابنا : « نظرات في ديوان بشار بن برد » : ٩٠ ـ ٩١ .

(١٩) « مجموعة المعاني » : ١١٣ ، « لسان العرب » (غشم) .

(٢٠) « المؤتلف والمختلف » للآمدي بتحقيق الأستاذ فريتس كرنكو (مكتبة القدسي بالقاهرة ـ ١٣٥٤هـ) : ٩٣ .

(٢١) مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان ـ ١٩١٣م) : ٣٦٧ .

(٢٢) مجلة « العرب » ، السنة الأولى ، الجزء الخامس (شباط/١٩٦٧م) : ٤٠٦ ـ ٤١٧ ، الجزء السادس (آذار/١٩٦٧م) : ٥٥١ ـ ٥٥٧ ، الجزء الثاني عشر (أيلول/١٩٦٧م) : ١١٥٥ .

(٢٣) مجلة « العرب » ، س١ ، ج٥ : ٤٠٦ ـ ٤٠٨ .

(٢٤) مجلة « العرب » ، س١ ، ج٦ : ٥٥١ ، ج١٢ : ١١٥٥ .

(٢٥) « الكامل » لابن الأثير ٥ : ١٤٢ (ذكر الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم/ سنة ١٢٦هـ) ، مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان ـ ١٩١٣م) : ٣٤٨ .

(٢٦) « الكامل » لابن الأثير ٥ : ١٤٢ ، مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان ـ ١٩١٣م) : ٣٤٨ .

(٢٧) « الحماسة البصرية » ١ : ٩ .

(٢٨) مجلة المجمع الآسيوي البريطاني (نيسان ـ ١٩١٣م) : ٣٥٤ ، وانظر « الأغاني » (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) ٢٤ : ٨٥ .

(٢٩) « الكامل » لابن الأثير ٥ : ١٤٢ .

(٣٠) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ ج ٣ (أيلول ١٩٨٦م) : ٢٢٢ ـ ٢٥٣ .

(٣١) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٧ ج ٣ (أيلول ١٩٨٦م) : ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٣٢) ورد في كتاب « المكاثرة » للطيالسي ثلاثة أبيات للقحيف العقيلي . ولكن البيت الأول منها كان قد أورده الأستاذ كرنكو في جمعه الأول ، استمده من كتاب « الكامل » لابن الأثير .

(٣٣) انظر : فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي (الجزء الثالث ـ المجلد السابع والثلاثون) : ١ ـ ٥/ فهرس المصادر .

(٣٤) انظر كتابنا : « نظرات في ديوان بشار بن برد » : ٩٠ ـ ٩١ .

(٣٥) « سمط اللالي » : ٤٤٧ ، ٦٧٧ ، « الحماسة البصرية » ج ٢ رقم ١٨٤/ الهامش ، « حماسة ابن الشجري » ٢ : ٦٠٩ ـ ٦١٠ .

كتابان عن أحمد أمين

(١)

أحمد أمين ــ بقلمه وقلم أصدقائه

بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته ٣٠ مايو ١٩٥٥ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥ ــ ١١٢ ص .

١ ــ لو صدر في حياته لأمكن أن يَسُرَّهُ ، بل يَسُرُّهُ كثيراً دون نقاشٍ . . .
٢ ــ من المتحدثين من تكلم باحترام وإعجاب وتقدير . . . وعاطفة أحياناً . .
٣ ــ بقلمه وقلم أصدقائه : بقلمه وأقلام أصدقائه . .

ولنلاحظ أن بقلم فلان . . جاءتنا من الغرب ، وربما من فرنسا . . وقد انقرض التعبير هناك ويكاد ينقرض هنا .

٤ ــ حياة أحمد أمين : أول أكتوبر ١٨٨٦ ــ ٣٠ مايو ١٩٥٤ .

٥ ــ أحمد أمين اسمه ، أما أبوه فابراهيم : الشيخ ابراهيم ــ تنظر ص ١٩ كلمة الدكتور أحمد زكي ولا يذكر (أحمد أمين) اسم أبيه (إبراهيم) عندما يتحدث عنه ــ تنظر « حياتي » ص ١٢ ــ ١٦ من ط ٢ .

٦ ــ احتفال الكتاب بالدكتوراه الفخرية التي منحتها جامعة فؤاد الأول لأحمد أمين يشير إلى احتفال أحمد أمين نفسه بها ــ كان المنحُ في ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨ .

٧ ــ مكتبة أحمد أمين ــ ولابد من أن تكون ضخمة ــ : (الآن في إحدى قاعات المؤتمر الإسلامي تحمل اسمه . . .) .

٨ ـ طلب مجمع اللغة العربية من أحمد أمين نبذة عن حياته . . . ، ١٩٥٠ . . . جاء فيها :

أ ــ (في سنة ١٩١٤ أسس لجنة التأليف والترجمة والنشر واختير رئيساً لها من يوم تأسيسها إلى يوم وفاته) . .

ب ــ (في سنة ١٩١٨ ترجم كتاب « مبادىء الفلسفة ») .

جـ ــ ذكر من مؤلفاته كتاب « فيض الخاطر » وهو مقالات في ٩ أجزاء .

٩ ــ افتقدنا بين أسماء المتحدثين عنه الذين شاركوه أو شاركهم التأليف والتحقيق مثل : زكي نجيب محمود ، ومحمد سعيد العريان .

١٠ ــ ذكر في النبذة أنه ترجم كتاب « مبادىء الفلسفة » (سنة ١٩١٨) ولم يذكر له شريكاً أو مُعيناً .

وصدر الكتاب مطبوعاً عن لجنة التأليف والنشر . وقد تحدث أحمد أمين في مقدمته (مايو سنة ١٩١٨) عن اختياره الكتاب والصعوبات التي لقيها في الترجمة . ولم يُشِرْ إلى شريك (أو معين أساس) ولكنه ختم المقدمة بشكر (صديقي أمين مرسي قنديل ، وعبدالحميد العبادي ، فإليهما يرجع الفضل في مراجعة الكتاب ، وتنقيحه ، وإرشادي إلى ما غمض من معانيه) .

وواضح من صيغة الشكر أنه كان المترجم الوحيد ، أمَّا هُمَا فقد جاء بِأَخَرَةٍ مراجِعَيْنِ ومُنَقِّحَيْنِ ــ وطبع الكتاب مراراً (خمساً) .

وكأنَّ أحمد أمين نسي ما كتبه على ظهر صورة له : (أُخِذت في يوم الجمعة ٧ أبريل سنة ١٩١٦ ــ وكان بيدي اليسرى كتاب بالانجليزية عنوانه « مبادىء الفلسفة » ، وكنت قد اشتغلت بتعريبه مع أحد إخواني ، وهو على وشك (الانتهاء) تنظر ص ٥ ، وكان قريب العهد بتعلم الانجليزية .

١١ ــ ذكر القائمون على الكتاب : « مؤلفات أحمد أمين » (ص ص ٧ ــ ٨) فجاء : « فيض الخاطر » (٩ أجزاء) ولم يرد بين المنشور بالاشتراك كتاب أبي حيان التوحيدي : « البصائر والذخائر » الذي نشرته لجنة التأليف محققاً بالاشتراك مع السيد صقر .

كما لم يرد للمؤلف : « يوم الإسلام » .

والذي أعرفه أن « فيض الخاطر » في عشرة أجزاء .

١٢ ــ أحمد أمين كاتب من غير أسلوب (أدبي) ، ولا يُعْنَى بالاسلوب ، أو أن يكون له أسلوب :

أ ــ قال أحمد حسن الزيات (وهو صاحب أسلوب) ص ١٦ ــ ١٧ : (كان همه من الكتابة أن يُقَرِّرَ ويقنع ، لا أن يؤثر ويُمْتِع . ولعل منشأ ذالك فيه أن عقله كان أخصب من خياله ، وأنَّ عِلْمَهُ كان أكبر من فنه ، وأن حُبَّهُ للحرية والصراحة كان يحبب إليه إرسال النفس على سجيتها من غير تقييدها بأسلوب معين ، وعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها بوشي خاص . ومع ذالك كان لأسلوبه طابعه المميز وجاذبيته القوية . تقرأه فلا تروعك منه الصور البيانية الآخذة ، ولا الأصوات الموسيقية الخلابة ، وإنما تروعك المعاني المبتكرة الطريفة ، والآراء الصريحة الجريئة والشخصية القوية المهيمنة . فأنت منه بإزاء عالم يبحث لينتج ، أو مصلح يصف ليعالج ، لا بإزاءِ مُصَوِّرٍ يُلَوِّنُ لِيُعْجِبَ ، أو موسيقار يُلَحِّنُ ليطرب .

على أنه كان يتوخَّى الجمال أحياناً في الأسلوب بحكم الأثر الذي تركته فيه درايته للقرآن والحديث ، وروايته للشعر والنثر ، ودراسته للبيان والنقد ، فيجمع بين حسن الفكرة وجمال الصورة ، ويلائم بين وزانةِ المعنى ورصانة اللفظ . وربما كان ذالك أظهر مايكون في كتابه « حياتي » ، فإنَّ تصويره البيت والسَقاء والمحدث والكتاب ، والأزهر ، وفي وصفه لأبويه وأخويه وصديقه عبدالحكيم محمد وعلي فوزي ، وأستاذيه عاطف بركات ومس بور لنماذج من البيان المطبوع الذي يشرق بنورالعقل ، وينبض بروح العاطفة ، ويزهو بألوان الفن) .

أ ــ أساء الزيات لنفسه من حيث لا يعلم ، فهو من أصحاب الأساليب ، وعليه ، فهو لا يحب الحرية والصراحة .

ب ــ كان أحمد أمين ــ ولاشك ــ يود أن يكون من أصحاب الأساليب ، مثل طه حسين ، ولكنه لم يستطع . . . وحاول ولم . . . وقال قائل : لولا « الأيام » لما كانت « حياتي » وشتان !!

جـ ــ قال ولده جلال ص ٤٠ : (كان يكره المظهر في كل شيء ، فكان

الأسلوب في الكتابة قليل الشأن عنده ، وكان يسره مايقوله له تلاميذه من أنهم لا يستطيعون تلخيص دروسه لشدة تركيزها) .

د ــ قال محمود تيمور ص ١٠٣ : (وإليك كتابه « فيض الخاطر » . . . وإنها لصور شائقة ، ومشاهد رائعة تأنس فيها قبسة من الفن في العرض والتعبير ، حتى لتدهش إذ تتجلى لك ــ في شخصية هذا العالم الدارس ــ صبغة الفنان الأديب . . .

إنه قاض (. . .) قاض . . . قاض . . . النزعة القضائية .) حملت الحماسة تيمور بعيداً . .

هـ ــ في كلمة الأمير مصطفى الشهابي ص ١٠٧ : (سألته مرة : لماذا لا يعنى في مؤلفاته ومقالاته بالمبنى بقدر عنايته بالمعنى ؟ فتبسم وأجاب قائلا : هذا هو أسلوبي في الكتابة ، ولكل كاتب أسلوبه ، فأنا يهمني ان يفهم القارئ من أبناء هذا العصر مواضيع كتبي ، ولا يهمني ان يتعلم البيان منها) .

سؤال الشهابي عن حسن نية ، ولكنه لا يريح المسؤول .

١٣ ــ ص ١٦ (من كلمة الزيات) : (كان من الأزهريين القلال الذين أوتوا دقة النظر ، وحرية الفكر ، وسعة الأفق) .

جاء في القاموس : (قوم قليلون وأقلاّء وقُلُلٌ وقلُلُون) ولم يختر الزيات الغريب من هذه الجموع . وفي القاموس : (والقِلال ككتاب الخشب المنصوبة للتعريش) .

١٤ ــ ص ٢٤ (في كلمة الدكتور أحمد زكي) : (قلت له : إنه حمل العمامة بضعاً وثلاثين عاما ، وأنها خَدَمَتْهُ بضعاً وثلاثين عاماً) .

بضعاً : بضعة .

١٥ ــ ص ٦٦ (في كلمة عبدالرزاق أحمد السنهوري) : (. . . سنة ١٩٢٠ . . . كان إذ ذاك شابا معمما ، يبدو على وجهه من إمارات الجد والرزانة ما يجعل مظهره يزيد على سنه . . .) .

صحيح إمارات : أمارات ــ بفتح الهمزة ــ وكثيراً ما يأتي الخطأ مطبعياً .

ــ ص ٦٩ : (من أجل مدئه)

ما معنى (مدئه) ؟

١٦ ــ ص ١٠٧ (في كلمة الأمير مصطفى الشهابي) : (وهكذا كان أسلوبه سهلاً مبسطاً ، حتى أن القارئ المتوسط الثقافة ، لا يلاقي أدنى مشقة في فهم الموضوعات الأدبية والاجتماعية والخلقية التي صنف الفقيد أو حاضر فيها) .

وردت (حتى أن) بفتح الهمزة والصحيح كسرها ــ وكثيراً مايقع ذالك في الخطإ المطبعي .

وأسلوبه ــ في وصف الشهابي ــ ليس أسلوباً أي أنه ليس خاصا به ، وإنما هو ما للناس كلهم . .

١٧ ــ ص ١٠٩ (في كلمة السيدة وداد سكاكيني) : (ولقد قيل في الأثر « كل امرئ ما يحسن ») .

في المعجم : (الأَثَر بفتحتين (. . .) سُنَنُ النبي عليه الصلاة والسلام) .

وجاء عند الجاحظ في « البيان والتبيين » ط. هارون ١٩٤٨ ــ ١/٨٣ : (وقال علي رحمه الله : (قيمة كلِّ امرئٍ ما يحسن) وفي الحاشية (. . . وفي « زهر الآداب » (١/٤١) : (كل امرئِ) .

(٢)

محاضرات عن أحمد أمين

ألقاها الدكتور زكي المحاسني على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية ــ جامعة الدول العربية بالقاهرة ، ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ــ ٢٠٦ ص+٢ .

١ ــ حياة أحمد أمين ١٨٨٦ ــ ١٩٥٤ . ص ٢٦ وغيرها . عندما يرد اسم أحمد أمين يضعه بين أهِلَّة : « أحمد أمين » ولعله يريد أن ينبه بذالك إلى أنه اسم

مركب بدليل قوله : (وكان أبوه الشيخ إبراهيم أزهرياً . . .) أجل و« أحمد أمين » اسمه وحده ، قال الزركلي : (أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ [. . .] اشتهر باسمه « أحمد أمين » وضاعت نسبته إلى الطباخ) وربما فهمت من حديث في القاهرة مع صاحب مكتبة الخانجي ان أصله من حلب ؟!

٢ ــ ص ٤٦ : (وقد حِيل بينه وبين الترقية في الجامعة لأنه لم يحصل على درجة الدكتوراه وهو يدرس طلابها ، فلما تقدم بكتابه « فجر الإسلام » و« ضحى الإسلام » كرسالة من أجل هذه الدرجة العلمية رفض طلبه بحجة أنه من الأساتذة ، وأن الممتحنين قد يحابونه ، وهكذا تراخى الأمر ، ودخل فيه المطال حتى جدد العزم والطلب ، وأُلفت لجنة من ثقات المستشرقين لامتحانه وقدمت هذه اللجنة تقريراً بكفايته وجدارته بالأستاذية ، لكن الأمر لدى أولى الأمر يومذاك لم يُحقق أمل أحمد أمين الذي كان ماضياً في جهاده العلمي المأثور . .) ــ يمكن ان يكون مصدره كتاب « حياتي » من مؤلفات أحمد أمين .

يفهم من كلام لأحمد أمين نفسه (ص ١٠٣) من كتاب المحاسني ان نيته كانت التقدم للدكتوراه بالجزء الثاني من « ضحى الإسلام » . قال : (وكانت النية ان أتقدم بهذا الجزء لنيل الدكتوراه من الجامعة المصرية وقدمت هناك طلباً وأخره مجلس الكلية ، ولكن العميد ذهب يستشير وزير المعارف إذ ذاك نجيب بك الهلالي فرأى أن ذالك مخالف للقانون لأسباب شكلية بحتة ولأسباب أخرى لم أصل إليها بعد فعدلت عن هذا الطلب واحتقرت ماكنت أقدمت عليه من طلبي للدكتوراه) .

لقد كانت (الدكتوراه) مطمحاً كبيراً لدى أحمد أمين . ولتكن ــ بعد ذلك ــ (فخرية) .

٣ ــ ص ٣٦ : تخرج من : تخرج في .

٤ ــ ص ٥٥ ــ ٥٧ : (يتجلى مذهبه في الكتابة بمقاله الذي سماه (أدب اللفظ وأدب المعنى) ــ هـ : « فيض الخاطر » ص ٣١ من الجزء الأول ــ (. . .) كان يقلل من قيمة الألفاظ أمام روعة المعاني ، وهذه حقيقة نفسية

للكلام وروحه ومجالاته لم يتعمقها أوَائلُنا لكن الأواخر أبهوا لها حتى قال شوقي :

الشِّعْرُ روْحٌ وَرَيْحانٌ وعَاطِفَةٌ يَالَيْتَ شِعْرِيَ هَلْ قُلْتُ الَّذِي أَجِدُ ؟

وكان (فرلين) و(رامبو) وقبلهما (بودلير) يقولون جميعاً بعجز الألفاظ عن تحمل شحنات المعاني ، وكان (فرلين) من بينهم يكره علم البلاغة الذي كان مسيطراً على النثر والشعر في أواخر القرن التاسع عشر بفرنسا فكتب قصيدة يقول فيها ما معناه : (خُذْ رقبةَ البلاغة اقصفها) « Prends l' éléquémce et temds lui le cou » وفي هذا الصدد كان (أحمد أمين) يريد أن يظهر عجز الألفاظ) .

لم يكن علم البلاغة مسيطراً على النثر والشعر في أواخر القرن التاسع عشر بفرنسا ، والذي كرهه (فرلين) هو الخطابة وقُلْ اللهجة الخطابية التي تضخم الكلمات في الشعر ، والـ éléquénce الذي أمر بِليٌّ رقبتها هي الخطابة ــ ولا دخل للبلاغة في الأمر ، ثم إنه تحدث عن الشعر وحده ، وعنوان القصيدة التي ورد فيها القول : (فن شعري) ART POETIQUE

٥ ــ ص ٦٠ (. . . والخلاصة التي أصل إليها هي أن أحمد أمين لم يكن صاحب أسلوب في الكتابة العربية ولا يُعَدُّ من البلغاء والمنشئين . وإنما كانت كتاباته تجري بلغة المؤلفين الذين يؤثرون المعنى على اللفظ) . .

الملاحظة صحيحة ، وربما كان الأنسب ان نقول : إنه ممن يأتي بالألفاظ على قدر المعاني .

وقد يزيد ــ من يريد الزيادة ــ أن أحمد أمين كان يطمح إلى أن يكون ذا أسلوب ، وقد حاول ولم يستطع . . . لأنه لا يملك مؤهلات (الشاعر) من الكتاب ممثلين بطه حسين .

٦ ــ ص ٧٤ (نِلِّيْنُو . . . من المستشرقين) .

نِلْلِيْنُو : نِلِّيْنُو ــ مع ملاحظة أن أحمد أمين نفسه رسم الاسم : نُلْلِيْنُو في كتابه « حياتي » .

٧ ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ : (ان فيكتور هوغو كتب مقدمة لكتاب « كرومويل » ، فأحدث في الأدب الذي كان يعاصره في فرنسة وأُورُبَّة حدثاً حين حمل على الكلاسيكية وقوّض صروحها ، ليقيم مكانها مَذْهبه الرمانتيكي المتجدد) .

وفي الهامش : عنيتُ بكلمة المتجدد أن أرد المذهب الإبداعي الرومانتيكي إلى قدمه في الوجود ، إذ كان أول من ابتدعه الشاعر اللاتيني كاتولوس) .

أ ـ كرومول مسرحية شعرية من خمسة فصول سنة ١٨٢٧ . وهي مهمة في تاريخ الرومانتيكية ولكن الرومانتيكية كانت قبلها ، وكذالك تقويض صروح الكلاسيكية الذي يمكن أن يرد إلى أوائل القرن التاسع عشر (في فرنسا) ، ويبرز جداً ديوان لامارتين « التأملات » سنة ١٩٢٠ . .

ب ـ رَدُّ المذهب الإبداعي الرومانتيكي إلى الشاعر اللاتيني (كاتولوس) يتطلب ذكر مصدر غربي متخصص في دراسة المذهب . ولم يقع في علمي شيء منه .

إن وجود سمات في مذهب متأخر لدى شعراءمتقدمين لا يكفي برد المتأخر للمتقدم . لأن المذهب مصطلح مقترن بمجموعة صفات ومجموعة أدباء ، في مدة زمنية معينة . واذا وجدنا عند الشاعر اللاتيني (كاتولوس) سماتٍ من الرومانتيكية فإننا لا نجد لديه السمات كلها ضمن مجموعة الشعراء في المدة المعينة للمذهب .

وبعد فالشاعر اللاتيني (catullus) من شعراء القرن الأول قبل الميلاد يتصف شعره بالذاتية والحب اشتهر بحبه لِلَسْبِي ، وقصائده فيها صادقة تعكس أفراحه وأتراحه . ويعد المؤسس للرثاء (élegre) الروماني بما ادخل فيه من عناصر السيرة الذاتية . .

هكذا يقول معجم للأدب العالمي . . . وتدخل كثير من صفات شعره في صفات المدرسة الرومانتيكية (في القرن التاسع عشر) . . . ولكنها لا تعني أنه أول من ابتدع الشعر الرومانتيكي . إنه ـ إذا كان لابد من وصفه ووصف

شعره ـ: شاعر غنائي وشعره غنائي Lyrique والشعر الغنائي وجد في كل مكان من العالم ، وفي كل زمان ، لدى الإغريق واللاتين ولدى العرب والفرس ، ولدى الشرقيين كلهم والغربيين كلهم . ويمكن القول إن كل شعر رومانتيكي غنائي ، وليس كل شعر غنائي رومانتيكي ــ للشروط الخاصة التي ذكرناها لتكون مذهباً .

٨ ــ ينقل ص ١٧٧ ــ ١٧٨ عن مقدمة كتاب أحمد أمين : « النقد الأدبي » مايفيد أن الجامعة عهدت إلى أحمد أمين بتدريس البلاغة في كلية الآداب سنة ١٩٢٦ (وكان وقوف أحمد أمين على علم البلاغة عند العرب في كتبهم (. . .) قد أعطاه صورة مشوشة من البحث والدرس الذي لا يقوم على خطة محدودة ، ووضح له هذا الوضع في كتب الأصول البلاغية العربية ما ألم به من موضوعات النقد الأدبي وفنون البلاغة عند الغربيين في كتبهم المنهجية المنظمة ــ يومذاك ــ (أي حين اندفاعه لتدريس البلاغة في الجامعة اقترح إدخال موضوع النقد في دروس كلية الآداب مطلع تأسيسها وبقي هذا الموضوع فيها حتى اليوم) .

كنَّا نَوَدُّ لو ذكر أحمد أمين أو الدكتور المحاسني أسماء كتب البلاغة الغربية المشار إليها .

٩ ــ تحدث عن (مؤلفاته وكتبه) ثم عن (التحقيق والتعليق ص ص ١٣٢ ــ ١٤٠ فوقف طويلاً عن تحقيق « حي بن يقظان » حتى إذا قارب ذيل الصفحة ١٣٩ قال : (لم يتردد في المشاركة بنشر مخطوطات كبرى تعهدها ثقات من المحققين المتمرسين ، فقد نشر مع الدكتورين شوقي ضيف وإحسان عباس كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهاني ، فيما يخص مصر . . وأحيا كتاب « الهوامل والشوامل » مع الأستاذ السيد أحمد صقر ، وكتاب « العقد الفريد » مع الأستاذين إبراهيم الأبياري وأحمد الزين ونشر ديوان الحماسة بالاشتراك مع الأستاذ عبدالسلام هارون) .

اكتفى الدكتور المحاسني بهذه السطور المحدودة لدى الكلام على هذه الكتب المهمة جداً ، واكتفى لصاحبه بكلمة (المشاركة) دون أن يبين مدى هذه المشاركة ، ونوعها ؟!

ثم هناك كتب أخرى اذكر منها « البصائر والذخائر » للتوحيدي بالاشتراك ــ على لغة الدكتور المحاسني ــ مع الأستاذ السيد أحمد صقر !!

ثم ــ خارج التراث القديم ــ : « ديوان حافظ ابراهيم » (ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري) ؟! ط ١ سنة ١٩٣٧ ، ط ٢ سنة ١٩٣٩ .

وحين عدد (مؤلفات أحمد أمين) ذكر له (ص ٢٠٨) زيادة على ماذكر (ص ١٣٩) : « الإمتاع والمؤانسة » ولم يفصل هنا . ومعلوم أنه للتوحيدي (صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين) في ثلاثة أجزاء .

وذكر له من الكتب التي ألفها بالاشتراك مع الدكتور زكي نجيب محمود : « قصة الفلسفة اليونانية » ، « قصة الفلسفة الحديثة » ، « قصة الأدب في العالم » ــ والأمر معروف ولكن الذي يريد أن يعرفه القارئ مدى مشاركة أحمد أمين في تأليف كتب هي من الفلسفة الغربية على هذا الوزن الثقيل ؟

اذا كانت مشاركة أحمد أمين جدية : مناصفة في الجهد أو مثالثة وجب أن ترعى في البحث طويلاً وعميقاً فما هذه المشاركات ــ إن صحت ــ بالقليلة الشأن . وفي المشاركين من هم ــ مازالوا ــ أحياء يمكن للباحث ان يستعين بهم على استجلاء الحقيقة في المشاركة ــ لقد طبعت كتب المشاركة كلها في (لجنة التأليف والترجمة والنشر) التي رأسها منذ تأسيسها سنة ١٩١٤ حتى وفاته سنة ١٩٥٤ .

من الملاحظ ان الزركلي أهمل الإشارة ــ نهائياً ــ إلى كتب (المشاركة) تحقيقاً كانت أم ترجمة ؟!

٩ ــ جاء في (مؤلفات أحمد أمين) (ص ٣٠٧) : « فيض الخاطر » (٩ أجزاء) .
وجاء في كتاب « حياتي » لأحمد أمين نفسه (ص ٣٠٦) : (وبعد أن كتبت هذه المقالات في الرسالة والثقافة طلب إليَّ أن أكتب في مجلات أخرى : الهلال والمصور وغير ذالك ففعلت ، ولما كثرت مقالاتي جمعت بعض ما كتبت وزدت عليها وأودعتها ثمانية أجزاء سميتها « فيض الخاطر » .

أما الحقيقة الواقعة ــ أو التي وقعت ــ فهي أن : فيض الخاطر (١٠ أجزاء) .

١٠ ــ ص ٩٣ : (كتب عبدالرحمن بن خلدون مقدمة لكتابه الذي سماه « كتاب العبر » وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر . .)

الأهلة لا تسد بعد العبر « كتاب العبر » إذا أريد سرد العنوان كاملاً وإنما بعد البربر هكذا : « كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر » . والعنوان الأصلي أطول من هذا ، فهو : « كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

١١ ــ ص ١٣٣ : (. . . حتى غدت مدينة(بريل) بهولندة إدارة النشر لمخطوطات العرب والإسلام في العصر الحديث ، عدا ما طبعه المستشرقون من كتب العرب التي نشروها ، وكانت مرتبطة منذ طويل السنين بمطامعهم الغربية في باريس ولندن وفيينا . . .) .

أ ــ مدينة (بريل) بهولندة : مطبعة بريل بمدينة ليدن بهولندة .
ب ــ مطامعهم : مطابعهم ــ والخطأ مطبعي .
جـ ــ يمكن أن تضاف مدن مهمة أخرى غير باريس ولندن وفيينا منها (كوته) .

١٢ ــ ص ١٧٧ : (وكانت كتب النقد القائمة على البلاغة العربية التي نظر فيها أحمد أمين هي : طبقات الشعراء لاسلام [. . .] ونقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر .) .

أ ــ طبقات الشعراء لابن سلام (ومثله كتاب ابن قتيبة) لم يقم على البلاغة العربية ، ولم ينص أحمد أمين على ذالك .
ب ــ المقصود بنقد النثر ، القدر الذي نشره طه حسين والعبادي بهذا الاسم منسوباً لقدامة ، وقد ثبت أنه ليس لقدامة ، فقد وجد الكتاب كاملاً وحقق ونشر مرتين منسوباً لصاحبه الحقيقي ــ نذكر هذا للفائدة فقط .

بغداد : على جواد الطاهر

مخطوطة جديرة بالنشر:

لمحمد بن أحمد الأَبِيْوَرْدِي (٥٠٧/٠٠٠)

في صيف سنة ١٤٠٦ زرت مكتبة (دير الاسكوريال) في اسبانيا، وكان أَنْ طالعت فيها مخطوطاً استرعى انتباهِي فيه إيرادُ نصوص لغوية عن قدماء علماء اللغة، ومقطوعات شعرية لشعراء متقدمين، وأخبار وحكم وأمثال، قلَّ أن يُعْنَى بها من ليس من متقدمي العلماء.

فكان أن طلبت صورة هذا الكتاب، ومع أن كثيراً من كلمات المخطوطة لا تكاد تُقْرَأُ لعدم ضبطها، ولوقوع تحريف في بعضها، إلا أنني كلما ازددتُ مطالعةً في الكتاب ازددت أُنْساً به، واستمتاعاً بكثير من نصوصه.

لم يردْ ذِكْرُ اسم الكتاب لافي مقدمته ولافي طرة المخطوطة، إلا أنني استطعت أَنْ أُمَيِّزَ العصر الذي أُلِّف فيه، وأَنْ أُدْرِكَ من بعض النصوص أن مؤلفه عاش في شرق البلاد الإسلامية في القرن الخامس الهجري، وأَنَّ من شيوخه عبد القاهر النحوي (٣٩) ومنهم أبو الحسن بن طلحة الإسفراييني (٤) وأبو منصور عبدالواحد بن أحمد الهَمَذَاني (١٤٧) وأبو الحسن علي بن أحمد النسوي، تلميذ ابن سينا (١٥٣) وفيد بن عبدالرحمن الصوفي الهمذاني (٦٢) وهذا من شيوخ السِّلَفِي محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٧٦.

وأَنَّهُ من العلم بمقام فقد ذكر من مؤلفاته «الدرة الثمينة» (١٣٣ و١٤٨) و«الفيصل» (١٤٧) و«منية الأديب» (١٠٨)، وعدَّ من أجداده إسحاق بن أبي العباس الأموي (٨١و١١٨).

ومن البلاد التي ذكرها: أَبِيْوَرْد (٨٢) وهَمَذَان (٦٢و١٤٧) وإسفرايين (٤) ومدينة السلام (٩٢).

ومما ذكر من الكتب من غير تأليفه: «فرحة الأديب» للقاضي أبي العباس السعيدي قال عنه: ألفه في صِبَاه في سرقات الشعراء المحدثين. (١١٧).

وذكر كتاب «الحماسة» في مقام نقده فقال (١٢٣): وأكثر ماأودعه أبو تمام الكتابَ الموسوم بـ«الحماسة» من الشعر قَدْ سُبِقَ إلى اختياره، ومن تصفَّح كتبَ العلماء فيما أملوه من النوادر والأشعار والشوارد وقف على جَلِيَّةِ ماأُومَأْتُ إليه.

ومن الشعراء الذين أوردَ نماذجَ من شعرهم الرَّعْبَلُ بن الكلب (٧٣) وشاتم الدهر (١٥٣) وقعود الغواني (١١٥) والعُتَير بن ضابيء (٩٢) ومعبد بن جَنْش (٩٥) وغزيّ بن أبي طفيل (١١٠) ورويشد بن كثير (١٢٨) وعبدالصمد بن عثمان الشَّريدي (١٢٩) وحماد بن الربيع اليربوعي (١١١) وصالح بن عبيدالله بن حجاج الفقعسي (١١٣) وعبدالجبار بن يزيد بن ربعة العليمي (١١٠) وجابر بن رألان الطائي (١١٣) وضَوْءُ بن سلمة الغبري (٩٩) وجميل ــ ليس العذري ولا الفزاري ــ (٩٧) وغيرهم.

ومع عناية المؤلف بإيراد نصوص كثيرة من غريب اللغة، إلا أنَّهُ لايَرَى استعمالَ الغريب منها، فهو يقول (٩١): ولا أذكر أمثالَ هذه الغرائب ليستعملها المحدثون، ولكنَّ مجيئها يكثر في أشعار المتقدمين كثرة دراري الكلم، فأعثر بها في أثناء ماأُمليه فأوردها ليقتصر المتأخرون على حفظها، ولا يشاركوا المتقدمين في استعمالها، فالمستحسن من الكلام مايجود لا مايجوز، وقد أنشدني بعضُ أصحابنا قصيدة ذكر فيها (السَّمَهْدَر) و(المُسَرْدَج) فأنكرتُهما عليه فقال: لِمَ تنكر عليَّ ما سبقني إلى استعماله الشعراء، ثم أنشد لأبي النجم:

وتَرَكَتْكَ اليومَ كَالْمُسَرْدَجِ

وأنشد لغيره:

ودُونَ لَيْلَى بَلَدٌ سَمَهْدَرُ

فعرفت غلظته وكثافته، ولا يتنبه للطيف الدقيق في هذه الأماكن إلا من وضع في الكِير، فنصع طيبه، وحدثني غير واحد من أصدقائنا بمدينة السلام عن اسفهدوست الديلمي عن ابن نُبَاتَة أنه أنشد أبيات الفرزدق في الذئب ثم قال: هذا كلَامٌ وُضع في الرَّاوُوْقِ.

وقال ص (١٠٨) ــ بعد إيراد عدد من الكلمات الغريبة ــ: وهذه غرائب لا يزكُو استعمالها بالمحدثين. . . وقد صنفت كتاباً وسميته بـ «منية الأديب» وهو يشتمل على نظائر في ذالك كالتشحيف، والبيت الرِّحَاس، والتنقُّم، وهذه امرأة شختة المحتضن. الخ .

وقال ص (١٤٧): فتأمل هذه اللغات المأخوذة عن الثقات الأثبات، فأَلْطِفِ النظر فيها، وابحث عن أَسرارها ومعانيها، فلم تَشِنْها كلمةٌ طخياء، يتجافى عنها العلماء والفصحاء، ومن سام الأصولَ الكبار فَهِمَها، وافتقر معانِيَهَا وعلمها، وطرب لها طرب الساري للقمر وضوئه، وسُرَّ بها سرور المجدب بِالمَطَرِ ونوئه، وإن ضاق بها ذرعاً فليأخذ زهد مايكفيه، وليرق على ظلعه فيه، فهي من واضح كلام العرب وصحيحه ومقبوله، دون وحشيِّه ومستنكره ومرذوله، ومن أعجبه غريبُه، وآثر أن يكثر منه نصيبه، فليتصفح كتابي الذي يدعى «الفيصل» وهو يشتمل على الـمُسْتَنَزر، المستعمل من كلامهم كـ (أُرُلٍ) وفيه حرفان قلما يأتلفان و(الذَّمِه) و(الذهر) و(التبجيم) و(الرَّمِهِ) وهو لا يخلو أيضاً من لغة غريبة أودعها العلماء مصنفاتهم، ولم يبت الحكم بصحتها كـ(الخازم) و(الزعبج) و(الأشفع) ومررت بها صفحا فذكرتها مقترنة بما وأردته مما يجري مَجْرَى المهمل لِقِلَّتِهِ، ويثبته أصحابنا في المستعمل لصحته، ولْيُجِلْ ناظِره في كتابي الموسوم بـ«الدرة الثمينة» وهو يتضمن مايأتلف مع الحروف كلها في المضاعف والمطابق، إلا مع التي تقارنه(؟)، ومنه يلتقط دراري الكلم، وفي عرفان ذالك مالا يُستصعب معه في تخير ألفاظهم مراماً، مما ائتلف من حروف العربية، فكان كلاماً ولاجذا(؟) اللغة حتى تجعل قلبك صوانها، وتجمع في سويدائه شذَّانَها، فالواحد في تامورك، خير من الألف في مسطورك ــ ثم استمر في توجيه النصح لأحد تلاميذه ويظهر أنه ألف الكتاب استجابة لرغبته .

وقد توسعت في نقل ماتقدم من النصوص لتوضيح بعض ملامح عن ثقافة المؤلف اللغوية .

وقد عرضتُ الكتاب موضحاً بعض ماتبين لي عن مؤلفه على كثير ممن توسمت

بازار وبيال اسلكوا ذلل الطريق ومن امثال القحطانية
الكند من عُفير والعايذ الحديثة النتاج من الابل والخيل وكان معها
ولد اولم يكن وقال ابو عبيدة هي التي معها ولدها والجمع عوذ وقال
غيره سميت عايذا لانها تعوذ بولدها قال ابو زيد ويقال عاذت
واعاذت واعوذت وقال الاصمعي قال بعض الاعراب ما
يسرني بعلمي علم قيل له وما علمك قال اعلم ان المرتع الطل وان
الحمى في اصول النخل وشر النبات نبات النبل وشر النساء
الغميد المراض والحمر المياض وهو مشيح على العيش مليح من
الهواني وهذا جبل يعني الارح المخدم وقد ذلب بفلان الغار
ومن كلام الاعراب ومن عاجل قصر اعز وجبل ظلم حياة جلد
الرجل الجزور والايتال سلخ وسوء دقم الغيظ ويقال واسطة الرحل
وانشد يعقوب ٭ ملتزما من الغاس الواسطة ٭ وواسط الرحل
قال الاعشى ٭ وفي كل عام لرعزوق سخت الدوابر حت السفن ٭
مجون تظل الفتى جاذيا ٭ على واسط الكور عند الدفن ٭ والجمع الاواسط
وانشد علماؤنا رضي الله عنهم اجمعين ٭ مرين على الرحال اذ اترامت ٭
بابرى العيس مهلكة قفار ٭ كان اواسط الاكوار فيها ٭ تنوء لها نلة عجم صغار ٭
وتليلها مرين بالذيابان ٭ وموعزيب وتدجى في الشر وكان بها مترا
ضرب ويقال للاسى نجح هذه الشجة ويقال فاقع بين الفقوع
وجاز فلان تنعيش ولدانا وما عربت عليه نغبة قط اي فعلة فيحة
ولا لغرب تقول هو اثقل من الزواقي وقال الاعلم بن هناد الشيباني كفتاة الترين الى الهوى ٭ ويقتادني يوما ترينى فاتبع ٭

فيهم المعرفة وسعة الاطلاع من أساتيذنا الأجلة كالدكتور إبراهيم السامرائي، والأستاذ عبدالسلام هارون، والأستاذ محمود محمد شاكر وغيرهم فلم أجِدْ لدى أحد ممن عرضت عليه الكتاب ماينير الطريق لمعرفة مؤلفه .

هل هو للأبيوردي المشهور ؟

لفت نظري الابن الكريم الأستاذ جواد بن محمد الدخيل في كلية الآداب في (جامعة الملك سعود) إلى أنه ربما يكون المؤلف الأبيوردي ويدل على هذا :

١ ــ ماجاء في «معجم الأدباء»[١] لياقوت و«سير أعلام النبلاء» للذهبي عن نسب الأبيوردي محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن اسحاق بن أبي العباس محمد بن اسحاق ويتصل نسبه بعنبسة بن عتبة بن عثمان ابن عنبسة بن أبي سفيان، بينه وبين أبي سفيان خمسة عشر أباً ــ على ماذكر الذهبي ــ وفي هذه المخطوطة (ص ٨١) مانصه : وقال جَدُّنا أبو العباس الإمام : كان عتبة ابن عثمان بن عَنْبَسة بن أبي سفيان يدعى عتبة الأشراف. ثم استرسل في إيضاح معنى هذا الكلام .

وقال (ص ١١٨) : وكان عَمْرُو بن غيداق الشاعر يعتزي بنسبه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فوفد على إسحاق بن أبي العباس الإمام الأموي، وكان رئيساً ضخماً، والخير يومئذ عنده ذُوْ عينين، فمدحَهُ بأشعار لا تدخل في حَيِّزِ الاختيار، وضمنها هجو إنسانٍ من أهل نَسَا، كان ينازع إسحاقَ الرياسة، وسعى به إلى السامانية ــ إلى أن قال ــ: ولولا أنَّ الثناء من البعيد أحسنُ لذكرتُ من فضائل جدِّنَا إسحاق ماتشهد به آثاره، وإن عفَّتْ أَكْثَرَهَا عُقَبُ الزمان، وكان أباً للأرامل واليتامى، وقد وُصِف بالحزم والفضل، وعمر حتى جاوز التسعين، ولما حضرته الوفاة طفق ينشد :

قُــلْ لِـلَّذِيْنَ تَـبَـاشَرُوا بِنَـعِيِّـهِ ... صَبْرٌ على الـرَّجُل الْمُجَنِّ قَلِيـلُ
مَامَاتَ حَتَّى لَمْ يَدَعْ ذَحْلًا لَـهُ ... وعَلَيْهِ من تِرَةِ الرِّجَالِ ذُحُـولُ

٢ ــ يذكر مؤلف الكتاب بلدة (أبيورد) بعناية (٨٢) إذ يقول: وكان أبو عمر اللغوي صاحب أبي العباس من حُفَّاظِ اللغة، ومن الثقات فيما يرويه، ولكنه كَثَّر

مِنَ الغريب، فَذُمَّ باقتحام بُنَيَّاتِ الطريق ــ إلى أن قال: وكانَ جَدُّهُ من أهل (أبِيْوَرْد) وابن خَالَوَيْهِ يقول في كتبه: حدثنا شيخنا أبو عمر اللغوي الأَبِيْوَرْدي، وهو من مشاهير أصحاب أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني، وٱلْمَذْكُورَان من أهل السنة والجماعة، وكان عنده جزء في فضائل الخلفاء المهديين رضي الله عنهم يسميه «سعوط الرافضة».

٣ ــ يروي المؤلف عن عبدالقاهر النحوي كما في (ص ٣٩) إذ يقول: وأنشدني الشيخ عبدالقاهر النحوي، قال: أنشدنا أبو الحسين ــ وساق السند إلى المفضل ابن محمد الضبي، فأورد قصيدة لعامان[٢] بن كعب بن عمرو بن سعد وهو جاهلي:

أَلَا قَالَتْ بَهَانُ وَلَمْ تَأَبَّقْ نَعمْت ولا يليطُ بك النَّعِيْمُ
بَنُونَ وَهَجْمَةٌ كَإِشَاءِ بُسٍّ صَفَايَا كَثَّةُ الأَوْبَارِ كُومُ

ــ إلى آخر المقطوعة ــ وعبدالقاهر هو الجرجانيُّ العالم المشهور.

وقد نَصَّ مترجموه، ومنهم ياقوت والذهبي[٣] بأنه لقي عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني النحوي وأخذ عنه العربية.

٤ ــ عدَّ ياقوتُ من مؤلفات الأبيوردي «الدرة الثمينة»[٤]. وتقدم النقل عن هذا الكتاب.

٥ ــ وعُرِفَ الأَبِيْوَرْدِيُّ باهتمامه باللغة، فذكر ياقوت[٥] أن له فيها مصنفات لم يُسْبَقْ إليها. ومثل هذا في «البغية» وفي «سير أعلام النبلاء»: وله في النحو واللغة مصنفات ماسُبِقَ إليها.

ووصفه السمعاني بأنه أوحد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة والأنساب[٦]. والكتاب الذي بين أيدينا مملوء بالنصوص عن قدماء أئمة اللغة، ونقل ياقوت عن السمعاني أن الأبيوردي قال: كنت ببغداد عشرين سنة حتى أُمَرِّنَ طَبْعي على العربية، وبعد أن ارتضح لكنة. كما ذكر أنه تولى خزانة دار الكتب النظامية في بغداد[٧].

وقد ورد في هذه المخطوطة (٩٢) نَصٌّ بدخول مؤلفها مدينة السلام وأن له فيها أصدقاء .

مؤلفات الأبيوردي :

هاهو أوفى ماأطلعت عليه من أسماء مؤلفاته في «معجم الأدباء» و«سير أعلام النبلاء» و«هدية العارفين»:

١ ــ «أنساب العرب» .

٢ ــ «بغية الشادِي من علل العروض»، نقل الدكتور عمر الأسعد في مقدمة «ديوان الأبيوردي» ــ ١٧ ــ عن «زاد الرفاق» ــ ٢٥٣أ ــ: ولقد أودعت كتابي الموسوم بـ«بغية الشادي» من علل العروض. . .

٣ ــ «تاريخ أَبِيْوَرْد ونَسَا» .

٤ ــ «تَعِلَّةُ المشتاق إلى ساكني العراق» .

٥ ــ «تَعِلَّةُ المقرور في وصف البرد والنيران وهمذان» وجاء في هامش إحدى مخطوطات «معجم الأدباء»[٩]: لعله أبيورد والبيران ــ وعلق محقق المطبوعة قائلاً ــ: لا أشاركه هذا الرأي لأن ماذكر لا يتفق مع ماصدر به اسم الكتاب، أما ذِكْرُ هَمَذَان فَلأَنَّ شتاءها مفرطُ البرد، كثير الثلج، طويل الأمد، لا تجدي معه النيران .

٦ ــ «تلْوُ الحماسة»، ورد ذكره في هذه المخطوطة ــ ١١٥ ــ بما نصه: وقال قعود الغواني وهو مما أودعته «تلو الحماسة»:

وتَحْتَ مَشَاجِرِ الأَحْدَاجِ حُورٌ نَوَاعِمُ من ظباءِ الرَّمْلِ عِيْنُ

ونقل الدكتور عمر الأسعد أيضاً نصاً من كتابب «زاد الرفاق» ــ ١٦٠ب ــ في الكلام على «حماسة» أبي تمام: ورسمت الأوراق المشتملة على مايضاهيها من اشعار المحدثين بـ «تلو الحماسة» .

٧ ــ «الدرة الثمينة» .

٨ ــ ديوان شعره، وهو أقسام: العِراقيات والنَّجديات والوجديات، قد نشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٤ بتحقيق الدكتور عمر الأسعد في مجلدين

وطبع قبل ذالك طبعة سيئة في بيروت أدخل فيه من الشعر ماليس لصاحبه .

٩ ــ «زاد الرفاق في المحاضرات» ذكره الذهبي كما سيأتي، وبعده صاحب «كشف الظنون» ومن جاء بعده، وذكر الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في هامش «إنباه الرواة» ٣/٥٠: ان هذا الكتاب يشتمل على مناظرات مع ارباب النجوم، ونقض لحججهم وهو مخطوط برقم (٥٨٢ أدب) في دار الكتب المصرية .

١٠ ــ «صهلة القارح» ردَّ فيه على المَعَرِّي في «سقط الزند» وفي «هدية العارفين» «الصهلة والقارح» .

١١ ــ «طبقات العلم في كل فن» كذا ورد اسم الكتاب في «معجم الأدباء» وفي «سير أعلام النبلاء»[١٠] وفي موضع آخر من هذا الكتاب[١١] «طبقات العلماء في كل فن» وكذا ذكر الزركلي، وعند ابن خلكان «طبقات كل فن» وكذا في «إنباه الرواة» .

١٢ ــ «قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان» ذكر الدكتور المنجد[١٢]: أن ابن عساكر نقل عنه كثيراً .

١٣ ــ «كوكب المتأمل» في وصف الخيل .

١٤ ــ «مااختلف وائتلف في أنساب العرب».

١٥ ــ «المجتبى من المجتنى» في رجال النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبه .

١٦ ــ «المختلف والمؤتلف» تكرير ياقوت والذهبي وغيرهما لاسم هذا الكتاب مع ماتقدم يدل على أن هذا الأخير ليس خاصاً في أنساب العرب، بل يشمل الأعلام وأسماء المواضع . وذكر الدكتور عمر الأسعد أن الدكتور مصطفى جواد حققه وطبعه مع «المختلف والمؤتلف» لابن الصابوني المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٧ .

١٧ ــ «نهزة الحافظ» وأضاف صاحب «هدية العارفين»: وقيل: «نزهة الحافظ».

ومما عدَّهُ صاحبُ «هدية العارفين» من مؤلفاته «ترجمة السِّلَفِي في أخبار الجاحظ» كذا أورد الاسمين باعتبارهما اسمَ كتاب واحد ، أما (ترجمة السِّلَفِيِّ)

فلاشكَّ أن صوابها: (تَرْجَمَهُ السِّلَفِيُّ) لِأَنَّ السِّلَفِيَّ أَلَّفَ ترجمة لِلأَبِيْوَرْدِي على ماذكر الذهبي إذ قال[١٣]: وقد عمل له السِّلَفِيُّ سيرة وطول . ونقل بعض أقوال السِّلَفي .

أما كلمة (في أخبار الجاحظ) فلعل الأبيوردي كتب مؤلفاً عن الجاحظ .

وعدَّ أيضاً «النجديات» قال عنها: منظومة في ألف بيت[١٤]، والمعروف أن النجديات قصائد ذكر فيها الأبيوردي نجداً في مقام الاطراء والثناء وهي من ديوانه .

وإذا صح أن هذه المخطوطة للأبيوردي فينبغي أن يضاف إلى مؤلفاته :

١ ــ «الفيصل» ورد ذكره في (ص ١٤٧).
٢ ــ «منية الأديب» (ص ١٠٨) .

من استعراض أسماء مؤلفات الأبيوردي، وورود ذكر بعضها في هذه المخطوطة يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أنها من مؤلفات الأبيورديِّ، فقد ذكر المتقدمون من مؤلفاته كتاب «الدرة الثمينة» كما في «معجم الأدباء»[١٥] وذُكِر هذا الكتاب في موضعين من المخطوطة ــ ١٣٣/١٤٨ .

كما ورد من بين مؤلفاته «تلو الحماسة» في مخطوطة (دار الكتب) من «زاد الرفاق» كما تقدم، وورد الاسم في هذه المخطوطة ــ ١١٥ ــ .

وصف المخطوطة :

هي من مخطوطات مكتبة (دير الاسكوريال) في اسبانيا ورقمها (٧٥٣) وفي طُرَّتِها كلامٌ لا يُفْهَمُ منه عنوانها

منه : (هذا الكتاب يذكر فيه فضائل فضل العرب، وفيه أحسن أشعارهم وأمثلهم (؟) بحسب المناسبة واقتضاء المقام في شأن أكثر المتداولات بينهم والمستعملات بين جميع. . . .[١٦] والمنشأت) . ثم بيتان منسوبان للبديع الهمذاني :

الكتاب يذكر فيه فضايل نفس
ثم المحبوب وفيه احسن اشعار
امثلهم بحسب المناسبة واقتفنا
المقام في شان اكثر المتداولات
تضمينهم والمستملحات بين جميع الشعر
والمنشآن

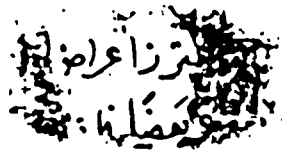

رَأى الصَّيْفَ مَكْتُوباً عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفاً فَقَامَ إلى السَّيْفِ
فَقُلْتُ لَهُ (خَيْراً) فأَوْهَمَ أَنَّنِي أقول له (خُبْزاً) فَمَاتَ مِنَ ٱلْخَوْفِ

ثم كلام لم يتضح، وبجانبه ختم كبير لعله اسم ختم المكتبة التي كانت النسخة فيها أو اسم صاحبها، ثم الورقة التي تلي الطرة في أعلاها بشكل طرة (طغراء) فيها (صاحبه عبدالله بن حسن) وتحتها بدون بسملة: (الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين:

أَحَقاً عِبَادَ الله أَنْ لَسْتُ لاَقِياً بُثَيْنَةَ أَوْ يَلْقَى الثُّرَيَّا رَقِيبُهَا

علاَمَ أيها الأخ وقاك الله المحذور، ولقاك في مقاصدك السرور، تضاهي النجم ورقيبه في المقاطعة ولا تباهي الثريا والعَيُّوق بالمطالعة، فمالك على الهجر مصراً وبمظنة الغدر مستقراً، ومتى ابتدعت هذه الطبيعة حتى تمثل فينا قول ابن [أبي][17] ربيعة:

أَيُّهَا ٱلْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ الله كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟
هِيَ شَامِيَّةٌ إذَا مَااسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ!

فتجافيت عن وصل يُعَدُ الأنس من خصائصه، وكنت تَفِي به وفاء التابع بقلائصه، فإنْ نَزَحَتْ دارُكَ تراختْ أَخْبَارُك، أو قَرُبَ مَزَارُكَ لم يؤمن صدودك وازْوِرَارُكَ، وكم زرتني مبكراً، ويممتني مُعَقِّباً ومُهَجِّراً، وضربْت إليَّ أكبادَ المطي، وطويت غَولَ البلدْ النطي:

بنابية الأخفاف عن شَعَفِ الذُرى نِبَالٌ تَوَالِيْهَا رِحَابٌ جنوبها

فأدبر غَريرُك، وأقبل هريرُك، وأذقتني مرارةَ البين، ومِلْتَ إلى ارتشاف الأعذبين، وألهتك قهقهةُ الإبريق، وأضربت صفحاً عن رعاية الصديق، وللإخاء حَقٌّ لا يُهْدَر، وللكريم ذمة لا تُخْفَر، وأنت تلتحف بجلباب الظلامَ، وتُزَوِّجُ ابنةَ العِنَبِ بابنِ الغمام، حتى ترى) وتنتهي الصفحة، ولكن تعقيبتها وهي كلمة (الفجر) لا تتصل بالصفحة التي بعدها، مما يدل على وقوع خرم في النسخة ولعل فيه مايفهم منه اسم الكتاب.

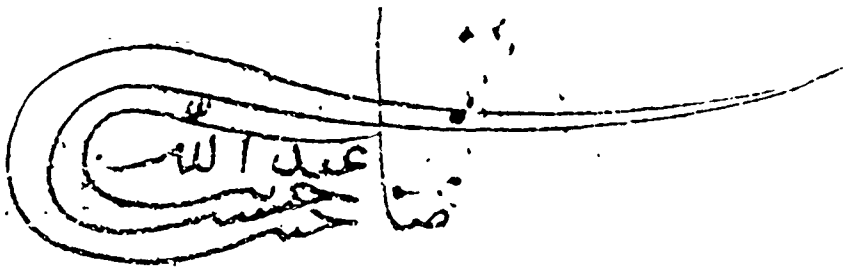

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين
احتاعباد الله ان لست لاقيا بثينة او يلقى الثريا رقيبها
علام ايها الاخ وفاك الله المحذور ولقاك مقاصدك السرور تضاعف
النجم ورقيبه في المدة ولا بامي الثريا والعيوق بالمطالعة فاك
على الهجر مدد الغدر مستقرا ومتى ابتدعت هذه
الطبيعة حتى ويلك ابن ربيعة
ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان
فجافيت عزوه ذا الانس من خصايصه وكنت تقفي بره وفاء التابع
بقلايصه فان نزحت دارك تواصلت اخبارك او قرب مزارك لم
يومن شكك زورارك وكم زرتني مبكرا واميتني عقبا ومجرا وضربت
الى اكباد المطي وطويت غول البلد النطي
بنا بطن الاخفاف عن شعف الذرى بال توالي ايها رحاب جونها
غربية واقبل هرير كا واذ قتني مراتع البيز وملت الى ارتشاف
والهتك قهقهة الابريق واضربت صفحا عن رعاية الصديق
حق لا يعدد وللكريم ذمة لا تخفر وانت تلتحف
الظلام وتزوج ابنة العنب بابن الغمام حتى ترى
البق

وفي الصفحة التي تليها كلام مبتور يبتدأ بما هذا نصه: (بينه، وبدا نَجِيْثُ القوم، وبالبعير ناخس، والداء ناجس، ونجَشَ الصيدَ، وأَنْفَجَ اليربوع فنفج). ومأأشبه هذه الكلمات.

وأبرز مباحث الكتاب ترد بعد جملة (وسألتني عن) ومن أمثلة ذالك : ـ

١ ـ وسألتني عن قصة صَوْلَة ـ ٣ ـ.
٢ ـ وسألتني عن الاسْفِنْط ـ ١٧ ـ.
٣ ـ وسألتني عن ابن نفيسة الأموي الداعي لنفسه ـ ٣٩ ـ.
٤ ـ وسألتني عن ضربة فارس الهدَّاج ـ ٤١ ـ.
٥ ـ وسألتني عن قولهم: ناقة كَتُومُ الرغاء ـ ٦٢ ـ.
٦ ـ وسألتني عن ابن قترة ـ ٧٣ ـ.
٧ ـ وسألتني عن اشتقاق المنبر ـ ٨٤ ـ.
٨ ـ وسألتني عن اشتقاق دُخْشُم ـ ٨٦ ـ.
٩ ـ وسألتني عن اشتقاق الجوزاء ـ ٩٨ ـ.
١٠ ـ وسألتني عن نقيض زكا يزكو ـ ١٢٣ ـ.
١١ ـ وسألتني عن منكر ونكير ـ ١٢٥ ـ.
١٢ ـ وسألتني عن اشتقاق الدَّيَامِيْمِ ـ ١٤٢ ـ.

وفي الكتاب فصل مطول عن أسماء (سيوف العرب)

وآخر ما ختم به الكتاب عن الأنواء في أقوال العلماء والشعراء ، بدأه بتوجيه النصح إلى إنسان يظهر أنه ممن يعاقر ابنة الحان، قال فيه ص ١٥٣ : (فمالك عَقِير العقار، وهلاَّ اقتديت بالصالحين الأخيار، والتزمت ماتَقتضيه الحكمة فبها اتِّسَامُك، وانتهجت سنَنَ سقراط في زهده، فهو إمامك، فنحن نتحقق أن الذكر هو عمر ثانٍ، ومن رغب عن اقتنائه فليس بإنسان، وبالعلم يتهيأ خلوده، ومن الجهل يتولد خموله وخموده، وأَنْتَ تتعمد اطِّرَاحَهُ ونسيانه، وقد أنفقت عليه من شبابك رَيْعَانَه، ومن أمسى للكأس صريعاً، وأصبح للعلم مُضِيعاً، تمكن من

الملواح سيف عمرو بن سلمة وقال سراقة البارقي فيه شعر

اذا قبضت انامل كف عمرو على الملواح واحتدم اللقاء

الملوّح سيف ثابت بن قيس وقال شعر

ومن يك لا يهاب السيف منكم فاكان الملوّح بالمليم

اتى بالكوم وهو كليب زوّل سليل المقانب شعر

سيكفيك ضرب القوم لحم معرض وما قدور في القصاع مثيب

والسفاح سيف حميد بن بحدل الكلبي شعر هذا حميد قد اتاكم معلما

يذرع الليل ويمضي قدما بسيفه السفاح ما تلعثما

وذكر بعضهم ان الليل هو اسم سيف عرفجة الكلبي الذي قال فيه شعر

والليل ذو الغرّين كهمي وهذا القول من استنباط المعلمين

عابس سيف عبد الحق الكلبي وقال الفرزدق شعر

اذا ما تودّى عابسا فاضر سيفه دما ويعطي ماله ان يتسما

والخطير سيف عبد مالك الخولاني ولما قتل العباس بن محمد اليمن

استعمل روق بن عباد الخولاني على مخلاف من مخاليفها فطلب منه

الخطير فوهبه له وانشد واسر فله ابنى بدلا بالخطير

وكل بديل به اعور **وذو الخرصين** سيف قيس بن الخطيم

وقال فيه شعر ضربت بذي الخرصين هامة مالك فابت نفس قد اصبت شفاها

وكان الانصار رضي الله عنه ضربون المثل بسيف ابي قتادة الانصاري

هو **النجوم** وسيف مالك بن العجلان وهو **المسنون** و

القطاع سيف عصام بن شهبر الجرمي وقال شعر

قد شفرت جرم وقد تشفّت الى على الاعداء ليث قنور

أخلاقِه السفَهُ، واحْتَوَشَتْهُ في دِينه الشُبَه، والحكمة ترفع أربابها، وتُلْحِقُ بالرفيق الأعلى أَصْحَابَها ﴿ ومَنْ يُؤْتَى ٱلحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيْراً، وَمَايَذَّكَّرُ إلَّا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ ومن اتَّشَحَ بعطافها وارتضع من أَخلافِها، أَفْضى إلى معارف تورده المشربَ الروي، وتوضح له المسربَ السوي، وقد قال أخو يونان: كنتُ قبل اليوم أشرب وأظمأ، حتى عرفت فَروِيْتُ بلا شُرْبٍ، فارْتَدِعْ عما يُدْنِيْك من مقارفة الإثم، واكتحلْ بمراود السهر في دراسة العلم، فقد جاءك النذير، وابتَسَمَ في مفارِقِك ٱلقَتِير، وأَقْبِلْ على شانك، وأَعْرِضْ عن ذم زمانك، فأهله عن سنن الحق ناكبون، ولأهوائهم في عمايتهم راكبون، ولسنا نرى فيهم لأبي شجاع نظيراً، فتكون بنيل ماصادفه القُوهيُّ عنده جَدِيْراً، والدولة غَضَّةُ العُود، ولكنها تُدَبَّرُ بالقرود، ولا سبيل إلى اقتسار الهمج بالغلبة والقهر، فَتَسَلَّ عما تأمله بما قال شاتم الدهر:

لَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَعْراً سَبِيْلُه ... وأَبْدَى لَنَا ظَهْراً أَجَبَّ مُسَلَّعَا
وَمِعْرَفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ ... عَلَيْهِ ولَوْناً بِالْعَثَانِيْنِ أَدْرَعَا
وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كَالشِّرَاكِ ضئيلة ... وصَعَّرَ خَدَّيْهِ وأَنْفاً مُجَدَّعَا
هُنَاكَ ذَكَرْتُ الذَّاهِبِينَ أُولِي النُّهى ... وقُلْتُ لِعَمْرٍو وٱلْحُسَامِ: أَلَا اجْدَعَا:
فَإِنِّي أَرَى ٱلْحَيَّيْنِ كَعْباً وعَامِراً ... أَصَابَهُمُ دَهْرٌ وكَانَ مُفَجِّعَا
أَرَى كُلَّ مَأْفُونٍ وكُلَّ خَزَنْبَلٍ ... وشِهْذَارَةً تِرْعَيَّةً قَدْ تَضَلَّعَا
وَسَامَى ٱلْمَعَالِي يَبْتَنِيهَا لِنَفْسِهِ ... فَيَالَكَ دَهْراً مَايَزَالُ مُرَوِّعَا

ولست تظفر فيهم بكريم، فتفر إليه من زمن لئيم، وتجد عنده الطَّوْلَ والإحسان، وتنشده قول أبي هفَّان:

إِلَيْكَ هَرَبْتُ مِنْ زَمَنٍ وَقَوْمٍ ... غُذُوا بِالجَهْلِ وَاللُّؤْمِ اللُّبَابِ
لَقَدْ عَمَرُوا بُيُوتَهُمُ بِخَيْرٍ ... وَحَلُّوهَا بِأَعْرَاضٍ خَرَابِ

وهم لا يساوون أن يُفْغَر بانتقاصهم فَم، وتُغَبَّرَ للإلمام بعراصهم قَدَمْ، ومن شيمي الإحجام عما يتحاماه الكرام، ولكني أَوَيْتُ لَكَ إذْ أَعْضَلَتْ بِكَ الأمور، فَأَبْثَثْتُكَ في التسلية مايَنْفُثُ به المصدور، وٱلعيش أَطوار، وقد أَحْسَنَ بشار:

خُلِقْتُ عَـلَى مَـافِيَّ غَـيْرَ مُخَيَّرٍ وَلَـوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمُهَـذَّبَـا
أُرِيْدُ فَلَا أُعْطَى وأُعْطى فَلَمْ أُرِدْ وقَصَّر عِلْمِي أَنْ يَنَـالَ الْمُغَيَّبَـا

والأَلْيقُ بي أنْ أَتوقَّى الإطنابَ والإطالة، وأختم بإيضاع ماسألتني عنه الرسالة، وهو تلخيص مااشتبه عليك في كتب الأَنْوَاءِ من أقوال العلماء والشعراء، وها أنا أجتهد في الإبانة والتحقيق، وهما يهيبان بك إلى القبول والتصديق، فاعلم أَنَّ مذاهبَ العرب في النجوم غَيْرُ مشاكِلَةٍ لمذاهب أصحاب القياس والرصد من الفرس والرُّوم، وهم في الاهتداء بها أصدقُ الأُمَم نظراً ، وأجودهم لها في طلوعها وغروبها تشبيهاً ، وأكثرهم للأنواء والبوارح ذكراً، حتى نسب بعضهم كُلَّ نجم إلى الشق الذي يُرَى منه، فقيل: كوكب جَرْمٍ ، وسُهَيْلُ اليماني، وهذا كما جعل بعضهم اللصوصَ عِيَالاً لبارح الجوزاء، إذْ تهيأ لهم انتفاع بهبوبه .

وَقُلْتُ لكلبيٍّ من بني هُذيم: إني لأعجبُ من اهتدائكَ بالنجوم، وأنْتَ لاتَحْسُبُ ولاتكتُب. فقال: إن العاقل لايجهل سَقْفَ بيته. وممن اعتُرِفَ بعلمه من الأعراب في هذا الشأن بنو ماويَّة من كَلْب، وبنو مرة بن همام من شيبان ، وقال معاويةُ لِدَغْفَلِ بن حنظلة العلامة ــ وقد ضمه إلى ابنه ــ: عَلِمُه العربية والأنسابَ والنجومَ. فالفلك مدار النجوم الذي يَضُمُّهَا، قال الله تعالى: ﴿ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ . واسترسل في الكلام في هذا الموضوع حتى الصفحة الـ (١٧٠) فقال: (وأما عُطَارِدُ فلم يتكلم أحدٌ من علمائنا في اشتقاقه، والعرب تقول: عَطْرِدْ لِي ، أي أعد ، وشأو عَطَرَّدٌ ، أي طويل ، وقول أمية :

والشمس تطلع كل آخر ليلة) .

وتنتهي الصفحة وتعقيبتها كلمة (حمراء) لا توجد الورقة التي هي فيها .

وعدد صفحات المخطوطة ١٧٠ صفحة تحوي الصفحة ٢١ سطراً بخط بين الفارسي والنسخ، وبعض الكلمات مشكلة بالحركات، والعناوين بخط الثُّلث ، وليس في الصفحات مايشير إلى مقابلتها وتصحيح بعض كلماتها، فهي لا تخلو من أَخْطَاءٍ .

فوردون والعيوق مقعدها الى الثريا فوق النجم لا يتلعع
فلما كان ورود الخمر معلوما وقته وذلك ان اهلها اذا هم بتوجيهها
انتظر الليل حتى اذا جن عليه وجهها فاساء الليل حتى يصبح الماء
عرف الزمان وقال ذو الرمة شعر الا طرقت هيوما بذكرها
وابدى الثريا جنح في المغارب والثريا يجنح في جميع اوقات الليل
من ازمان طلوعها فهذا غير محظور ولكنه ذكر الحيال وسوء مسير فعلم انه
في آخر الليل واشعار العرب متواطية على هذا التفسير وهم يشيرون ايضا
الى النجم يقصدونها بذكر كواكب يرصدونها كقول الشاعر
ان العراق واهله كانوا الهوى فاذا اتاني وفدهم فليبعد
فلتركنهم بليل ناقتي تذر السماك وتبتدي بالغفر قد
واما قول الراعي شعر اري ابلي تكلأ رعيانها فحافرت بارح طبق النجوم
فقوله طبق النجوم اي الليل كله فحافرت ساطبق النجوم ومثل درج النجوم ولم
يامنا آنيا من اناء الليل والفارطان اللذان سالتني عنهما كوكبان متباينا
لمام بنات نعش وكل متقدم فارط وقيل للمتقدم في طلب الماء فارط وفراط
القطا متقدماتها الى الوادي والماء الفراط الذي يكون لمن سبق اليه من
الاسياء والمحلفان هما حضار والوزن تحلف عليهما انها سهيل للشبه
المجنون يدعونها المجنبين والعرب تقول هذا شيء محلف اذا كان تلك
فيه فيحالف عليه وانشدوا شعر لميت غير محلفة ولكن
كلون الصرف عذبه الاديم واما عطارد فلم يتكلم احد من علمائنا
في اشتقاقه والعرب تقول عطرد لي اي اعد وشاة عطرد اي
طويل وقول امية شعر والشمس تطلع كل آخر ليلة

رسالة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١١٨٢) إلى عبدالهادي بن بكري العجيلي (١١٧٩)

مقدمة التحقيق

محمد بن إسماعيل الأمير:

نسبه ومولده : هو (السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس ابن علي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[1] ، يلقب

استدراك :

بَعْد إعداد ما تَقَدَّم لِلنَّشْرِ اتَّضَحَ أنَّ هذه المخطوطة نسخة ناقصة من كتاب « زاد الرفاق » وسيأتي إيضاحُ ذالك ، ووصف مخطوطتي الكتاب الكاملتين .

حمد الجاسر

الحواشي :

١ ــ ج٦ ص٣٤١ نشرة مرجليوث وج١٧ ص٢٣٤ الطبعة المصرية.
٢ ــ ورد الاسم في «لسان العرب» في رسم بسس ــ بك ــ نهل ــ لطم (عاهان) وكذا في «معجم البلدان» و«تاج العروس» رسم (بس).
٣ ــ «معجم الأدباء» ٢٤٤/١٧ و«سير أعلام النبلاء» ٢٨٤/١٩ .
٤ ــ نفس المصدر وتقدم النقل عن هذا الكتاب .
٥ ــ نفس المصدر السابق . ٦ ــ «بغية الوعاة»: ١٦ .
٧ ــ ٢٣٧/١٧ .
٨ ــ «هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» لاسماعيل باشا البغدادي ٨١/٢ .
٩ ــ ٢٤٣/١٧ . ١٠ ــ ٢٨٤/١٩ . ١١ ــ ٢٩١/١٩ .
١٢ ــ «مقدمة طرفة الأصحاب»: ٢٥ .
١٣ ــ «سير أعلام النبلاء» ٢٨٩/١٩ .
١٤ ــ «هدية العارفين» ٨٢/٢ . ١٥ ــ ٢٤٤/١٧ .
١٦ ــ مكان النقط كلمات لم تتضح في التصوير .
١٧ ــ مابين المربيعين ساقط من الأصل .

بالبدر[٢] ، ويعرف : (بالأمير . . . من بيت الإمامة في اليمن)[٣] ، ولد بمدينة كحلان في النصف الأول من شهر جمادى الثانية سنة تسع وتسعين وألف للهجرة[٤] .

تعليمه الأولي ، ورحيله في سبيل العلم : تلقى تعليمه الأولي على يد والده إسماعيل بن صلاح بمدينة كحلان[٥] ، ثم هاجر في سبيل العلم إلى صنعاء[٦] سنة عشر ومئة ألف للهجرة على اختلاف فيها[٧] ، وقد رحل إلى الحجاز مرات عديدة[٨] . حيث التقى في مكة المكرمة والمدينة المنورة بعدد من علمائهما[٩] ، وأخذ عن كثير منهم[١٠] .

أعماله : رغب الأمير عن تولي مهام القضاء[١١] ، والمناصب الحكومية الأخرى ، وانصرف إلى : التدريس والتأليف[١٢] ، وانقطع إليهما ولم يسلم عندئذ من آثار الفتن ، والامتحان[١٣] ، إذ أودع السجن مراراً ، وناله سخط العامة[١٤] ، وكيد الحكام[١٥] : (ولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع صنعاء)[١٦] ، وقد وصفه محمد بن علي الشوكاني بأنه : (تفرد برئاسة العلم في صنعاء ، وتظهر بالاجتهاد ، وعمل بالأدلة ، ونفر عن التقليد . . .)[١٧] .

مؤلفاته : ألف محمد بن إسماعيل الأمير عدداً غير يسير من المؤلفات ، والرسائل المختلفة ، إذ بلغت مؤلفاته حوالي تسعين مؤلفاً ورسالة[١٨] ، ولعل من أهمها : « توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار » ، و« سبل السلام شرح بلوغ المرام » و « المسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة والزيدية » « إسبال المطر على قصب السكر » ، « اليواقيت في المواقيت » ، « الروض النضير » ، « إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد » ، «تطهير الاعتقاد عن أدران الألحاد » ، « شرح الجامع الصغير » للسيوطي ، « الرد على من قال بوحدة الوجود »[١٩] .

شعره : لم يمحض محمد بن إسماعيل الأمير نتاجه الفكري والأدبي للتأليف والتدوين وحَسْب ، وإنما صرف بعضاً من مواهبه للشعر ، والقريض ، فكان شاعراً إلى جانب كونه من العلماء المجتهدين في عصره ، وقد عرف له ديوان شعر : (يشتمل على ماينوف على ثلاث مئة صفحة)[٢٠] ، فيه ألوان مختلفة من

أغراض الشعر : الذاتية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والإخوانية وغيرها[٢١] .
وقد جمعه بعد وفاته ابنه عبدالله بن محمد[٢٢] ، ومن شعره في تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٢٣] قصيدته الموسومة بـ « الدالية »[٢٤] ، التي يقول في طالعها :

سلامٌ على نَجْد ومن حلَّ في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي[٢٥]

ومن شعره أيضاً قوله :

القلب أعلمُ يـاعـذول بـدائـه ... مـا غير داء الـذنب من أدوائـه
والذنب أولى ما بكاه أخو التقى[٢٦] ... وأحق منـك بجفنـه وبمـائـه
فَـوَمَنْ أحب لأعصين عـواذلي ... قسـما بـه في أرضـه وسـمائـه
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى ... إن الملامـة فيـه من أعـدائـه
فوحق من خاف الفؤاد وعيـده ... ورجى[٢٧] مثوبته وحسن جزائه
ماكنت ممن يرتضي حسن الثنا[٢٨] ... ببديع نظمي في مديح سوائـه
مَن ذا الذي بسط البسيطة للورى ... فـرشـا وتـوّجهـا بسقف سـمائـه
من ذا الذي جعل النجوم ثواقبا ... يهـدي بها السـارين في ظلمائه
من ذا أتى بالشمس في أفق السما[٢٩] ... تجـري بتقـديـر عـلى أرجـائـه
أسـواه سـوّاهـا ضـياءً نـافعـاً ... لا والذي رفع السـما[٣٠] ببنائـه
من أطلع القمر المنير إذا دجى[٣١] ... ليـل فشـابـه صبحـه بضيـائـه
من طـوّل الأيام عنـد مصيفها ... وأتت قصاراً عند فصل شتائـه
من ذا الذي خلق الخلائق[٣٢] كلها ... وكفى الجميـع بـبره وعـطائـه
وأدرّ للطفـل الـرضيـع معـاشـه ... من أمـه يمتص طيب غـذائـه
ياويح من يعصي الإله وقد رأى ... إحسـانـه بنـوالـه ونـدائـه[٣٣]

وفـاته : (توفى ــ رحمه الله ــ سنة ١١٨٢ اثنتين وثمانين ومئة وألف في يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان)[٣٤] من هذا العام نفسه ، وقد رثاه جملة من شعراء عصره[٣٥] .

الرسالة : توثيقها ، قيمتها ، وصفها :

أولاً ــ توثيقها : يعمد المشتغل بتحقيق التراث ونشره إلى توثيق ما يقع بين يديه من آثار فكرية أو أدبية ، إذ هو بعمله هذا يحقق نسبتها ، ويرفع من منزلتها ، ويعلي من مكانتها ، ومما يؤكد نسبة هذه الرسالة لمحمد بن إسماعيل الأمير كونها مرسومة بقلمه ، ومرسلة منه لأحد معاصريه المعروفين في زمنه ، فهي مشابهة في رسمها لآثاره المخطوطة الموجودة الآن بين أيدينا[٣٦] ، وهي كذالك تمثل آراءه المعهودة تجاه العمل بالكتاب والسنة[٣٧] ، ونبذ ما خلافهما من مظاهر التقليد ، ولقد كُتبت هذه الرسالة في آخر سني حياة هذا العالم ، أي قبل مَوته بحوالي ثلاث سنوات رحمه الله ، ولذلك يمكن القول بأن هذه الرسالة مرسلة بالفعل من محمد بن إسماعيل الأمير إلى معاصره الشيخ عبدالهادي بن بكري أحد علماء بلدة رجال ألمع بتهامة عسير ، وذالك بالرغم من عدم ورود خاتم مرسلها ولا توقيعه ، وإنما كان إهمال هذين الأمرين معهوداً في تراث هذه الأمة في هذه الفترة الأخيرة .

قيمتها : يدرك الباحث في تاريخ الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية في القرون الأخيرة الماضية أهمية تحقيق التراث ونشره ، فلقد أهمل الباحثون المحدثون هذا الجانب ، وانصرفوا إلى دراساتهم المكرورة المعهودة ، وهم بهذا يغفلون تراثهم ، ويعدلون عن تحقيقه ، وربما تفاوتت منازل تلك الآثار المخطوطة ، ولكنها جميعها تمثل واقع الحياة الفكرية والأدبية في تلك الفترة المنسية من تاريخ الأدب العربي ، ولعل قيمة هذه الرسالة التي بين أيدينا الآن تأتي من خلال منزلة مرسلها ، ومكانته العلمية ، وما مثَّلَتْهُ من ملامح الاتصال الثقافي بين علماء اليمن وعلماء تهامة ممثلين في علماء آل بكري العُجَيليين برجال ألمع الذين منهم الشيخ عبدالهادي بن بكري ، مما يدل على حركة فكرية مناسبة في هذا الجزء المجهول من جزيرة العرب ، ولقد دلت هذه الرسالة بوضوح على جهود الإمام محمد بن إسماعيل الأمير تجاه العمل بالكتاب والسنة ، وما بذله في سبيلهما من نصرة وتأييد ، فالحق أن هذه المواقف قد عرفت عن هذا العالم من خلال مؤلفاته ،

وما عرفه الناس عنه مـن معاصريه العلماء ، ومَنْ أتَى بعدهم من المؤرخين والعلماء ، والباحثين ، فلقد سلك منهجاً أحيا فيه السنة ، وعمل بالكتاب الكريم ، ناهيك عن دفعه للتقليد والتعصب .

وتزداد قيمة هذه الرسالة في كونها كتبت بقلم الأمير الصنعاني نفسه ، وأنها أرسلت منه في آخر سني حياته ، فضلاً عن قيمتها التاريخية الممثلة في منهـج كاتبها في كتابة الرسائل الإخوانية ، وطريقته في التحرير ، وفنّ الكتابة في عهده ، فلقد تميزت في رسـم الحروف ، وبراعة الاستهلال ، وما تضمنته من ديباجة ، وخاتمة ، وكل ذلك يعطي هذه الرسالة قيمة تاريخية مهمة ، وبخاصة إذا أدرك مقام كاتبها ، ومكانته الأدبية .

وصفها : لقد تم الاعتماد في تحقيق هذه الرسالة على نسختها الخطية الأصلية الموجودة في مكتبة الحسن بن علي الحفظي رحمه الله ، إذ تم تصويرها من قبله قبل وفاته بأيام معدودة ، وتقع هذه الرسالة في ورقة واحدة ، وهي ذات حاشية واسعة ، وكانت مكتوبة بخط نسخي معتاد ، وتحوي صفحتها الأولى سبعة عشر سطراً ، عدا حاشيتها ، وفي كل سطر نحو أربع عشرة كلمة تقريباً ، ولم تكن هذه الرسالة مختومة بخاتم صاحبها ، وإنما هي مؤرخة بتاريخ معلوم .

وتتصف هذه الرسالة بأن أغلب حروفها مهملة لا معجمة[٣٨] ، وأن كاتبها اعتاد تسهيل الهمز[٣٩] ، وحذف المد[٤٠] ، وكان لا يحافظ أحياناً على تطبيق قواعد الإملاء ، مثل : إثبات حرف الألف بعد الواو التي هي جزء من الفعل[٤١] ، واهمال رسم الألف عند ورود لفظ (ابن) في صدر السطر ، ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة قد اتسمت بسلاسة أسلوبها ووضوحه ، واتصفت بالمحافظة على نهج الكتابة من حيث كتابة العنوان في ظهر الورقة ، فالحق أن هذه الرسالة شاهد على العصر الذي كتبت فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفقير إلى الله : محمد بن إسماعيل[٤٣] الأمير[٤٤] عفا الله عنهما ، وتفضل برضوانه عليهما ، إلى أخيه في الله ، وولده الشيخ : العلامة ، التقي ، البر ، الأوحد ، النقي ، زينة الإخوان في طاعة الرحمن ، من جمع الله شمل قلبه شمل قلبي ، وامتزج حبه إياي بحبي : نور الإسلام ، ورفقينا ــ إن شاء[٤٥] الله ــ في

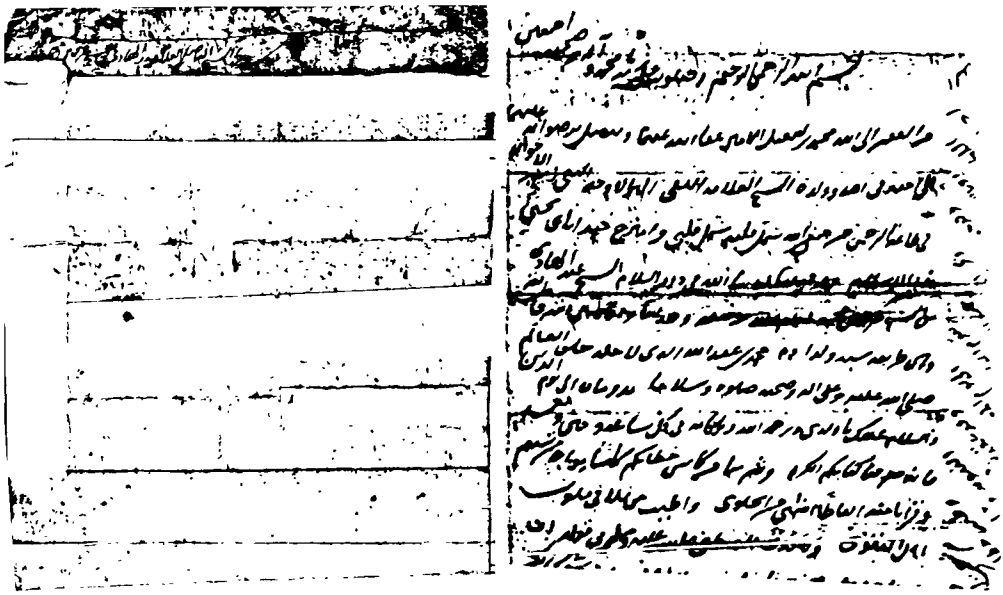

الصفحة الثانية

الصفحة الأولى

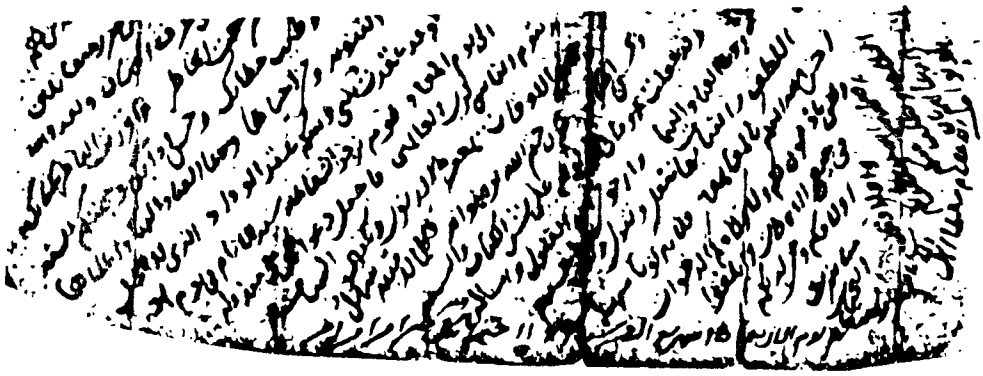

حاشية الرسالة

دار السلام[٤٦] : الشيخ عبدالهادي[٤٧] بن[٤٨] الشيخ بكري[٤٩] بن محمد أدام الله توفيقه ، وهدانا وإياه إلى أشرف طريقة ، وإلى طريق سيد ولد آدم[٥٠] : محمد بن عبدالله الذي لأجله خلق العالم[٥١] صلى الله عليه ، وعلى آله[٥٢] ، وصحبه صلاة[٥٣] ، وسلاما يدومان إلى يوم الدين ، والسلام عليك ، ياولدي ورحمة الله وبركاته في كل ساعة ، وحين ، وبعد :

فإنه شرفنا كتابكم الكريم ، وشربنا من كأس[٥٤] خطابكم كأساً : ﴿ **مِزَاجُهُ مِن تَسْنِيم** ﴾[٥٥] ، وقرأنا[٥٦] منه ألفاظاً أشهى من الحلوى ، وأطيب من تلاقي قلوب أهل[٥٧] التقوى ، وَصَدَقَ المصطفى ﷺ في قوله : إن « الأرواح أجناد[٥٨] مجندة فما تعارف منها ائتلف . . . »[٥٩] ، فإنه دلنا كتابكم على أن الله ــ وله الحمد ــ قد جمع القلوب في عالم الغيوب ، وألف بينها : ﴿ . . . **لَوْ أَنفَقْتَ مَافِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** . . . ﴾[٦٠] ، فله الحمد والثناء[٦١] : ﴿ **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى** ﴾[٦٢] ، والله يتقبل منكم الدعاء[٦٣] ، ويكافئكم[٦٤] عنا بالحسنى ، ويجعلنا وإياكم من الإخوان الذين هم : ﴿ **عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾[٦٥] ، في غرف الجنان ، ولقد والله شرحت الخاطر ، واقررت الناظر بكتابك ، وطيب خطابك ، وحسن آدابك ، ومحبتكم للسنة النبوية ، ومَنْ أحياها ، ودعا العباد إليها ، وأعلاها[٦٦] .

وقد عقدت بيني وبينكم عقد الوداد ، الذي لا ينحل إلى يوم المعاد ، يوم نرجو[٦٧] شفاعة سيد الأنام في . . .[٦٨] ﴿ **يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ فاجعل دعواتك لي مبذولة في جميع الأوقات بمغفرة الذنوب ، وتكفير السيئات[٦٩] . وبحسن الختام[٧٠] ، فإن ختم الله برضوانه فكل ما[٧١] لاقيته سهل . وقد جعلت أوقاتي قومة على نشر : الكتاب ، والسنة[٧٢] ، ودعاء[٧٣] العباد إليهما ، وأرجو من الله القبول ، واسأله[٧٤] اللطف ، والثبات فيما نفعل ونقول ، ولقد أحسنتم أحسن الله إليكم بالمعاهدة[٧٥] ، فلا تتركونا منها[٧٦] ، ونحن باذلون لكم ولأولادكم الدعوات في جميع الأوقات ، وابلغوا أولادكم ، ومَن لديكم منا شريف التحيات ، وأولادي أصلحهم الله مبلغونكم[٧٧] السلام ، ونطلب منكم الدعاء[٧٨] لهم بأن يكونوا من : الأعلام ، وعلماء[٧٩] أهل[٨٠] الإسلام ، ورقمه

ظهر يوم الأربعاء[٨١] ١٥ شهر شوال من سنة ١١٧٩[٨٢] ختمها الله بكل خير آمين ، آمين ، آمين[٨٣] .

حققها وقدم لها :

د. عبدالله بن محمد أبوداهش

[الهوامش] :

(١) محمد بن علي الشوكاني ، « البدر الطالع » ، ح ٢ ، ص ١٣٣ . حققها وقدم لها د. عبدالله بن محمد أبو داهش وكيل كلية اللغة العربية بالجنوب .

(٢) دارة الملك عبدالعزيز ، « الكتاب السنوي الأول » ، ص ٢٤١ .

(٣) خيرالدين الزركلي ، « الأعلام » ، مح ٦ ، ص ٣٨ .

(٤) محمد بن علي الشوكاني ، كتابه السابق ، ح ٢ ، ص ١٣٣ .

(٥) قال ياقوت : (كَحْلانُ : فعلان من الكحل ، وهو السواد ، مأخوذ من الكحل الذي يكتحل به ، واليمانيون اليوم يقولون : كُحْلان بالضم ، وكَحلان : من أشهر مخاليف اليمن ، وفيه بينون ورُعَين ، وهما قصران عجيبان ، قال امرؤ القيس :

ودار بني سَوَاسَةَ في رعين تَخُرُّ على جوانبه الشمال

وبين كحلان وذمار ثمانية فراسخ ، وبينه وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً . « معجم البلدان » ح ٤ ، ص ٤٣٩ .

(٦) قال عنها الهمداني : (. . . هي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها ، مابينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز ، وكان اسمها في الجاهلية إزال ، ويسميها أهل الشام القَصَبَةَ . . . وقد جمعت أخبارها في القديم في كتاب « الإكليل » وأضربنا عن ذكر قديمها في هذا الموضع صفحا ، ولم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد . . .) ، « صفة جزيرةالعرب » ٨٢ ، انظر : « معجم البلدان » لياقوت ٢/٤٢٥ ، و : « تاريخ مدينة صنعاء » للرازي .

(٧) وقيل سنة سبع ومئة وألف ، انظر : « البدر الطالع » ٢/١٣٣ ، و : « مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني » ٢٩٥ .

(٨) قال عبدالله بن محمد الحبشي : « وفي سنة ١١٢٢ حج للمرة الأولى ، والتقى بجماعة من شيوخ مكة . . . ثم مرة أخرى سنة ١١٣٢ ، ومرة ثالثة سنة ١١٣٤ . . . » ، « مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني » ، مجلة « العرب » ، ح ٩ ، س ٧ (ربيع الأول ١٣٩٣هـ) ص ٦٨٠ ، قال عبدالرحمن بن علي الأمير : (. . . فرحل إلى مكة المكرمة حيث أقام بها قرابة ثمانية أعوام منقطعاً للتدريس في الحرم المكي الشريف) ، « الكتاب السنوي الأول » ، نشر دارة الملك عبدالعزيز ، ص ٢٥٥ .

(٩) منهم : الشيخ أبو الحسن بن عبدالهادي السندي ، انظر كتاب : « مجموعة رسائل في علم التوحيد » جمع عبدالرحمن بن يحيى الإرياني ، ص ٥ .

(١٠) مثل : الشيخ عبدالرحمن بن أبي الغيث ، وطاهر بن إبراهيم بن حسن الكردي المدني ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(١١) عبدالله بن محمد الحبشي ، مقاله السابق ، ص ٦٨٠ ، قال الحبشي : (يقول المؤرخ زبارة : إن الإمام القاسم بن الحسين عرض عليه تولي القضاء في بندر المخا فامتنع عن ذلك ، وآثر نشر العلم) ، المصدر نفسه .

(١٢) قال عبدالرحمن بن علي الأمير : (تصدر بمدينة صنعاء لتدريس السنة المطهرة وغيرها من فنون العلم والمعرفة ، وللتأليف والفتوى . . .) ، « الكتاب السنوي الأول » نشر دارة الملك عبدالعزيز ص ٢٤٦ .

(١٣) قال الشوكاني : (وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن) ، كتابه السابق ٢/١٣٣ .

(١٤) قال الشوكاني : (وتجمع العوام لقتله مرة بعد أخرى) كتابه السابق ٢/١٣٤ .

(١٥) المصدر نفسه ١٣٤/٢ .
(١٦) المصدر نفسه ١٣٤/٢ .
(١٧) المصدر نفسه ١٣٣/٢ .
(١٨) عبدالله بن محمد الحبشي ، « مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني » ، مجلة « العرب » ح ١٠ ، س ٧ (ربيع الثاني ١٣٩٣هـ) ص ٧٨٤ .
(١٩) عمر رضا كحالة ، « معجم المؤلفين » ٥٦/٩ ، ٥٧ .
(٢٠) الكتاب السنوي الأول ، نشر دارة الملك عبدالعزيز ٢٦٣ ، وهو مطبوع في قطر ، ولدى المحقق نسخة خطية منه .
(٢١) انظر ديوانه .
(٢٢) عبدالرحمن بن يحيى الإرياني ، مجموعه السابق ١٣ .
(٢٣) انظر أخبار هذه الدعوة وصاحبها في كتاب : « عنوان المجد في تاريخ نجد » لابن بشر .
(٢٤) انظر ديوانه ورقة ٥٦ ، وقد حققها مستقلة زهير الشاويش ، تحت عنوان : « القصيدة الدالية » ، مط المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت .
(٢٥) ديوانه ، ورقة ٥٦ .
(٢٦) في الأصل : « التقا » .
(٢٧) في الأصل : « ورجا » .
(٢٨) كذا في الأصل ليستقيم الوزن .
(٢٩) كذا في الأصل ليستقيم الوزن .
(٣٠) كذا في الأصل ليستقيم الوزن .
(٣١) في الأصل : « دجا » .
(٣٢) في الأصل : « الخلايق » .
(٣٣) قال في حاشية الأصل : (المد لضرورة الشعر وإلا فهو هنا مقصور) ، انظر ديوانه ، ورقة ١ .
(٣٤) محمد بن علي الشوكاني ، كتابه السابق ح ٢ ، ص ١٣٩ .
(٣٥) المصدر نفسه ١٣٩/٢ .
(٣٦) انظر « الأعلام » للزركلي ٣٨/٦ ، فلقد أورد أنموذجاً من تحريره في إحدى حواشي كتبه ، وفيه يتبين رسمه وطريقة كتابته .
(٣٧) قال عبدالرحمن بن يحيى الإرياني : (كان رحمه الله داعياً إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وعدم التقيد بالمذاهب المعروفة ، وداعية إلى إخلاص التوحيد) مجموعه السابق ٨ .
(٣٨) مثل قوله : (من العصر) .
(٣٩) مثل قوله : (محمد بن إسماعيل الأمير) .
(٤٠) مثل قوله : (ادم) .
(٤١) مثل قوله : (نرجوا) .
(٤٢) زاد : (وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين) .
(٤٣) في الأصل : (اسمعيل) .
(٤٤) يعرف بالأمير ، مثل أسلافه ، انظر : « الأعلام » للزركلي ٣٨/٦ .
(٤٥) في الأصل : (شا) .
(٤٦) كذا في الأصل ، وقد كثر مثل هذا في آثار الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير ، إذ قال ــ على سبيل المثال ــ في إحدى قصائده :

انظر : « ديوانه » ورقة ٤ .

(٤٧) يعرف بـ : (هادي) ، وهو : عبدالهادي بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جغثم بن عجيل ، من آل بكري العجيليين سكان رجال ألمع بتهامة عسير ، لم تذكر المصادر التي بين أيدينا الآن تاريخ ولادته ، ولم تترجم له أيضاً ، ولكنه كان حياً في عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م ، إذ قيل في إحدى الوثائق المخطوطة المحررة في هذا العام نفسه : إن أهالي رجال ألمع ، قد : (جددوا العهد على إقامة الشريعة المحمدية ، وتعاهدوا بالله الذي لا إله إلا هو على تنفيذها ، والرضا بحكمها ، وهي الطريقة المحمودة ، ونصبوا الفقيه هادي بن بكري على فصل الشريعة المطهرة . . .) انتهى ، ولقد امتد العمر بهذا العالم من بعد حتى عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م تاريخ وصول هذه الرسالة إليه ، ولا نعلم تاريخاً محدداً لوفاته .

وقد كان خلال تلك الفترة السابقة يسهم بالتدريس في بلدته رجال ألمع ، إذ قال الحسن بن أحمد عاكش في معرض ترجمته للشيخ أحمد بن عبدالقادر الحفظي (١١٤٥ ــ ١٢٣٣هـ) إن الحفظي قد أخذ : (عن عمه عبدالهادي) ، « عقود الدرر » ١٧ . وفي « مشجرة نسب الفقهاء آل عجيل » ، قيل : (. . . وأولاده أعني الشيخ بكري خمسة : عبدالقادر ، وهادي [عبدالهادي] ، ومحمد ، وطواشي ، وأحمد . . . وأما هادي فأبناؤه أربعة : محمد ، وحسن ، الذي عرف بتأييده لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأمراءالدولة السعودية الأولى ، وبخاصة الأمير عبدالله بن سعود الذي اعتاد مكاتبة ابن عبدالهادي ، ومن أحفاده أيضاً : الشيخ : عبدالهادي بن محمد بن عبدالهادي صاحب كتاب : « تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد » توجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٥١٠/٨٦

(٤٨) ورد هذا اللفظ في أول السطر ، ولم يرسم قبله حرف الألف .

(٤٩) قيل في : « مشجرة الفقهاء آل عجيل » : (الشيخ بكري ، هو : بكري بن محمد بن مهدي [بن] موسى بن جغثم [بن] عجيل ، وأولاده أعني الشيخ بكري خمسة . . .) انتهى ، وقيل في : « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري » : لعاكش (الشيخ بكري يتصل نسبه بالشيخ العلامة الولي المشهور في البراري والبحور : أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر عجيل . . .) ورقة ١ ، وقال عاكش أيضاً : (وكان الشيخ بكري المذكور من العلماء العاملين . ومن الأولياء الزاهدين ، وذريته الآن فيهم كثرة بقرية رُجال ، وهم علماء تلك البقاع ، وعلى فتاويهم وأحكامهم المعول بلا نزاع . . .) ، المصدر نفسه ، ورقة ١ . وقد قيل في إحدى الأوراق المخطوطة لدى المحقق : (. . . ثلاثة لم يكن أشهر منهم بالإحسان ، وفعل الخير ، وانتشار الصيت لهم في مشرق الأرض ومغربها ، فاثنان منهم من أهل [الثروة] ، وهما : الأمير عزالدين القطبي ، وأبو الغيث بن عفلق ، وثالثهم : الشيخ بكري بن محمد ، وهو يفضلهم بالعلم والولاية ، والانفاق من غير ثروة . . .) انتهى ، قال عنه عاكش : (. . . الشيخ الولي قطب الحجاز : بكري بن محمد موسى) : « حدائق الزهر » ورقة ٥٢ .

(٥٠) في الأصل : (ادم) .

(٥١) كذا في الأصل .

(٥٢) في الأصل : (اله) .

(٥٣) في الأصل : (صلوه) .

(٥٤) في الأصل : (كاس) .

(٥٥) من آية (٧) سورة المطففين .

(٥٦) في الأصل : (قرانا) .

(٥٧) غير واضحة في الأصل ، ولعلها كما اثبت .

(٥٨) كذا في الأصل .

(٥٩) والحديث : « الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ ، فَما تَعَارَفَ منها ائتلف ، وما تناكرَ منها اختلف » ، انظر : صحيحي « البخاري ، ومسلم » ، و : « مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » للزرقاني ، و ؛ « الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة » للسيوطي ٤٨ .

(٦٠) من آية ٦٣ سورة الأنفال .

(٦١) في الأصل : (الثنا) .

(٦٢) آية ٤٢ من سورة النجم .

(٦٣) في الأصل : (الدعا) .

(٦٤) في الأصل : (يكافسكم) .

(٦٥) آية ٤٤ سورة الصافات .

(٦٦) يريد بهذا القول نفسه ، وغيره ممن ناصر الكتاب والسنة في هذه الفترة الأخيرة من تاريخ الأمة .

(٦٧) في الأصل : (نرجوا) .

(٦٨) هنا كلمة غير واضحة في الأصل ، ولعلها : (هو) .

(٦٩) في الأصل : (السات) .

(٧٠) توفى رحمه الله ١١٨٢هـ/١٧٦٨م .

(٧١) في الأصل : (كلما) .

(٧٢) قيل في كتاب : « أبجد العلوم » للقنُّوجي : (. . . كان له صولة في الصدع بالحق ، واتباع السنة ، وترك البدعة ، لم يرمثله في هذا الأمر) ١٩٢/٣ .

(٧٣) في الأصل : (دعا) .

(٧٤) في الأصل : (واساله) .

(٧٥) هكذا قرئت هذه الكلمة ، وربما كانت غير ذلك .

(٧٦) هكذا قرئت هذه العبارة ، وربما كانت غير ذلك .

(٧٧) كذا في الأصل .

(٧٨) في الأصل : (الدعا) .

(٧٩) في الأصل : (علما) ، ولعلها : (من علماء) .

(٨٠) كذا في الأصل .

(٨١) في الأصل : (الاربعا) .

(٨٢) قبل وفاة الأمير بثلاث سنوات تقريباً .

(٨٣) رسمت لفظة : (آمين) هكذا : « ام ام ام » ، ولقد وجه الأمير رحمه الله تعالى رسالته بقوله : (سيدي الشيخ الفاضل العلامة عبدالهادي بن الشيخ بكري بن محمد . . .) ، وذلك في ظهر الورقة نفسها ، بعد أن طواها وهيأها للمرسل إليه ، وهذا نهج معهود في كتابة الرسائل .

المصادر والمراجع :

أولاً ـ الدوريات :

(١) الحبشي ، عبدالله بن محمد . (مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني) ، مجلة العرب ، ح ٩ ، س ٧ (ربيع الأول ١٣٩٣هـ) ص ٦٨٠ .

(٢) الحبشي ، عبدالله بن محمد . (مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني) ، مجلة العرب ، ح ١٠ ، س ٧ (ربيع الثاني ١٣٩٣هـ) ص ٧٨٠ .

ثانياً ـ المخطوطات :

(١) الأمير ، محمد بن إسماعيل . « ديوانه » . نسخة مخطوطة توجد لدى المحقق ، تاريخ النسخ ١٣٥١هـ ، بدون رقم .

(٢) الأهالي في رجال ألمع . « عهد مخطوط يتضمن اتفاقهم على إقامة الشريعة الإسلامية » ، يوجد لدى الباحث ، بدون رقم .

(٣) عاكش ، الحسن بن أحمد . « حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر » ، نسخة مخطوطة ، توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان ، تحت رقم .

(٤) عاكش ، الحسن بن أحمد . « عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر » ، نسخة مخطوطة ، توجد في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ، تحت رقم ١٣٣٤ ، الرياض .

(٥) عاكش ، الحسن بن أحمد . « قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري » ، نسخة مخطوطة ، توجد في مكتبةالحسن بن علي الحفظي بأبها .

(٦) مجهول ، « مشجرة في نسب آل بكري العجيليين سكان رجال ألمع بتهامة عسير » ، مخطوطة ، توجد لدى الباحث ، بدون رقم .

(٧) مجهول ، « ورقة مخطوطة تتضمن أخباراً عن الشيخ بكري بن محمد » ، توجد لدى المحقق ، بدون رقم .

ثالثاً ـ المطبوعات :

(١) القرآن الكريم .

(٢) الإرياني ، عبدالرحمن بن يحيى ، (جامع) . « مجموعة رسائل في علم التوحيد » ، ط ١ مط دار الفكر ، دمشق ، منشورات وزارة الاعلام والثقافة باليمن (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

(٣) الأمير ، محمد بن إسماعيل . « القصيدة الدالية » ، تحقيق زهير الشاويش ، مط المكتب الإسلامي ، دمشق ، بدون تاريخ .

(٤) البخاري . أبو عبدالله محمد بن إسماعيل . « صحيح البخاري » ، منشورات المكتبة الإسلامية ، وتوزيع مكتبة العلم بالمملكة العربية السعودية ، جدة . بدون تاريخ .

(٥) ابن بشر ، عثمان . « عنوان المجد في تارخ نجد » ، ط ٤ ، مط دار الهلال للاوفست ، الرياض ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

(٦) الحموي ، ياقوت . « معجم البلدان » ، طبعة داري صادر ، وبيروت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .

(٧) دارة الملك عبدالعزيز ، « الكتاب السنوي الأول » ، مجموعة بحوث مقدمة في دورة الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية خلال الفترة ١٦ ـ ١٨/٦/١٤٠١هـ ، ومنها بحث : « محمد بن إسماعيل الأمير إمام الإجتهاد » لعبدالرحمن علي الأمير ، مط دار الهلال للأوفست ، الرياض ، بدون تاريخ .

(٨) الرازي الصنعاني ، أحمد بن عبدالله . « تاريخ مدينة صنعاء » ، تحقيق : حسين عبدالله العمري ، عبدالجبار زكار ، ط ١ ، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

(٩) الزرقاني ، محمد بن عبدالباقي . « مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » ، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ، ط ١ ، منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

(١٠) الزركلي ، خير الدين . « الأعلام » ، مج ٦ ، ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .

هل جاءت التوراة من جزيرة العرب ؟!

[لاتزال أصداء أفكار الدكتور كمال صليبي في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» تتردد في مجال الدراسات التاريخية في الجامعات العلمية . وبمناسبة قُرْبَ صدور الطبعة الثانية من ذالك الكتاب تقدم «العرب» لقرائها دراسة شاملة عميقة عن الأسس التي بَنَى عليها الدكتور الصليبي تلك الأفكار ، للأستاذ الدكتور محمود أبو طالب من الجامعة الأدرنية ــ نشرتها مجلة «دراسات تاريخية» بتاريخ أيلول سنة ١٩٨٧ ج ٢٧ / ٢٨ س ٨ ــ إذ جُلُّ القراء لا يطلعون على ماينشر في هذه المجلة ولأن الموضوع عميق الصلة بتاريخ بلادنا] .

صدر في أيلول من سنة ١٩٨٥م من تأليف الدكتور كمال الصليبي الأستاذ في قسم التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت كتاب بعنوان: «التوراة جاءت من جزيرة العرب»[١]. وهو الآن في طبعته الثانية في كل من اللغات العربية والانجليزية والألمانية . وأطروحةُ هذا الكتاب هي أن تاريخ بني اسرائيل ، كما ترويه التوراة قد اتخذ مساره بالكامل في أرض عَسِير وجنوبي الحجاز في غربي شبه الجزيرة العربية، وأن الصعوبات التي واجهها ويواجهها دارسو التاريخ التوراتي وأدَّتْ بالكثيرين منهم إلى التشكك في صحة ذالك التاريخ سببها قبولهم بالفكرة التقليدية القائلة بأنَّ جذورَ تاريخ بني إسرائيل تعود إلى العراق ومصر وأنَّ بُؤْرَتَهُ كانت في فلسطين . ووفقاً لهذه الأطروحة فإنّ أرض كنعان التي نجح بنو إسرائيل في إقامة كيانٍ لهم فيها ليست فلسطين وإنما المنحدرات البحرية لِعَسِير من منطقة بَلَّحْمَر في الشمال عبر منطقة رجال ألمع ، وحتى منطقة جيزان في

---

(١١) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر . « الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة » تحقيق : محمد ابن لطفي الصباغ ، ط ١ مط جامعة الملك سعود ، مطبوعات عمادة شؤون المكتبات (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

(١٢) الشوكاني ، محمد بن علي . « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » ، مج ٢ ، منشورات دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، وهي مصورة عن طبعة دار السعادة بمصر سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

(١٣) العمري ، حسين بن عبدالله العمري . « مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني » ، دار المختار للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

(١٤) القنّوجي ، صدِّيق بن حسن . « أبجد العلوم » ، ح ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

(١٥) كحالة ، عمر رضا . « معجم المؤلفين » ح ٩ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

(١٦) مسلم ، « صحيح مسلم » ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

(١٧) الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب . « صفة جزيرة العرب » ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

الجنوب . كما أن أرض الفلستيين[٢] هي ليست الساحل الفلسطيني وإنما ساحل تهامة من جوار اللِّيْث في الشمال إلى جوار جيزان في الجنوب . وأن (هيردن) ليست نهر الأردن وإنما هي لفظة تعني (جُرُف) أو (قِمّة) أو (مرتفع) وقد استعمِلَتْ للإشارة إلى مثل هذه المظاهر الطبوغرافية في عَسِير وجنوبي الحجاز . وفي عسير أيضاً ــ وليس في مصر وفي العراق ــ نَجِدُ نَهْرَيْ مِصْرَايم وفرات ، والأول هو وادي لِيَّةَ والآخر هو وادي إِضَمِ . أما مصرايم نفسها فليست سوى قرية الـمَصْرَمَة (أو المصرامة) بين أبها وخميس مُشَيْط . وليس هذا كل شيء فالمؤلف يرى أيضاً أنَّ كتاباتِ المصريين والعراقيين، وممالك الأجزاء الشمالية من بلاد الشام في الألفين الثانية والأولى قبل الميلاد مما له صلة ببيئةِ تاريخ بني إسرائيل تشير هي الأخرى إلى غربي شبه الجزيرة العربية .

ولقد وصف الدكتور الصليبي نَفْسُهُ هذه الأطروحة بأنها: (استنتاج مذهل) ــ ص ٢٧ ــ وهو يقر بأنها تبدو: (في منتهى الغرابة للوهلة الأولى، ليس فقط بالنسبة لليهود والمسيحيين الذين اعتادوا على أنَّ أرضَ التوراة هي فلسطين بل أيضاً بالنسبة إلى المسلمين الذين أخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين) ــ ص ١٤ ، ١٥ ــ بل إنه يعتقد كما ورد على لسانه في مقابلة معه نشرتها مجلة لبنانية[٣] بأنَّ هذه الأطروحة تُشَكِّلُ دعوةً إلى إعادة النظر في أسس الحضارة الغربية . وكيفما كان الأمر ، فإنَّ أقلَّ ماتنطوي عليه هذه الأطروحة ــ ان صحت ــ هو خلق تاريخ قديم كامل لغربي شبه الجزيرة العربية، ومحو كامل تاريخ فلسطين القديم، وإعادة النظر في التاريخ القديم لكل من الشام ومصر والعراق لمدة ألفي سنة ــ على الأقل ــ وشطب كل ماكتب في هذه المواضيع لمدة ألفي سنة أخرى .

وفي الفصل الأول من هذا الكتاب وهو بعنوان (العالم اليهودي في العصور القديمة) ــ ص ٢٧ ، ٥٦ ــ يفسر لنا الدكتور الصليبي كيف قدر لـ (الوهم) بأن فلسطين هي أرض التوراة أن يسيطر على البشرية كل هذه المئات من السنين . ويبدأ تفسيره بالتأكيد على أن كون مسار تاريخ بني إسرائيل في غربي شبه الجزيرة

العربية: (لايعني أن اليهود لم يكن لهم أيُّ وجود في فلسطين أو في غيرها من البلدان خارج غرب الجزيرة العربية في أيام التوراة) ــ ص ٢٨ ــ . وتعود بدايات الوجود (اليهودي)[٤] في فلسطين إلى القرن العاشر قبل الميلاد ــ أي إلى زمن داود وسليمان ــ وكان الحافز له حينئذ تجارياً . ثم لم يلبث انتقال (اليهود) إلى فلسطين أن اتخذ شكل هجراتٍ واسعة النطاق بسبب الحروب التي نشبتْ بين مملكتي إسرائيل ويهوذا منذ انفصلتا إثْرَ وفاة سليمان، وكعادة المهاجرين في كل زمان وفي كل مكان من هذا العالم ــ كما يؤكد الصليبي ــ عمد (اليهود) المهاجرون إلى فلسطين إلى إطلاق أسماء يعرفونها في غربي شبه الجزيرة العربية على مواقع في فلسطين . وهكذا فإننا نَجِدُ في فلسطين ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد أسماءَ أماكن تَوراتية مثل يهودا ، يروشليم[٥]، بيت لحم، حبرون، شمرون، جرزيم، عيبال، كرمل جليل وهيردن ــ ص ٣٥ ، ٣٦ ــ . كما أن الدكتور الصليبي يؤكد أيضاً أنه لم يكن اليهود أولَ من استوطن فلسطين قادماً من غرب شبه الجزيرة العربية بل هناك الفلسطينيون أي الفلستيون ــ والتفسير له ـ الذين وصلوا ولاشك من غرب شبه الجزيرة العربية قبلهم، فصارت تعرف باسمهم، وهناك أيضاً الكنعانيون الذي نزحوا من غرب شبه الجزيرة العربية في زمن مبكر عندما تفرقت قبائلهم في الأرجاء (سفر التكوين ١٠ : ١٨) ليعطوا اسمهم لأرض كنعان (كنعن) على امتداد الساحل الشامي شمالي فلسطين ــ ص ٣٣ ــ وقد أعطى كل من الفلستيين والكنعانيين أسماءَ يعرفونها في عَسِير لمواقع في فلسطين وبلاد الشام ، ومن هنا نجد فيها أسماء فلستية مثل غزة وأشكلون وبيت دجن منذ (ماقبل بني إسرائيل) وأسماء كنعانية مثل صور، صيدون، جبيل، أرواد ولبنان منذ (زمن مبكر) ــ ص ٣٤ ــ .

ويستمر الدكتور الصليبي في تفسيره ليخبرنا بأنه عندما تَحَطَّم كيانُ بني إسرائيل السياسي في أرض عَسِير باحتلال نبوخذ نصر البابلي ليروشلم سنة ٥٨٦ ق.م ، تركز التيار الرئيسي للتاريخ اليهودي حول فلسطين، وقبل أن يَمُرَّ وقتٌ طويل كانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت في غياهب النسيان ــ ص ٤٣ ــ وقد تحقق ذالك نتيجة لموت اللغة العبرية الذي بدأ منذ نهاية القرن

السادس قبل الميلاد مع بداية شيوع اللغة الارامية كلغة للحياة اليومية أواخر زمن البابليين، وبلغ ذروته عندما أصبحت الآرامية لغة رسمية في زمن الامبراطورية الأخمينية . وبموت اللغة العبرية بدأت صلةُ يهودِ فلسطين بكتبهم المقدسة تنقطع ، وانقطعت أيضاً الصلة بينهم وبين يهود غربي شبه الجزيرة العربية ، ولم يلبث هؤلاء ــ أي يهود غربي الجزيرة ــ أن تشتتوا بين الكيانات المحلية الجديدة ، وأهمها دولة مَعين التي قامت في نفس المنطقة التي كانت قد قامت فيها مملكة بني إسرائيل من قبل . أما بالنسبة ليهود فلسطين فقد كان الحال مختلفاً إذْ أتاح لهم الصراع بين البطالمة والسلوقيين الفرصةَ لتحقيق استقلالهم ، وإقامة مايعرف باسم مملكة الحشمونيين سنة ١٦٧ ق.م ويؤكد المؤلف أن هؤلاء الحشمونيين قد اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لإسرائيل القديمة وفي أيامهم (تم اعتبار فلسطين بأنها الأرض الأصلية لشعب إسرائيل البائد والتوراة العبرية) ــ ص ٤٨ ــ . ومنذ ذالك الوقت سيطر هذا الوهم على العالم .

ولإثبات أنَّ الربط بين فلسطين والتوراة ليس أكثَر من وَهْم، يستند المؤلف على ركيزتين نجد الأولى في الفصل الثاني المعنون بـ (مسألة نهج) ــ ص ٥٧ ـ ٧٢ ــ ونجد الأخرى في الفصل الخامس وعنوانه (مالم يكتشف في فلسطين) ــ ص ١٠٥ ، ١٢١ ــ والركيزة الأولى هي أن النص العبري التوراتي يمثل لغة ميتة يجب عند التعامل معه تعريته من جميع حركاته، والركيزة الثانية هي أنَّ النشاط الأثري في فلسطين والذي مضى على بدايته أكثر من مئة سنة لم يقدم لنا حتى الآن أيَّ دليل على صحة مثل هذا الربط .

وفي توضيحه للنقطة الأولى يؤكد المؤلف على أنَّ النَّصَّ العبري التوراتي مكتوب بلغة (خرجت عن إطار الاستعمال العام منذ زمن يعود إلى مابعد القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد (ولذلك) فإنه لا يمكن لأحدٍ أن يعرف كيف كانت هذه اللغة تلفظ وتصوت في الأصل لدى الشعب أو الشعوب التي تكلمتها) ــ ص ١٥٧ ــ . وبَدْءًا من القرن السادس الميلادي قامتْ جماعة من علماء اليهود اصطلح على تسميتهم الـ (ماسوريم) بإدخال النقط والحركات على هذا النص ، وبحكم أنهم كانوا يتعاملون مع لغة مضى على موتها أحد عشر أو اثنا عشر قرناً

فإنَّ ماأدخلوه من الحركات لا يمكن اعتباره موثوقاً أو صحيحاً . ومن المؤكد أيضاً ـ كما يدعي المؤلف ـ أنهم ارتكبوا الكثير من الأخطاء فيما يتعلق بالحروف الساكنة ، وبصورة خاصة حين اعتبروا أن كلمة واحدة هي في الأصل كلمتين ، أو حين اعتبروا حرفاً ما سابقاً لكلمة ما ، بينما هو في حقيقة الأمر لَاحِقٌ للكلمة التي قبلها ، وهكذا . . .

ولاشكَّ أن الدكتور الصليبيَّ مُصِيْبٌ فيما يتعلق بزمن إِدْخَالِ الحركاتِ في النص العبري التوراتي ، أما القولُ بأَن اللغة العبرية قد ماتتْ منذ القرن الخامس قبل الميلاد ففيه الكثير من المبالغة بل عدم الصحة . صحيح أنَّ استعمال اللغة العبرية في الحياة الدنيوية اليومية قد بدأ منذئذ بالانحسار ، وصحيح أيضاً أن بعض ألفاظ التوراة لاتزال إلى اليوم موضع خلاف في مبناها ومعناها، إلا أنه من المؤكد جدّاً من الناحية الأخرى أن ترتيل أجزاءَ من التوراة العبرية قد كان ولايزال هو مِحْوَرُ الصلوات في الكُنُس ، وفي البيوت الخاصة . ولقد بدأ الربابنة منذ القرن الخامس قبل الميلاد بدراسة النصوص العبرية التي بين أيديهم من أجل تقرير ماهو (مقدس) منها وماهو (غير مقدس)[٦] وهي عملية لم تنته إلا في أواخر القرن الأول الميلادي، ولايصح تكنيكياً الحديث عن (التوراة)[٧] كمجموعة كاملة من الأسفار المقدسة قبل ذالك . وبالعبرية كتبت طائفة الايسينيين اليهودية جُلَّ كتاباتِها وكُلَّ أسفارِ التوراة المقبولة لديها، وهي الكتابات المعروفة باسم (مخطوطات البحر الميت)[٨] ويعود أقدمها إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأحدثها إلى أواسط القرن الثاني الميلادي . وإلى الفترة اليونانية تعود كثير من الكتابات العبرية التذكارية التي كُشِفَ عنها في الكُنُسِ وعلى المقابر إضافة إلى العديد من قطع العملة الحشمونية[٩]. ولقد وجد عدد من آباء الكنيسة الأوائل أنفسهم مضطرين إلى تعلم اللغة العبرية حتى يتمكنوا من قراءة مااصطلح المسيحيون على تسميته (العهد القديم) بلغته الأصلية . وفيما يَخُصُّ أسماء الأماكن وهي لُجْمَةُ كتاب الدكتور الصليبي وسُدَاهُ كما يقولون ، وصلنا ومن الفترة اليونانية نَصٌّ توراتيٌّ دخلتْ عليها فيه الحركات وأعني بذالك الترجمة اليونانية المعروفة باسم (السبعونية) Septaugint لم تلبث أن تبعتها ترجمة لاتينية تعرف باسم (الدارجة)

Vulgate وفي سنة ٢٤٥م أنْجَزَ الأبُ أوريجن Origen عملاً ضخماً يعرف باسم Hexpala يتألف من ستة أعمدة متوازية الأول منها هو النص العبري بحروفه الساكنة ، والثاني هو مايقابل تلك الحروف باليونانية Transcription أما الأعمدة من ٣ إلى ٦ فقد حوتْ نصوصَ أربع ترجمات يونانية معروفة في زمنه من بينها الترجمة السبعونية . ومن الغريب أنَّ الصليبي قد نوه بالترجمات الآرامية زمن الأخمينيين واليونانية زمن الهيللينيين في معرض التدليل على أن اللغة العبرية كانت ميتة تماماً ــ ص ٥٨ ، ٥٩ ــ ولكن مالايستطيع إنكاره أنها كانت مفهومة على الأقل من قبل أولئك الذين قاموا بتلك الترجمات . وهذا هو أقل مايقال بشأن الـ (ماسوريم)[١٠] الذين بدأوا بإدخال الحركات في النص العبري في القرن السادس الميلادي، إذْ من المستحيل أن يكونوا قد قاموا بذلك (بصورة اعتباطية) كما يزعم المؤلف ــ ص ١٥ ــ وإلا لكان يصح أن يقال: بأنهم وضعوا قواعد جديدة، وبالتالي نَصّاً توراتياً جديداً .

أما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها الصليبي لإثبات أنَّ الربط بين فلسطين والتوراة وَهْمٌ فهي الادعاءُ بأن النشاط الأثري المكثف فيها لم يكشف عما يبرر مثل هذا الربط ، وقد اقتصر الدكتور الصليبي في محاولة إثبات ذالك على مناقشة عاجلة لثلاثة نقوش هي : نقش ختم من تَلِّ الخليفة بالقرب من العقبة، ونقش نفق سلوان من القدس، ونقش ميشع من ذيبان، ومجموعتين من الكسر الفخارية التي تحمل كتابة كشف عن المجموعة الأولى في سبسطية، وتعرف باسم كتابات السامرة، وكشف عن الأخرى في تل الدوير، ويشار إليها عادة باسم كتابات لاخيش. ويخلص من هذه المناقشة إلى أن هذه النقوش والكتابات لاتحتوي أسماءَ أشخاص أو أماكن يمكن أن ترتبط بالتوراة . ثم يختتم هذا الفصل بسرد مجموعة من المطابقات اللغوية بين أسماء أماكن وردت في بعض كتابات الملك الأشوري سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م) وهي مما اكتشف في العراق وفي بعض رسائل تل العمارنة (التي تعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد) وقد اكتشفت في مصر ، هذا من ناحية ، وبين أسماء أماكن في غربي شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى . وبذالك يختلط في فصل عنوانه (مالم يكتشف في فلسطين) بعض ماكتشف في كل

من فلسطين والعراق ومصر . ولا مجال بالطبع لقبول مطابقاته اللغوية المتعلقة برسائل تل العمارنة ونصوص سرجون الأشوري إذ لم يثبت لنا بعد أن أرض التوراة هي عَسِير ، أما مناقشته للكتابات التي وُجِدَتْ في فلسطين فيمكن اعتبارها مثلاً لما يجب أن لا تكون عليه المناقشة العلمية .

وللتدليل على مدى تهافت هذه المناقشة فإننا سوف نقبل جَدَلاً كُلَّ النقاط التي يُصِرُّ عليها ثم نسأل: هل تثبت هذه النقاط حتى لو صحت أن فلسطين هي ليست أرض التوراة ؟ أما النقاط التي يصر عليها فهي :

أولاً : أن الحروف الأربعة المكتوبة على ختم الخليفة ل ى ت م هي ليست اسم يوثام ملك يهوذا كما زعم المنقب (نلسن جلوك N. Gleuck) وإنما إلى يوثام ما وقد لا يكون من بني إسرائيل بل قد (يكون اسم الاله المصري أتوم)[١١]. كما أنَّ تحديده لموقع عصيون جبير المذكور في التوراة في تل الخليفة الحالي ليس صحيحاً . والواقع هو أن كثيرين من المختصين قد سبقوا الدكتور الصليبي في رفض المطابقة بين يوثام وملك يهوذا الذي يحمل نفس الاسم ، ورفضوا أيضاً تحديد موقع عصيون في تل الخليفة .

ثانياً : أن اسم الملك حزقيا من ملوك يهوذا غير مذكور في نقش سلوان، ولا يرد في هذا النقش ذكرُ اسمِ أيِّ موقع بما في ذلك يروسلم ولم يَدَّعِ أحد خلاف ذالك .

ثالثاً : أن الكتابات التي عُثِر عليها في سبسطية ويطلق عليها اسم كتابات السامرة لا ذكر فيها لاسم الموقع (شمرون) . ولم يَدّع أحد خلافَ ذالك أبداً .

رابعاً : ان كتابات تل الدوير لا ذكر فيها لاسم المكان (لاخيش) المذكور في التوراة وأن ادعاء وليم البرايت W.F. Albright بأن لاخيش هي تل الدوير ادعاء باطل ، وباطل أيضاً ادعاؤه بأن الحروف . . . س ل م هي مابقي من اسم يروسلم .

خامساً : ان نقش ميشع يتحدث عن حروب هذا الملك المؤابي مع عمري

ملك اسرائيل وابنه ، وقد كتب على نصب أُقيم في جحرا جنوبي الكرك بعد اضطرار ميشع للجلاء عن مؤاب في الحجاز .

ويبقى أنَّ مالا يستطيع الدكتور الصليبي أن ينكره هو أنَّ هذه الكتابات قد اكتشفت في أرض فلسطين والأردن ، وأن أربعاً منها بالعبرية وإحداها بالمؤابية وهما لهجتان كنعانيتان، وان اسم ميشع واسم يوثام مذكوران في التوراة، وليس صحيحاً مازعمه المؤلف من أن جلـوك وبناء على ختم يوثام فقط حدد موقع عصيون جبير التوراتية في تل الخليفة ثم أخذ: (يعلن للعالم دون أن يرفَّ له جفن اكتشاف الموقع الصحيح والدقيق لمناجم نحاس الملك سليمان) ــ ص ١٠٦ ــ . لقد نقب جلوك في تل الخليفة[١٢] عدة شهور وكشف عن طبقاته الأثرية وماتحويه من فخار وأبنية ، ودرس سياق ذكر عصيون جبير في النصوص التوراتية قبل أن يقترح هذه المطابقة التي تبقى اقتراحاً ربما كان خاطئاً . وليس صحيحاً أيضاً أن البرايت[١٣] قد حدد موقع لاخيش في تل الدوير بناء على الكسرة رقم ٤ التي وجدت فيها، ومن الغبن الشديد أن يوصف اقتراحه بأن الحروف س ل م هي مابقي من اسم يروسلم بالصفاقة والاعتباطية وغياب أقل احترام للامانة العلمية ــ ص ١١١ ــ إذ أنَّ اقتراحاً كهذا ، بغض النظر عن صحته أو عدم صحته أمر غير مشروع في مجال الدراسات الأثرية والتاريخية . ثم لماذا كل هذا الغضب ألم يؤكد لنا المؤلف في عدة مواضع من كتابه أنه كان يوجد في زمن التوراة يروشليم فلسطينية ؟١

إنَّ الثقة المطلقة وغير المعقولة التي يُقَدِّمُ بها الدكتور الصليبي مثل هذه الحجج وتجاهله التام لعشرات بل مئات الدراسات والتقارير التي تتعلق بهذه الكتابات الخمس فقط يؤكد لنا أنه لا يُقدِّرُ مدى التعقيد الذي نجده في تاريخ فلسطين القديم . وإلا كيف خُيِّلَ للدكتور الصليبي أنه يستطيع أن يقنع أحداً باستثناء بعض من قابلوه من كتاب الصحف الدارجة ، أن ميشع قد أقام في جحرا نصباً تذكارياً لتخليد هزائمه ، ثم انتقل هذا النصب ليكشف عنه في ذيبان ، أو أنه حتى يصحُّ الربط بين حزقيا ونقش سلوان ، يجب أن ينص هذا النقش الذي لم يصلنا كاملاً على مايلي: (إن هذا النقش قد كتب في زمن الملك حزقيا

ـ ٧ ص ١٠٧ ـ ونذكر بهذه المناسبة أن نقش سلوان لم يعثر عليه في قرية سلوان قرب القدس كما يزعم الصليبي وإنما على جدار نفق يربط بين عين ستنا مريم (وتسمى أيضاً عين أم الدرج) وبركة سلوان وكلاهما على التلة الشرقية إلى الجنوب من سور الحرم الجنوبي[١٤].

هذا عن محاولة الدكتور الصليبي إثبات أنَّ أرض التوراة هي ليست فلسطين ، فماذا عن محاولته إثبات أن هذه الأرض هي عَسِير ، ويعرف الجميع بالطبع أنه لم تجر في أرض عَسير حتى الآن أية نشاطات أثرية ، ولم يكتشف فيها أبداً أي أثر مكتوب له أية صلة قريبة أو بعيدة بلغة التوراة أو تاريخها ، فعلى ماذا يعتمد الدكتور الصليبي إذن ؟!

يعتمد الدكتور الصليبي على مايدعيه من وجود مطابقات بين أسماء أماكن في التوراة وأسماء أماكن في عَسِير وغربي شبه الجزيرة العربية ، ويعترف الدكتور الصليبي بأنه اكتشف هذه المطابقات اكتشافاً وعن طريق الصدفة ، إذ نقرأ في الفقرة الأولى من الفصل الأول مايلي: (لقد كان الأمر عبارة عن اكتشاف تم بالصدفة . كنت أبحث عن أسماء الأمكنة ذات الأصول غير العربية في غرب شبه الجزيرة العربية عندما فوجئت بوجود أرض التوراة كلها هناك . . وكان أول ماتنبهت إليه أن في هذه المنطقة أسماء أمكنة تشبه أسماء الأمكنة المذكورة في التوراة، وسرعان ماتبين لي أن جميع أسماء الأمكنة التوراتية العالقة في ذهني أو جلها مازال موجوداً فيها) ـ ص ٢٨ ـ. وبما أن أسماء الأماكن في غربي شبه الجزيرة العربية وأسماء الأماكن في التوراة لم تكن في يوم من الأيام سرّاً خفياً فإن سرَّ تفرد الدكتور الصليبي ، دون غيره بهذا الاكتشاف يكمن في المنهج أو على الأصح غياب المنهج الذي اتبعه للوصول إلى هذه المطابقات وهذا مانجده فيما عنوانه: (ملاحظات لغوية) ـ ص ٢١ ، ٢٥ ـ وهي التي نجدها مكررة في (مسألة نهج) ـ ص ٦٠ ، ٦٣ ـ

ومما يلفت النظر أن كتاباً تستند أُطروحته في شقها الأهم على مطابقات لغوية قد اكتفى مؤلفه بما سماه (ملاحظات لغوية) جاءت مختصرة جداً ، ومحشورة بين

المقدمة والفصل الأول ، ولا ذكر لها في قائمة المحتويات، وتبدأ هذه الملاحظات بإفادتنا بأن الأبجدية العبرية تشترك مع الأبجدية العربية في اثنين وعشرين حرفاً وأن هنالك ستة حروف عربية لا وجود لها في العبرية . يلي ذالك قائمة (بالتحولات التي يقرها علماء اللغات السامية بين اللغتين) تتألف من حروف عبرية ومايقابلها من الحروف العربية . ولم يقدم الدكتور الصليبي أيَّ دليل على أن علماء اللغات السامية يقرون جميع هذه التحولات أو أي دليل على أنها جميعاً صحيحة . ولم يميز الدكتور الصليبي بين تحولات يقبل علماء اللغات السامية بإمكانية حدوثها في ألفاظ ذات معنى واحد أو متشابه أو متضاد[١٥] وبين النقل في أسماء الاعلام[١٦]، إذ أن الأصل في هذه الأخيرة أن تنتقل بحروفها كما هي فيما عدا تلك الحروف التي لا وجود لها في إحدى اللغتين . ومع ذالك فإنَّ تحولاً في أحد حروف اسم العلم كان يحدث ولكن دون أن يحكم ذالك قاعدة جامعة مانعة . إذْ ليس شرطاً أن تتحول الهمزة مثلاً إلى واو أو ياء بل قد تبقى همزة أو قد تتحول إلى عين أو قد تسقط .

وتأتي المفاجأة بعد قائمتي الحروف العبرية والعربية ، حين يقدم لنا الدكتور الصليبي مجموعة جديدة تماماً من قواعد التحول في الحروف بينهما ، استنبطها هو (من المقابلة بين أسماء الأماكن التوراتية وتلك الموجودة إلى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية ــ ص ٢٣ ــ . فهو يستنتج مثلاً وعلى هذا الأساس أنَّ حرف اللام في أسماء الأماكن التوراتية مهما كان موضعه في التركيب يتحول إلى (ال) التعريف في نظيره العربي في عسير . وهكذا تصبح جلعد : الجعد وتصبح لمعلاه: المعلاه . وهو يقرر أيضاً أن أسماء الأماكن التوراتية التي على وزن (يفعل) و(تفعل) تتحول إلى العربية على وزن (فعل) و(فعلة) وهكذا تصبح يقطن: قطن، تعنك: عنقه، علماً بأن الدكتور الصليبي يؤكد في الملاحظة التي تلي ذالك مباشرة أنه يجب تعرية الأسماء في كل من العبرية والعربية من الحركات وحروف العلة ــ ص ٢٤ ــ فكيف استقام له مع ذالك الحديث عن الأوزان . ولنفرض جدلا أنَّ اللغة العبرية لغة ميتة فلا نعرف كيف كانت تلفظ أسماء الأماكن فيها فلماذا يريدنا أن نميت اللغة العربية أيضاً ؟! ويؤكد الدكتور الصليبي أن الشين

العربية لا تنقلب إلى ثاء عربية إلا في منطقة جيزان حيث تصبح بشن التوراتية بثن، كما أن الكاف العربية لا تنقلب أبداً إلى خاء وذالك لأنه لم يجد مثل هذا التحول على الاطلاق في التعريب الذي حصل لأسماء الأماكن التوراتية في شبه الجزيرة العربية ــ ص ٢٤ ــ . ولاتنسخ هذه القواعد الجديدة عدداً من التحولات التي وضعها في القائمتين بل إنها تضعنا أمام حالة لا مثيل لها من الدوران في حلقة مفرغة .

إن الدكتور الصليبي يريد أن ينقل أرضَ التوراة إلى عَسير لأنه يدعي أنه وجد مطابقات لغوية بين أسماء الأماكن في كل منهما ، وهو يريد أن يقنعنا بصحة هذه المطابقات بناء على قواعد جديدة تماماً استنبطها هو دون غيره من افتراض وجود هذا التطابق أصلاً .

ولنضرب على ذالك مثلاً: المطابقة بين يروشلم وآل شريم التي نجدها في الفصل التاسع : (أورشليم ومدينة داود) ــ ص ١٧٥ ، ١٩٣ ــ ويتوصل المؤلف إلى هذه المطابقة في الصفحة ١٨٣ . وحسب ادعائه فإنَّ كل ماحصل لغوياً عند النقل من الاسم التوراتي إلى آل شريم هو (تغير موقعي الحرفين الراء واللام بين قسمي الاسم المركب) ــ ص ١٨٣ ــ ولم يتنبه الدكتور الصليبي إلى أنه لا وجود في النص العبري أبداً لصيغة (يروشليم)، للياء بين اللام والميم وإنما يكتب دوماً ودون استثناء يروشليم أما ماحصل للاسم (يروشليم) حتى أصبح آل شريم فهو مايلي :

أولاً : تحولت الياء إلى مدة .

ثانياً: نقل الحرف الثاني الراء ليصبح الرابع .

ثالثاً: سقطت الواو نهائياً .

رابعاً: انتقل الحرف الرابع الشين ليصبح ثالثاً .

خامساً: انتقل الحرف الخامس اللام ليصبح الثاني .

سادساً: أُضيفت ياءٌ جديدة في آل شريم .

وقد اقتصرت محاكمات المؤلف اللغوية على الجملة التي اقتبسناها اعلاه أما الصفحات من ١٧٥ إلى ١٨٣ فقد احتلتها مناقشة ما يسميه (احداثيات)

يروشلم بالنسبة إلى حبرون التي هي الخربان في منطقة المجاردة . ويذكر اسم حبرون للمرة الأولى في الصفحة ٣٥ في سياق التأكيد على ان بني اسرائيل عندما هاجروا من عسير إلى فلسطين زمن التوراة استعملوا في فلسطين أسماء توراتية من بينها حبرون ، ويذكر في المرة الثانية في الفقرة الأولى من هذا الفصل ليفرض علينا المؤلف مايلي :

(هناك خمسة أمكنة تسمى حبرون ماتزال موجودة تحت اسم (خربان) (خـربن بقلب الأحرف) على المنحدرات البحرية لعسير ، ومن بين هذه الأمكنة الخمسة يحتمل ان عاصمة داود الأولى (أي حبرون) كانت قرية الخربان الحالية في منطقة المجاردة) ــ ص ١٧٥ ــ فلماذا وعلى أي أساس اختار خربان في منطقة المجاردة دون غيرها من بين خمسة مواقع تحمل نفس الاسم لتكون عاصمة داود الأولى ؟! ويستمر المؤلف (وكما سنرى لابد ان اورشليم كانت تقع على مسافة ما صعوداً باتجاه الشرق في جوار النماص . . . الخ) ولكن مانراه هو سبع صفحات من (التدقيق في النص العبري لصموئيل الثاني ٥ : ٦ ــ ١٠ الذي يتحدث عن كيفية استيلاء داود على أورشليم) ــ ص ١٧٦ ــ يحدد فيها المؤلف مواقع عدد من أسماء الأماكن الحقيقية أو المتخيلة بالنسبة إلى خربان في منطقة المجاردة ثم لا يلبث أن يعثر على موقع أورشليم : (فورا على مسافة حوالي ٣٥ كم إلى الشمال من بلدة النماص في سراة عسير شمالي أبها . انها القرية التي تسمى اليوم آل شريم) ــ ص ١٨٣ ــ .

وفي الفصل المعنون (مسألة الأردن) ــ ص ١٣٣/١٥٤ ــ توصل الدكتور الصليبي في الصفحة الثانية من هذا الفصل إلى أن هـ ي ر دن الأردن (جرف) (نتوء) أو (مرتفع) كما يلي : يقرر الدكتور الصليبي في الجملة الأولى من هذا الفصل ان هـ ي ردن لم تكن في التوراة نهراً لأن عبارة نهر هيردن لا ترد في أي مكان فيها ، ورغم انه يقتبس من كتاب (لجون سيمونز) قوله إن : (مشكلة أصل ومعنى كلمة يردن التي اختلفت الآراء حولها مازالت بلا حل ــ ص ١٣٣ هامش رقم ١ ــ إلا أنه يقرر أنها من الجذر (يرد) بمعنى انحدر ويقابلها في العربية الجذر (ردى) الذي يعني سقط ومنها اشتق الاسم الذي نجده في عسير

في صيغة ريدان وهي تعني نتوء أو مرتفع (أما النون في كل من يردن وريدان فهي أداة تعريف مماثة) وعلى ذلك فإن هيردن تعني جرف نتوء أو مرتفع . من ناحية أخرى وفي الهامش رقم ٣ صفحة ١٣٥ يعترف الدكتور الصليبي ، على مضض أن عبارة (مياه الأردن) ترد في التوراة (وهي تذكر عدة مرات) وهنا يقترح ان (يرد) العبرية مقابلة لـ (ورد) العربية وليس (ردى) ويكون معنى هـ ي ردن هنا ليس جرفاً أو نتوءاً أو مرتفعاً وانما جدول ماء أو بركة[١٧] .

وكتاب الدكتور الصليبي هو مجموعة هائلة من المطابقات اللغوية من هذا المستوى ، وفيه من المفارقات مالا يحيط به حصر ، ومنها أن المؤلف يؤكد لنا ــ وفي أكثر من مكان ــ ان بعض أسماء الأماكن في عسير زمن التوراة قد اطلقت من قبل المهاجرين إلى فلسطين على مواقع فيها ، ونحن نعرف على وجه التحقيق كيف انتقلت أسماء هذه المواقع في فلسطين إلى لغتنا العربية فلماذا انتقلت في عسير على نحو يختلف تمام الاختلاف ؟ إننا نعرف انه في فلسطين عربت هذه الأسماء كما يلي : يروشلم : أورشليم ، يريحو : أريحا ، عزة : غزة ، أشكلون : عسقلان ، أشدود : أسدود ، يافو : يافا ، عكو : عكا ، وتعنك : تعنك . . . الخ ، فلماذا عربت في عسير على النحو التالي : يروشلم : آل شريم ، يريحو : الرخية أو الوراخ وعزة: آل عزة في منطقة بَلَحْمَر أو العزة في وادي إضم أو عز في منطقة بلَسْمَر وأشكلون شقله في جوار القنفذة أو ثقالة في الجوار نفسه ، ولماذا عربت أشدود أما إلى السدود في رجال ألمع أو السداد في منطقة جيزان أو الشديد في منطقة مكة المكرمة ، أو السداد في منطقة الطائف وكيف أصبحت يافو : الوفية ، وعكو : العكة وتعنك : عنقة ؟ . . . الخ ؟

ومن النقاط البارزة في هذا الكتاب التسليم بصحة روايات التوراة التاريخية تسليماً مطلقاً ، إلى درجة لم يصل إليها أكثر التوارتيين المحافظين تطرفاً ، ولذالك فإنَّ المؤلف يرهق نفسه في البحث في جغرافية روايات يحوم شك كبير حول صحة احداثها . والتوراة كتاب ديني ذو نظرة تاريخية خاصة ، وقد كتب مافيه من روايات لتعزيز تلك النظرة ونجد في التوراة في بعض الأحيان ، روايتين مختلفتين أو متناقضتين لحدث واحد . ونقد الروايات التوراتية من حيث نشأتها وفلسفتها

ومن حيث المدرسة التي حررتها وصاغتها ومن حيث انتقالها حتى دخلت في (الكانون Canon)[١٨] الذي لم يغلق إلا في القرن الأول الميلادي أمر ضروري جداً لتقييم روايات التوراة تاريخياً ، وضروري جداً مقارنة ماله صلة بالآثار منها بنتائج الحفريات الأثرية ذات العلاقة ولو فعل الدكتور الصليبي ذلك لوجد انه لا مجال للشك أبداً في ان التوراة قد نشأت في فلسطين من ناحية ، ولا مجال أبداً ، من ناحية أخرى ، للقبول بان كل روايات التوراة التاريخية صحيحة وهذا مثل بسيط :

تذكر مدينة جبعون وسكانها الجبعونيون في التوراة خمساً وأربعين مرة . ويفهم من هذه الإشارة أن في مدينة جبعون بركة ماء (أرميا ٤١ : ١٢) وان سكانها كانوا يتعاملون بصناعة النبيذ أو نقله على الأقل (يشوع ٩ : ٤) ومنها أيضاً ان جبعون ، في زمن يشوع كانت مدينة عظيمة محصنة (يشوع ٩، ١٠) وانه قد احتلها ، ومنذ سنة ١٨٣٨ ارتأى ادوارد روبنسون E. Robinson أن جبعون هي الجيب التي تقع على مسافة ١٤ كم إلى الشمال الغربي من القدس وبين السنوات ١٩٥٦ ــ ١٩٦٢ قام (جيمس بريتشارد) J.B. Pritchard من جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالحفر في هذا الموقع فكشف عن وجود بركة ماء[١٩] ومعصرة نبيذ[٢٠] وكشف أيضاً عن عدد كبير من النقوش و (طبعات) أختام على مقابض جِرَارٍ فخارية من بينها واحد وثلاثون مقبضاً نقشت عليها كلمة ج ب ع ن . وكان على (بريتشارد) ان يقنع المختصين بأن هذه الحروف اسم المكان الذي هو جبعون ، وكان عليه ثانياً أن يقنعهم أن تلك الجرار لم تأت إلى الجيب حيث وجدت من جبعون وهذا ما فعله في نقاش مطول[٢١] . وبذلك يصبح تحديد موقع جبعون في الجيب الحالية في حكم المؤكد . من ناحية أخرى لم تكشف الحفريات في الجيب عن أية آثار لمدينة محصنة يمكن إرجاعها إلى الزمن الذي يفترض ان يشوع قد احتلها فيه ، وبذلك تكون رواية سفر يشوع ليست صحيحة وانما نسجت فيما بعد لاعتبارات ايديولوجية لا مجال للخوض فيها .

الجامعة الأردنية : د. محمود أبو طالب

[الحواشي] :

(١) كمال سليمان الصليبي ، التوراة جاءت من جزيرة العرب ، ترجمة عفيف الرزاز ومراجعة كمال الصليبي ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٥م بيروت ، ٣٦٤ صفحة ، ١١ خارطة . ويفهم من تصدير ناشر الطبعة العربية (ص ٨) ومن بعض المقابلات مع المؤلف (مثلا القبس اليومية الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٣ ص ١١) ان مجلة دير شبيغل Dir spigel الألمانية قد تعاقدت معه في صيف سنة ١٩٨٢م ، بعد ان أوشك على الانتهاء من تأليف كتابه على ان تتولى نشره باللغات الالمانية والانجليزية والعربية والفرنسية والهولندية والدانماركية . ويبدو ان هذه المجلة قد واجهت صعوبات في العثور على دور نشر تتولى القيام بهذه المهمة إذ لم يقدر لهذا الكتاب ان يرى النور إلا في أيلول من سنة ١٩٨٥ .

(٢) هذا تعريب موفق لاسم هذا الشعب القديم الذي كتب بالعبرية التوراتية Pelishtim وبالمصرية Peleset وبالمسمارية الأشورية Palashtu .

(٣) مجلة الشراع الأسبوعية الصادرة بتاريخ ١٩٨٤/٩/٣م .

(٤) يستعمل الدكتور الصليبي في هذا الكتاب مصطلحي (يهود) و (الديانة اليهودية) كمرادفين لمصطلحي (بني اسرائيل) و (ديانة يهوه) . وينعقد الاجماع على ان المصطلحين الأولين لم يظهرا إلا بعد السبي البابلي وانه لذلك لا يصح استعمالهما عند الحديث عن الفترة التي سبقت ذلك السبي . ولكن هذه تبقى مسألة ثانوية في ضوء التغييرات الضخمة الأخرى التي يقترحها المؤلف .

(٥) هكذا يكتب المؤلف اسم هذه المدينة المشهورة بالحروف الساكنة كما يعتقد انه ورد في النص العبري للتوراة وهذا خطأ . فقد كتب هذا الاسم في النص العبري دوما ودون أي استثناء يروشلم وينبهنا ال (ماسوريم) الذين ادخلوا الحركات في النص العبري ان هذا ما هو مكتوب Kethib وانها يجب ان تقرأ Qere يروشلايم . حول هذه المشكلة انظر :

A.D. Tushingham, « Yetushalayim, » pp. 183 - 193 in Archaeology in the Levant. Essays for Kathleen Kenyon, R. Moorey and p. Parr ed Aris and Philips Ltd Warminster, England, 1978 .

(٦) ان صفة (مقدس) و (غير مقدس) ليست دقيقة في التعبير عن العملية التي نشير إليها . والمقصود هو ما يقابل المصطلح Canon في اللغات الأوروبية الحديثة وفي اليونانية واللاتينية الذي يوصف به نص ما ــ ليس بالضرورة دينياً ــ عندما ينعقد الاجماع على انه (اغلق) فلا يزاد عليه أو ينتقض منه . ويختلف (كانون) العهد القديم الكاثوليكي والارثوذكسي عن نظيره البروتستانتي . والأخير مطابق لمجموعة الأسفار التي يصفها اليهود بانها (تلوث اليدين) والتي يفترض في المؤمن ان يغسل يديه بعد كل مرة يمسها خشية ان ينتقل ما بها من القداسة إلى ما يمسه فيلوث تلك القداسة . من أجل فكرة عامة عن هذا الموضوع الحساس انظر :

G.W. Anderson, «Canonical and non - Canonical, pp. 113 - 159 in The Cambridge History of the Bilble Vol I,P,R. Ackroyd and C.F. Evans ed., The University Press, Cambridge, 1970 .

(٧) نستعمل مصطلح « توراة » هنا كما استعمله الدكتور الصليبي ، وكما هو شائع في الاستعمال العربي العام رغم عدم دقته . والمقصود هو ما يسميه المسيحيون « العهد القديم » وما يطلق عليه اليهود اسم « تنك » وهو مصطلح يتألف من الحرف الأول من اسم كل جزء من الأجزاء الثلاثة التي يتألف منها كتاب اليهود المقدس تورا ، نبيئيهم وكتوبيم . واما بالنسبة للمفهوم الإسلامي فإن التوراة هي كتاب واحد مقدس انزل على سيدنا موسى عليه السلام حرف فيما بعد من قبل ربابنة يهود .

(٨) من أجل فكرة عامة عن هذا الموضوع انظر : وليم بروز ، مخطوطات البحر الميت ترجمة محمود العابدي ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٧ ، عمان . وقد اضاف المترجم ، الذي عمل سنوات طويلة في دائرة الآثار الأردنية معلومات مهمة تتعلق بمصير هذه المخطوطات .

(٩) انظر مثلا :

R. Hestern et. al, Inscriptions Reveal : Documents From The Time of the Bible the Mishna and Talmud, The Israel Museum, Jerusalem, 1972 .

Synagogue في :

M. Avi, Yonah ed. Encyclopedia of Areheological Excavations In the Holy Land, Vol. IV. The Israel Exploration Society and Massada Press, Jerusalem, 1978 .

(١٠) من الجذر الارامي م س ر ويعني (ينقل) (يسلم) . واقدم ما وصلنا من جهد هؤلاء الـ (ماسوريم) لا يرقى إلى ماقبل القرن العاشر الميلادي وهي نسخة من التوراة بـ (ماسورة) هارون بن موسى بن اشر موجودة الآن في متحف لينغراد في الاتحاد السوفيتي وهي التي اعتمدها رودلف كتل R. Kittel ورفاقه في Biblia Hebraica التي صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٢٩م ، والتي حلت فوراً محل النسخ العبرية الأخرى التي كانت متداولة وتعمل الجامعة العبرية الآن على اصدار تحقيق جديد للتوراة أساسه مايعرف باسم نسخة حلب Aleppo Codex وتنسب إلى هارون بن اشر أيضاً وكانت محفوظة في كنيس حليب ولكنها سربت سنة ١٩٦٥م إلى الكيان الصهيوني .

حول هذا الموضوع انظر :

M. Goshen - Gottstein. «The Aleppo Codex and rise of the Massoretic - Bible Text », Biblical Archaeologist, Vol. 42, N'. 3 (1979), pp 145 - 165 .

(١١) وبالطبع فان اقتراح الدكتور الصليبي المتعلق بان هذا الاسم قد يكون للاله المصري آتوم مرفوض رفضاً قاطعاً لأن أي ختم هو بالضرورة لتوثيق معاملات رسمية ادارية وتجارية مما لا شأن للالهة به ولم يحدث أبداً ان اكتشف ختم اله في أي مكان من الشرق القديم . أضف إلى ذلك ان المصريين القدماء لم يستعملوا اختاماً وان سكان فلسطين القدماء لم يعبدوا آلهة مصرية .

(١٢) V. Glueck « The First Campaign at Tell el - Kheleifeh (Ezion Geber), Bulletin of the American Schools of Oriental Research N° 71 (1936) . pp. 3 - 17; « The Topography and History of Ezion Geber and Elat, « ibid N° 72 ,1938), pp. 2 - 13; « The Second Campaign at Tell El - Kele - ifah (Ezion Geber : Elath) ibid N° 75 (1939) , pp. 8 - 22; « The Third Season of Excavations at Tell el - Kheleifeh ibid N°. 79 (1940) , pp. 2 - 18; « Osttraca from Elath » ibid . N° 79 (1940), pp. 3 - 10; ibid . N° 82 (1941), pp. 3 - 11 .

(١٣) من أجل عرض للاقتراحات المتعلقة باسم تل الدوير في العصور القديمة ، بما في ذلك اقتراح (البرايت) الذي طرحه سنة ١٩٢٩ . وتلخيص لابرز موجودات هذا الموقع بما في ذلك الكتابات وقائمة بأهم المصادر انظر :

O Tufnell, « Lachish » , pp. 296 - 308 in Archaeology and the Old Testament, D. Winton Thomas ed, The Clarendon Press, Oxford (1967) .

(١٤) ويتحدث النقش عن عملية الحفر نفسها ، ويرد في خمسة مواضع من التوراة (الملوك الثاني ٢٠ : ٢٠ اشعيا ٢٢ : ١١ اخبار الأيام الثاني ٣٢ : ٢ ـ ٣٢ ـ ٣٠ وبن سيراح ٢٨ : ١٧) أن حزقيا

(٧١٥ ــ ٦٨٧ ق.م) قد حفر في يروشلم بركة وصلها بنفق إلى عين جيحون . وان مناسبة ذلك هو الاستعداد للحصار الذي كان متوقعاً ان يفرضه سنحاريب على هذه المدينة .

(١٥) انظر مثلا :

L.H Gray, Introduction To Semitic Comparative Linguistics, Philo Press, Amsterdam, 1971

ربحي كمال ، التضاد في ضوء اللغات السامية . دراسة مقارنة ، جامعة بيروت العربية . بيروت ١٩٧٢ .

(١٦) انظر مثلا فيما يتعلق بفلسطين :

A. F Rainey, « the Toponymics of Eretz - Israel » , Bulletin of the American Schools of Oriental Research N°. 231 (1978), 1 - 17 .

(١٧) يجمع الدارسون على انه من الصعب القبول بأن صيغة هيردن مشتقة من الجذر يرد انظر :

J Simons , The Geographical and Topographical Texes of the old Testament, brill, Leiden, 1959

وقد نوه سيروس جوردن بان عبارة (نهر الأردن) لا ترد في التوراة وان هذا الاسم باستثناء مرتين (المزامير ٤٢ : ٧ ، أيوب ٤٠ : ٢٣) يكون دوماً مسبوقاً بأداة التعريف ، هذا بالإضافة إلى عبارتي (هذا الأردن) و (اردن اريحا) وقد قاده ذالك إلى اقتراح ان هذه اللفظة تعني (نهر) اعتماداً على ذكر Iardanus في اوديسه هوميروس (٢ : ٢٩١ ــ ٢) ولكن رأيه هذا لم يحظ بالقبول انظر :

C Gordon, Before the bible The Common Background of Greek and Hebrew Civilizations, Harper & Row, New York 1962, pp 284 - 5

ونذكر بهذه المناسبة (ان بردية اناستاسي الأولى) وهي عبارة عن رسالة سخرية من أحد الكتاب المصريين إلى غريمه ومنافسه وتعود إلى أواخر زمن السلالة التاسعة عشرة المصرية ، أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ترد فيها عبارة (جدول الأردن اين يقع) واسم الأردن هنا مسبوق بالاشارة الدالة على نهر أو جدول من أجل ترجمة انجليزية لهذه الرسالة الطويلة الممتعة انظر :

J.A Wilson, « An Egyptian Letter », pp. 465 - 479 in Ancient Near Eastern Texts Reelating to the Old Testament, J.B Pritchard ed. 3rd edition With Supplement, Princeton University Press, Princeton, 1969 .

وفي :

W.Helck, Die Beziehunfen Agyptens Zu Vorderasien im 3 Und.2. Jahrtausend V. Chr., Agyptolofische Abbandlungxn 5 2nd Revised ed. O. Harrassovitz, Wiesdaden, 1971, pp 315 - 319 .

نجد مناقشة لغوية جغرافية لهذه الرسالة .

(١٨) انظر الهامش رقم ٦ .

(١٩) J.B Pritchard, The Water Sysrem of Gibeon, The University Museum, The University of Pennsylyania, Philadelphia, 1961

(٢٠) Idem Winery, Defemses and Soundings at Gibeon The Univeraity Museum , The Unicersity of Pennsylvania , Philadelphia, 1964 .

(٢١) Idem Hebrew Inscriptions and StampsFrom Gibeon University Museum , The Univeraity of Pennsylvania , Philadelohia, 1959

منشورات (دار اليمامة) :

هدية لا أكرم منها ولا أثمن

[نشرت مجلة «الضاد» التي تصدر في حلب في عددي ١ ، ٢ كانون الثاني شباط ١٩٨٨م كلمة كريمة للأستاذ فريد جحا المفتش الاختصاصي لمادة اللغة العربية وآدابها بوزارة التربية السورية، وترى مجلة «العرب» اعترافاً وتقديراً بما وجهه الأستاذ الكريم من ثناء على ماتنشره «دار اليمامة» بإشراف صاحب هذه المجلة من مؤلفات أن تطلع القراء على أنموذج من نماذج الوفاء في هذا العصر وما أقله].

هذا اليوم الحادي والعشرون من شهر جمادى الأولى كان يوماً سعيداً جداً : ففي فجره تلقيت هاتفاً من ابنتي في مستقرها البعيد، وأنصت معه إلى زقزقات أحفادي تهنئني بالعام الجديد، وفيه أشرقت الشمس زاهية ضاحكة، وسط سماء زرقاء حلوة، بعد أسبوعين لم نَر فيهما شمساً ولا سماء ، بل سحباً دكناً ، ومطراً مدراراً، وبرداً شديداً .

وتلقيت في غداة هذا اليوم أيضاً، هدية كريمة ثمينة، فلقد حمل إليَّ البريد ماأرسله الصديق العالم الأستاذ حمد الجاسر[1] من كتب نشرتها (دار اليمامة) الزاهرة، فكانت بعددها وأهميتها، ومكانتها، خير مايرسل صديق إلى صديق . فالكتب، كانت ولا تزال، خير مايقتنى، ومحبتي لها أحالت بيتي إلى مكتبة تعتلي فيه كلي شيء : مناضده وخزائنه ، وأرائكه، وجدرانه، فإذا ما عتبت زوجتي ماأخلق من فوضى في ترتيب البيت، حين ألقي بالمجلدات في كل مكان، ضحكتُ وقلتُ: هواي مع الكتب، وحياتي في مطالعتها. . . ثم ذكرتُها، لأضحكها، بالبيتين المشهورين :

شيشرونُ قال قولاً حبّذا القولُ النصوحْ
(كلُّ بيتٍ دون كتبٍ جسدٌ مافيه روحْ)

هذه الكتب القيمة التي أرسلها إليّ الصديق أغلى ماأقتنيتُ من زمن بعيد، ففيها التراث والعلم والتحقيق والترجمة والطباعة الفخمة. . . وفيها قبل كل شيء اتصالها بتاريخ جزيرة العرب وجغرافيتها وتراثها، وأكرم به تاريخاً، وأعزز به تراثاً، وأحسن بها جغرافية، فهي على صلة بأرض الآباء والأجداد، أولئكم الذين أعطونا فأحسنوا العطاء، أعطونا هذه الحضارات التي ازدهرت فوقها وحواليها،

وفي أكرم مدنها ولد الرسول العربي صلوات الله عليه، وفيها بعث، ودعا قومه إلى الإسلام، وإلى مدينتها الأخرى يثرب هاجر، وأقام الدولة الإسلامية الأولى، ثم فيها توفي صلوات الله عليه ودُفن... ومنها انطلقت جيوش الفتح والتحرير، تنشر كلمة الله ودينه، وتحمل للدنيا الغارقة في الظلمات آنذاك، نور الرسالة السمحة، وحضارة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، لأنها كانت عربية اللسان، إسلامية المضمون، إنسانية الروح.

هذه الكتب، وفيها («رسائل في تاريخ المدينة»، و«صفة جزيرة العرب»، وكتاب «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» و«وصف افريقيا[٢]» و«مدينة الرياض»، و«رحلة إلى بلاد نجد» و«البرق اليماني في الفتح العثماني»...) هذه الكتب تجمع بينها خصال ومزايا: أناقة المظهر، وجودة الطباعة، وحلاوة الإخراج، أما المضمون، فحدث عنه ولا حرج: فهذه الكتب، مع صلتها الوثيقة بأكرم بقعة، وأحبِّها إلى قلب كل عربي، تعالج الموضوعات التي أهتم بها اهتماماً خاصاً، ويهتمُّ بها معي كل من له علاقة ثقافية بتراث العرب وحضارتهم.

لذلك لم يكن غريباً، بعد سعادة هذا اليوم البسَّام، أن أشكر الله، جلَّ وعلا، الشكر الجزيل، على آلائه التي غمرني بها، وأن أحمده بعد كل صلاة، فلقد كانت نعمه دائمة كثيرة وافرة، وكان من أكرمها، هذه الكتب التي وصلتني في ضحى يوم جميل من أيام جمادى الأولى، كتب فرحت بها، وأحللتها من مكتبتي مكاناً لائقاً، ووضعتها في مكان قريب ييسرُ لي الوصول إليها لأقرأها بعد أن أنهي مابين يدي من دراسات، ثم لأعد عنها دراسات تعرّف بها، وتقوّمها، وتدعو القراء العرب في كل مكان إلى اقتنائها ومطالعتها والإفادة منها.

٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ الموافق ١١ كانون الثاني ١٩٨٨م

حلب ــ سورية : فريد جحا

الحواشي :

(١) كان الفضل للأستاذ عبدالله يوركي في هذه الصداقة، فعن طريقه وطريق مجلته [الضاد] تعرَّفت منذ شهرين إلى الأستاذ حمد الجاسر الذي اتفيأ من صداقته بأزهى فيء. إنه فضل جديد يضاف للضاد ولصاحبها في أعناقنا، فالشكر جزيل الشكر له.

(٢) ليس من منشورات (دار اليمامة).

أمكنة التعدين القديمة
حـول رنيــة

البوادي عبثوا بمسميات الأرض والبقاع بحيث إذا مات قريب أحدهم أو قريبته أو ناقته أو جمله أعطى ذالك الموضع اسم الميت، مثل قولهم: رُجَيْم سارَة، وحصاة دَائخة، وغَدِير نُورة، وهكذا وهذه فيها آثار مناجم قديمة، ومعروف أن رَنْيَةَ من بلدان بني عُقَيلٍ المشهورة بكثرة المعادن، والمعروف أن وادي بِيشة قبل التقائه بوادي رَنْيَة بمسافة تقدر بـ ٥٥ إلى ٦٠ كيلاً يكون قد دخل ضمن الحدود الإدارية الجنوبية لرنية وبواديها، وهذا واقع في الشرق من مورد دُوَيْرِج ــ الواقع في الشرق من مورد (عُقَيلان) المعروف شرق المعمور من قرى بيشة، وقديماً كانت حدود رنية أبعد من ذالك كثيراً على ماذكر ياقوت الحموي في «معجم البلدان» من أن حدود رنية تبالة وبيشة وتثليث ويَبَنْبَم وعَقِيق تَمْرة، على مافي رسالة عرَّام السلمي، وذكر أن سكان رنية بنو عُقيل بن كعب، وذكر وفرة مياهها، وفي «بلاد العرب» ــ ٦، ٧ ــ: جميع بني خفاجة يجتمعون ببيشة ورنية . وفي «الأغاني» ــ ١١/٢٢٢ ــ ذكر أن ماء جرير من مياه بني عُقيل هاؤلاء ، وفي كتاب «أبو علي الهجري» ــ ٣٢٨ ــ ذكر أشهر الأعلام الواقعة شرق رنية ونسبها إلى رنية ومنها جبل شَتِير والسِّتَار وغَائِر ــ ثم قال: إنهما جبلان قرب سقمان من رَنِئَة، وسُقْمَان ماؤه في هضب ــ وأقول: هو كذالك حتى الآن فلو وصف واصف الآن تلك الجبال أو سماها لم يجد أوضح مما ذكر الهجري، وفي الغرب من رنية ذكر الهجري أيضاً أعلاماً مازالت معروفة بأسمائها ومواضع نسبها إلى رنية قال ــ ٣٨٨ ــ: هَيْج وسألته يعني شيخاً من بني هلال عن هيج فقال: هما هَيْجَانِ ــ جبلان بأسفل رَنِئَة ودَارَا مقصور مذكر . . الخ . وأقول: إن هيج أو هيجان ــ هما جبلان أسودان في ظهر حَرَّة بني هلال في الطرف الجنوبي مما يلي تبالة، ودارا والغضار ــ هي مايعرف الآن باسم الغُضَيْرِيَّة في عليا وادي رنية غرب كَوْر آل عُمَيْر ــ عن الكور هذا انظر مجلة «العرب» س ١٨ ص ١١١٥ ــ ولديَّ موضوع موسع عن

نواحي رنية وماحولها سأتحف به قراء مجلة «العرب» قريباً لهذا أكتفي بما تقدم الآن .

وأما عن آثار المعادن فكثيرة في نواحي رنية ولكن أسماءها هي حسب مواقعها من الأرض أو قربها من الجبال المشهورة، ومعظمها يقع جنوباً إلى الجنوب الشرقي من رنية، وفي هذه الناحية شريط من الأرض منخفض يقع مابين الرمال والحزون، ويمتد من الغرب إلى الشرق تطل عليه جبال وآكام من الشمال فيها من المعادن، وأرض هذا الشريط لها مسميات فأعلاها يدعى (صيفاء) بالفاء، ومنها في الجنوب الغربي والجنوبي تقع أرض النظيم وأرض ٱلمِيْثَب، وكتمان، ووسطها المصفوحة وآخرها المصافيح، وفي تلك الأرض وما حولها الكثير من فوهات المناجم القديمة التي لازالت معالمها واضحة وهي من الغرب إلى الشرق على التوالي : ــ

مناجم (الصريفات) مفردها صريف ــ بالصاد .
مناجم جبل الشماس وتقع منه في غربه وفي شرقه .
مناجم سود البئر ــ بئر الوزران .
مناجم (ضليعات القتاد) في غرب جبل حداء .
مناجم جبل حداء وناحية برقة زارا .
مناجم حزم شياط ، وعن حزم شياط هذا وتحديده وماحوله انظر مجلة « العرب » س ٢١ ص ٥٣٩ و٥٥٢ و٥٥٣ .

وهناك منجمان بعيدان بعض الشيء إلى الشرق من تلك المناجم المذكورة وهما منجم بني جربوع ومنجم جفن ضب .

ويقع قَرِيُّ عُريق (النقيب) ــ عِن النقيب انظر «العرب» س ٢١/ ص ٥٥١ ــ .
ثم مناجم جبل (ضلفع) وسويقة وكتيفة .

ومناجم جبل سلّي والصدوعية، وهذه تطل على رنية المدينة من الجنوب الشرقي، وفي الشرق من جبل حداء وأمشاط تقع جبال الحديد كما يسميها الخبراء

ولها اسم محلي معروف هو (جدائر الحشيشي) والحشيشي رجل قتل أو مات بقربها فسميت به .

وهي تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي مسافة تقرب من سبعين كيلاً ولكنها غير عريضة فعرضها لا يتجاوز الكيلين .

وأما جبال الرصاص ــ فهي جبال تكتنف مجرى وادي الراشدة في منطقة جبل الصوان ، غرب حجر الراشدة بحوالي خمسة عشر كيلاً وهي من رنية جنوباً على بعد ٥٨ كيلاً وعن تلك المناجم وغيرها حدثني من أثق بقوله وقد صحب أحد الخبراء أكثر من ثلاث سنوات في تلك المناجم ومن ضمن العمال الذين يحفرون المناجم برفقة الخبراء لمشاهدتها من الداخل ثم أخذ عينات من مختلف تربة المنجم، قال: إن المناجم المذكورة لاتتباعد عن بعضها كثيراً في تلك الجهة وعندما نحفر بعمقٍ إلى مترين نجد سرداباً سبق حفره في الداخل أو عدة سراديب فنسير بداخلها، ونجد فيها بقايا فحم تعرف أشجاره مثل الغضا والسمر ، وكذالك نجد عظاماً لازالت بحالة جيدة، وكسراً كثيرة من أحجار الرحيّ مفردها رَحًى ، وقد سألنا المترجم عنها فسأل الخبير فأجاب: إن القدماء كانوا يوقدون على المناجم بالحطب وبالْكِير حتى تذوب المعادن، وتسقط على الأرض ، ومعها عوالق من أحجار ، فيتركونها لتبرد ، ثم يأتي دور الرحي بعد ذالك ــ وأما تكسير الرحي من جانبهم فهو متعمد لكي لا تستعمل في هذا العمل من غيرهم .

وقال ــ محدثي : ولقد لفت نظرنا أنَّ الخبير عندما يقف على منجم من المناجم يسألنا بقوله: كم من الوقت يستغرق مسير الجمل المحمل بالماء من رنية إلى هذا الموقع ، فنجيبه لمعرفتنا بسير الجمال عن المسافة وكان معظمها ومنها حزم شياط تصله الجمال المحملة بالماء من رنية بعد مسير يوم على سير الرخاء ، وأما المنجمان الشرقيان ــ بني جربوع وجفن ضب ــ فلا تصلهما إلا بعد يوم ونصف ، وكنت أنا ورفاقي حين نرى الرحي المكسرة نقول فيما بيننا : هذا من حجر الجبيل الفلاني في رنية ، لأن أحجاره هي التي تصلح للرحي ولا يشابهها أية أحجار في ناحيتها . وكلها من ناحية الجنوب من رنية . ←

بين الكرامة والخرافة

لاتصل إلَـيَّ مجلة «التضامن الإسلامي» التي تصدر في مكة المكرمة عن وزارة الحج والأوقاف إلا في فترات متقطعة ، ولا أبالغ إذا قلت : بأنني لم أَرَ من أجزائها الكثيرة منذ أعوام سوى جُزْئَيْ شعبان وشوال ١٤٠٨ ، وباستعراض فهارس الجزئين رأيتها مجلة جديرة بالمطالعة ، لما تحويه من أبحاث دينية ، وتفصيلات وافية عما تقوم به وزارة الحج والأوقاف من أعمال ، وما يجري بين كبار موظفيها وبين زوار هذه البلاد الكريمة من علماء المسلمين ووجهائهم من مقابلات واتصالات ، وتباحُثٍ في الشؤون العامة المتعلقة بالقضايا الإسلامية في جميع أرجاء البلاد الإسلامية .

وكان مما وقفتُ عندَه في مطالعة جزءِ شعبان (ص ١٩ ـ ٢١) مقالة للأستاذ ناجي الطنطاوي عنوانها: (من كرامات الصالحين : المَشْيُ على الماء) ، ولقد عرفت الأستاذ الطنطاوِيَّ مما قرأته من آثاره ، وقد عرفتُ أنه أحدُ العلماء الأجلة ، ربيبُ بيتِ علمٍ وفضل في دمشق ، وهو أخو العالم الجليل الشيخ علي الطنطاوي ، وابن أخت الكاتب الإسلامي الكبير السيد محب الدين الخطيب

ومن المعادن القديمة : ناضحة : وهي لا تبعد شمال شرق مدينة رنية أكثر من ٢٥ كيلاً وكنت أظنها المسماة في المعادن باسم الكوكبة وهي في طرف عرق سُبيع مما يلي رنية ــ انظر «العرب» س ١ ٢ص ٥٥١ و٥٥٣ ــ .

والأحسن : وهناك موضع يدعى الآن (حسن) قرن أسود عال ، وعنده آثار قديمة ويقع على جانب مجرى وادي الخرمة ــ تربة قديماً في الشرق من جبل تـين ، ومنه ترى الإبل التي تشرب على مورد (القنصليَّة) المعروفة وهي منه ناحية الشمال الغربي في الفرشة في بطن الوادي غرب عرق سُبَيْع ، وشرق الحرة و (حسن) يقع من ناضحة في الشمال الغربي مسافة يوم لحاملات الأثقال من الإبل .

رنية : فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي

صاحب مجلتي «الزهراء» و«الفتح» الذي تولى رئاسة تحرير مجلة «الأزهر» فترة من الزمن ــ انظر «العرب» س ٤ ص ٥٧٥ ــ والبيئةُ التي عاش فيها الشيخ الطنطاوي بيئةٌ دينية أبعد ماتكون عن الانحرافات ، أو التأثر بالبدع والخرافات ، ولهذا فما كتبه الشيخ ناجي في مقالته تلك ليس من قبيل مايكتبه كثيرٌ ممن يَدَّعِي العلم والدين ، ومحبة الأولياء والصالحين عن جهل وعدم تثبت ، إلا أنَّ طغيانَ العاطفة الدينية عند الشيخ ناجي قد يَكون انجرفَ به بحيث جَزَمَ بأنَّ ماذكر في مقالته تلك هي إحدى الكرامات الثابتة .

وكان من الملائم ــ إنْ لم يكن من الواجب ــ أن يُورِدَ الأستاذ الطنطاويُّ من الأدلة مايثبت ماادَّعَاهُ كرامةً ، وما يؤيد صحة ماذهب إليه .

أما إرسَالُ القول على هذا النحو : (مما ثبتت صحته عن طريق النقل الصحيح) و : (وقد ثبت خبر المشي على الماء بسند صحيح) و : (وهذا الخبر صحيح نقله المؤرخون بسند ثابت لا مجال للطعن بصحته) .

فالأستاذ الطنطاوي وغيره ممن يتحرون الحقائق فيما يقولون لا يجدون مندوحةً من الوقوف عندها موقف المتثبت حتى تتضح لهم طريقة نقل ذالك الخبر بصورة صحيحة ، وبسند صحيح ، وهذا مما فات الكاتب الكريم .

ويحسن إيراد خلاصةَ الخبر كما ساقها ، قال ــ ص ٢٠ ــ : (قال الراوي : ثم قام العلاءُ بنُ الحضرمي فدعا الناس إلى بلدة (دارين)[1] التي تجمع فيها المرتدون وقال لهم : انهضوا إلى عدوكم ، ثم ارتحل وارتحل المسلمون معه وساروا حتى أتوا على خليج من البحر ، ماخاضه أحد من قبل ذالك اليوم ، ولم يكن عندهم سفن يجتازون البحر بها ، وكانوا يتهيبون عبور البحار لأنهم عاشوا فوق رمال الصحراء الجافة القاحلة ، فقام العلاء وصلى ركعتين ، ثم وقف يدعو الله سبحانه وتعالى ، ثم أخذ بعنان فرسه واقتحم البحر وقال : بسم الله جُوزُوا !! ، فاقتحم المسلمون معه البحر على الخيل والإبل والحمير ، وكان فيهم الراجلون أيضاً .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : فمشينا على الماء كأننا نمشي على الرمال ووالله ماابتل لنا قدم ولا خُفٌّ ولا حافر ، وكان الجيش أربعة آلاف ، والتقى المسلمون

بأعدائهم واقتتلوا قتالاً شديد ، وظَفِرَ المسلمون ، وانهزم المشركون ، وعاد الإسلام إلى البحرين ، وكتب العلاء إلى أبي بكر رضي الله عنه يعرفه بذالك .

وهذا الخبر صحيح نقله المؤرخون بسند ثابت لا مجال للطعن بصحته) .

ليس الأستاذ الطنطاوي بحاجة إلى تذكيره بأننا في عهد أحوج مانكون فيه إلى تقريبِ فهمِ كل مايتصل بديننا الحنيف من تعاليم ومن أخبار ، ومن تاريخ ، إلى أذهان ناشئتنا الذين قد تأثروا أعظَم التأثر بما لحياة هذا العصر من كبير الأثر في زعزعة الأفكار ، والانغماس في المادة انغماساً طمس كثيراً من البصائر ، فَعَمِيَتْ عن إدراك كثير من الحقائق الروحية ، حتى طغتِ النزعةُ الماديةُ طغياناًأوجبَ على كل من يريد لتلك الناشئة الخير ، وأن تكون في مَنْـأى عن خطر الانْجِراف والانْحِراف ، عَدَمَ مُجَابَهَتِهِمْ بأمور أبعد ماتكون عن الحقائق التي يستطيعون إدراكها ، ولا سيما مما لا يترتب على الجهل بها مساسٌ بالعقيدة الصحيحة ، بل ربما تكون مثاراً للحيرة والشك عندهم ، فيتخِذُوا ذالك وسيلة لإنكار الثابت الصحيح مما جاء الشرعُ الشريفُ بتقريره مما يجب اعتقاده .

وعلى ذالك النهج الحميد ــ نهج تقريب فهم تعاليم ديننا الحنيف لإدراك ناشئتنا ــ سار الشيخ الجليل الطنطاوي الكبير في دروسه المؤثرة ، المفيدة حقاً التي تبثُّها الإذاعتان المرئية والمسموعة منذ مايزيد على ثلاثين عاماً .

أما مازعمه الأستاذُ ناجي وعدَّهُ كرامةً فهو إلى الخرافة أقرب بعد تجريد خبر الواقعة التاريخية مما أُلْصِقَ به ، وإيضاح هذا : ــ

١ ــ أنَّ الخُرافة هي الحديث المستملح المستغرب ، والخبر الذي ساقه الأستاذ الطنطاوي له أصل ، ولكن مازجه من (التخريف) ما أبعده عن الحقيقة ، مثل : (أتوا على خليج من البحر ماخاضه أحد من قبل ذالك اليوم) و: (ماابتلَّ لنا قَدَمٌ ولا خُـفٌّ ولا حافِر) . ولهذا أصبح أقرب إلى الخرافة منه إلى الواقع .

٢ ــ أنَّ المكان الذي حدثتْ فيه القصةُ لِسَانٌ ممتدٌّ من الأرض ، نحو جزيرة دَارِيْنَ (تاروت) ، وهذا اللسان في حالةِ الجَزْرِ يسوغُ المرور فيه للمشاة والركبان ،

وفي حالةِ المـدِّ يطغَى ماءُ البحرِ فلا يُستطاع عبوره ، وكان هذا معروفاً إلى عهد قريب ، فقد كان الناس يمرون بذالك الـخَوْرِ وقت الجزر ، ويتوقفون وقت المـدِّ ، حتى قامت الدولة بردمه فأصبح صالحاً لمرور السيارات وغيرها ، والأخبار التي ذكرها ثقات المؤرخين تدل على ذالك ، فالذهبي في كتاب «سير أعلام النبلاء» ــ ١ / ١٣١ ــ وصف ذالك اللسان بأنه (رَقْرَاقٌ) فقال: (فسار إليهم وبينهم البحر ــ يعني الرَّقْرَاقُ ــ حتى مَشَوْا فيه بأرجلهم) . والبَلَاذُرِيُّ في كتاب «فتوح البلدان» ــ ٩٦ المطبعة المصرية سنة ١٣٥٠ ــ سمَّى ذالك المكان (مَخَاضَةً) وقال : (ودَلَّهُ كَرَّازٌ النُّكْرِيُّ على المخاضة إليهم ، فتقحم العلاء في جماعة من المسلمين البحر فلم يشعر أهل دارين إلا بالتكبير . . . وقال كَرَّازٌ :

هَابَ العلاءُ خِيَاضَ البَحْرِ مُقْتَحِماً فَخُضْتُ قِدْماً إلَى كُفَّـارِ دَارِيْنَا

ومعنى هذا أنَّ العلاءَ هابَ وتردَّد حتى أرشده كراز النكريُّ وهذا من بني نُكْرَةَ من عبدالقيس أهل هذه البلاد .

٣ ــ وتردُّدُ العلاءِ في مثل هذه الحال هو الأمر الذي تَقْضي به حيطة القائد الحذر لصيانة جيشه ، ولعدم الإقدام على مواطن الخطر ، عملاً بقول الله عز وجل : ﴿ ولاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيْكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ ﴾ .

ولهذا فقد سار الجيش في (المخاضة) التي وصفها ابن كثير في «البداية والنهاية» ــ ٦ / ٣٢٩ ــ : (فأجاز بهم الخليجَ بإذن الله يمشون على مثل رَمْلَةٍ دَمِثَةٍ فوقها ماءٌ لا يغمر أخفاف الإبل ، ولا يصل إلى رُكَب الخيل) .

وهكذا كانت المخاضة التي شاهدناها وعرفناها فقد كانت رملةً دَمِثَةً ، وقد كتبت عنها في قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ص ٦٥٧ بما هذا نصه : (وهنا تنبيه لابُدَّ منه ، فقد ورد في كثير من كتب التاريخ من تَهْوِيل خَوْضِ جيش العلاء بن الحضرمي[٢] البحر إلى دَارِيْنَ ، وأن ذالك يُعْتَبر كرامةً خص الله بها العلاء ومن معه ، وكَرَمُ الله وإكرامه فوق الْـحَدِّ والوصفِ ، ولكن الأمر ليس كما ورد في تلك الكتب ، فموقع دَارِيْنَ في الطرف الغربي الجنوبي من جَزِيرة تاروت ، وجزيرة تاروت لا يفصلها عن بلدة القَطِيفِ

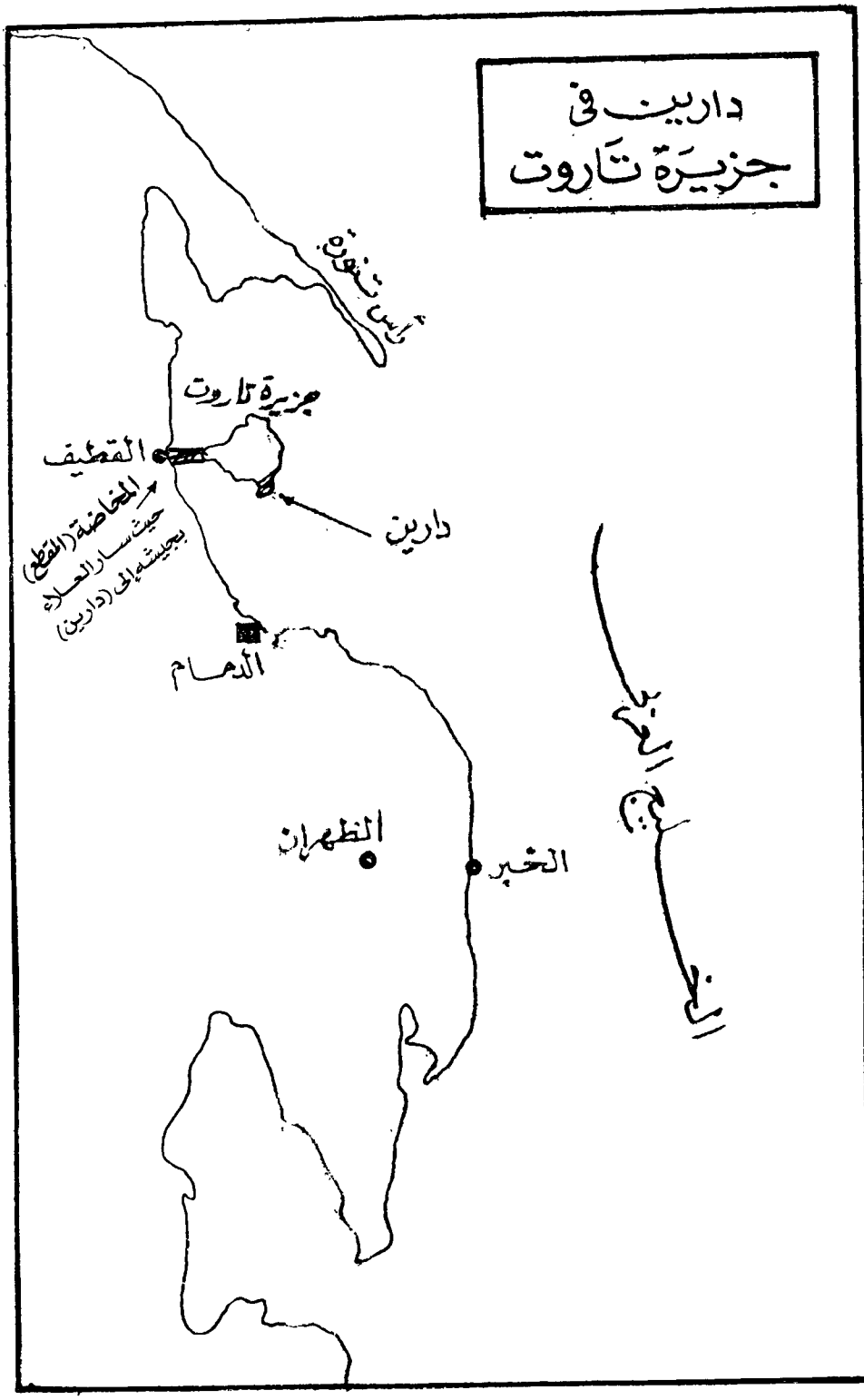
داريين في
جزيرة تاروت
رأس تنورة
جزيرة تاروت
القطيف
المخاضة (القطع)
حيث سار العلاء
بجيشه الى (داريين)
داريين
الدمام
الظهران
الخبر

الواقعة على الشاطيء ، سوى خَوْرٍ يَقِلُّ ماؤُه عند الجَزْرِ فَيُسْتطاع خوضه لجميع راكبي الحيوانات ، وعند الـمَدِّ يكون الماء عَمِيقاً ، ولا شكَّ أن العلاء بعد أن استولى على الزَّارَةِ الواقعة بقرب بلدة القطيف جاز الـمَخَاضَةَ إلى جزيرة تاروت ، حين أرشده إليها النكريُّ أو الرجل النصراني ــ على مافي إحدى الروايات ــ ومن تَارُوْتَ سار إلَى دَارِيْنَ . انظر الرسم المرفق بهذا .

وقد حاول الدكتور محمد حسين هيكل[٣] تقريبَ الأمر لِـما هو أقرب إلى المعقول ، ولكنه وقع في خَطَإٍ شَنيع ، فقد رسم موقعَ دارِيْن في خليج عُمَانَ ، بعيدةً عن موقعها ، ثم أَتَى بخبر لا أَدْرِي من أين استقاه فزعم أن بعض المسيحيين أَمَدُّوا العلاء بسفن ركب فيها إلى دَارِيْنَ ، وكل هذا خطأ ، فدارينُ لا تزال معروفة ، وهي بقرب ساحل القطيف ، وخوضُ جيشِ العلاء إليها من الأمور المعتادة ، وقد كان سكانُ القطيف وغيرهم يخوضون الماءَ إليها ، حتى أُنْشِئَ منذ عشرين عاماً الجسر الذي وصل بين مدينة القطيف وبين الجزيرة وهو مَمَر مَرْدُوم وليس جَسْراً عائماً .

أمَّا ماأُضيف إلى الخبر من مبالغات وأمور لا يقبلها العقل فلا شك أنها من وضع القصاصين .

٤ ــ وقد سبق أنْ قُمْتُ بدراسة عن العلاءِ بن الحضرمي قائد الجيش الإسلامي في تلك الوقعة قبل ثمانية وأربعين عاماً نشرتُ خلاصتَها في جريدة «أم القرى» [ع٨٦٣ في ١٠ جمادى الأخرة سنة ١٣٦٠ ـ ٤ يوليو ١٩٤١ ـ ومابعدها من أعداد] وقد حاولتُ مااستطعتُ تَقَصِّي مايتعلق بقصة خوض البحر فاتَّضَحَ لي من ذالك أنَّ الخبر من ناحية السند ليس صحيحاً ، فهو يدور على رجلين :

أحدهما سيفُ بن عمر التميمي ، وهذا هو الذي عَوَّلَ عليه ابن جرير ومن جاء بعده كابنِ الأثير وابن كثير وغيرهما ، وسيفٌ هذا قال عنه ابن مَعِين : ضعيفُ الحديث . وقال أبو حاتم : متروك الحديث . وقال ابن عَدِيٍّ : بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة ، لم يتابع عليها . وقال ابن حبان : يروي الموضوعات وأنه كان يضع الحديث واتهمه بالزندقة ــ انظر كتاب «تهذيب ←

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨ / ٥٨٤هـ)

ـ ٥٤ ـ

(١)

٢٤٦ ـ بابُ حَجُونٍ ، وَحَجُورٍ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ: بَعْدَ ٱلْحَاءِ الْمَفْتُوحَةِ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ وآخِرُهُ نُونٌ ـ : جَبَلٌ بِأَعْلَا

← التهذيب» ٤ / ٢٩٥ .

والثاني عبدالله بن لهيعة المصري الحضرمي الذي نقل عنه الذهبي الخبر في «سير أعلام النبلاء» ١ / ١٩١ ـ وابن لهيعة هذا قال عنه ابن مَهْدِي : لا أحمل عنه قليلاً ولا كثيراً . وقال الإمام أحمد : ماحديث ابن لهيعة بحجة . ـ انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» ٥ / ٣٧٣ .

فكيف يصح القول بأن الخبر صحيح ، وعلماء الحديث يَصِفُون راوِيَيْهِ بتلك الأوصاف ؟!

٥ ـ أن فيما ثبت في الكتاب المطهر والسنة النبوية الكريمة من ذكر كرامات الأولياء مايغني عن التشبث بأخبار واهية أُضاف إليها القصاصون من تهاويلهم وخرافاتهم ما يخرجها عن حد المعقول ، والله الموفق ،

الحواشي : **حمد الجاسر**

١ ـ دارين الواردة في كلام الأستاذ الطنطاوي هي جانب كبير من جزيرة كانت تعرف بهذا الاسم ـ ثم غلب عليها اسم تاروت وانحصر اسم دارين في الجانب الغربي حيث يقع على ساحل بحر عميق ترفأ إليه السفن .

٢ ـ ورد في حاشية الأستاذ الطنطاوي أن العلاء توفى ببلدة لياس ، والواقع أن صواب الاسم (تياس) بالتاء المثناة وهو رَمْلٌ يقع فيما بين منطقة الخفقي ومنطقة الوفراء في حدود الكويت وليس بلدة ، وقد حددت الموقع في قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

٣ ـ «أبو بكر الصديق» .

مكَّةَ ، عِنْدَهُ مَدَافِنُ أَهْلِهَا ، وَقَالَ السُّكَّرِيُّ : ٱلْحَجُونُ مَكَانٌ مِنَ ٱلْبَيْتِ عَلَى مِيْلٍ ونِصْفٍ ، عَلَيْهِ سَقِيفَةُ آلِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِالله ٱلْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ عَامِلاً عَلَى مَكَّةَ ، وَفِي شِعْرِ أَبِيْ ذُؤَيْبٍ :

بِـآيَـةِ مَـاوَقَـفَـتْ وَالـرِّكَـا بُ بَيْنَ ٱلْحَجُونِ وَبَيْنَ السَّرَرْ(٢)

وَأَمَّا الثَّانِي : آخِرُهُ رَاءٌ ــ: مَوْضِعٌ بِٱلْيَمَنِ يُنْسَبُ إِلَى ٱلْقَبِيلَةِ ، ويُنْسَبُ إِلَى الْمَوْضِعِ بَعْضُ التَّابِعِيْنَ .

وأَيْضاً بَلَدٌ مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ ، لِبَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ(٣) .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بَابُ الْحَجُوْنِ ، وحَجُورٍ ، وحُجُورٍ) .

(٢) قال نَصْرٌ: ــ بِفَتْحِ ٱلْحَاءِ وآخِرُهُ نُونٌ ــ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ ، فِي فِنَائِهِ مَدَافِنُ أَهْلِهَا ، وقَالَ محمد بن عَمْرِو بْنِ أبي عَمْرٍو: الحَجُونُ جَبَلٌ آخَرُ غَيْرَ هذَا . انتهى . وقَالَ ياقوتُ في «مُعجم البُلْدَانِ»: ٱلْحَجْنُ: ٱلاعْوِجَاجُ ومِنْهُ غَزْوَةُ حَجُونٌ ، التي يُظْهِرُ ٱلْغَازِي الغَزْوَ إِلَى مَوْضِعٍ ثُمَّ يُخَالِفُ إِلَى غَيْرِهِ ، وقيلَ: هِيَ البَعِيْدَةُ والحَجُونُ جَبَلٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، عِنْدَهُ مَدَافِنُ أَهْلِهَا ، وقالَ السُّكَّرِيُّ: مَكَانٌ مِنَ البَيْتِ عَلَى مِيْلٍ ونِصْفٍ ، وقَالَ السُّهَيْلِيُّ: عَلَى فَرْسَخٍ وثُلُثٍ ، عَلَيْهِ سَقِيفَةُ آلِ زِيَاد بن عُبَيد الله الْحَارِثِيِّ ، وكانَ عامِلاً عَلَى مَكَّةَ فِي أَيَّام السَّفَّاحِ ، وبَعْضِ أَيَّامِ الْمَنْصُورِ . وقالَ الأَصْمَعِيُّ: الحَجُونُ الجَبَلُ الْمُشْرِفُ ، الَّذِي بِحِذَاءِ مَسْجِدِ البَيْعَةِ ، عَلَى شِعْبِ ٱلْجَزَّارِيْنَ ــ ثُمَّ أَوْرَد ياقوتُ أَبياتاً مِنْ قَصِيْدَةِ مُضَاضِ بْنِ عَمْرٍو الجُرْهُمِيِّ يَتَشَوَّقُ إِلَى مكَّة : ــ

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ٱلْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنِيْسٌ ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

وأَوْرَدَ البكريُّ ــ في «مُعْجَمِ مااسْتَعْجَمَ» ــ قَوْلاً لِلزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ: ٱلْحَجُونُ مَقْبَرَةُ أَهْلِ مكَّةَ ، حِذَاءَ دَارِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، وأَنْشَدَ لِلْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ :

لَنِسَاءُ بَيْنَ ٱلْحَجُونِ إِلَى الْخَنْـ مَةِ، أَشْهَى مِنْ نِسْوَةٍ بِدِمَشْقِ

وأَوْرَدَ أَقْوَالاً أُخْرَى لِغَيْرِ الزُّبَيْرِ .

وقد اخْتَلَفَ ٱلْعُلَمَاءُ فِي تَحْدِيْدِ مَوْقِعِ الْحَجُوْنِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهُ فِي أَعْلَى مَكَّةَ بِقُرْبِ الْمَقْبَرَةِ ، فَٱلْمُتَأَخِّرُونَ وبَعْضُ الْمُتَقَدِّمِيْنَ مِنْهُمْ يَرَوْنَهُ الجَبَلَ الَّذِي تَقَعُ الْمَقْبَرَةُ بِسَفْحِهِ مِمَّا يَلِي الأَبْطَحَ ، ومَسْجِدِ الجِنِّ ــ مَسْجِدِ بَيْعَتِهِمْ ــ وفِيهِ شُقَّتْ ثَنِيَّةُ كَدَاءٍ (ثَنِيَّةُ الْحَجُوْنِ) وهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِيْنَ لكن وردَ في «أَخْبَارِ مكَّة» ج٢ ص١٦٠ مايُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ الجَبَلُ الْمُقَابِلُ لِهَذَا فِي الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ المِعْلاَة ، يَدَعُهُ الْمُتَّجِهُ إِلى مِنى عَلَى يَمِينِهِ: قال أَبُو محمد الخُزَاعِيُّ: الْحَجُوْنُ الجَبَلُ الْمُشْرِفُ على مَسْجِدِ الحَرَسِ بِأَعْلَى مكَّة ، على يَمِينِكَ وأَنْتَ مُصْعِدٌ ، وهُوَ أيضاً مُشْرِفٌ على شِعْبِ الجزّارين . انتهى ولهذا قال الفَاسِيُّ في «شفاء الغرام» ١/٢٩٤ : الحَجُونُ المذكورُ في حَدِّ الْمُحَصَّبِ جَبَلٌ بالمِعْلاَةِ ــ مقْبَرَةِ أَهْلِ مكَّة ــ على يَسَارِ الدَّاخِلِ إِلى مكَّةَ وَيَمِيْنِ الخَارِجِ مِنْهَا إِلى مِنَى ـ وأَطَالَ الكلام في تأييْدِ هَذا مُسْتَدِلاً بِكَلام الخزاعي والنَّووي في «شرح مسلم» =

٢٤٧ ــ بابُ حَجْرٍ ، وحِجْرٍ ، وحُجْرٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ: بِفَتْحِ ٱلْحَاءِ وَسُكُونِ ٱلْجِيْمِ : ــ بَلَدٌ مَعْرُوفٌ بِٱلْيَمَامَةِ ، ولَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي أَيَّامِ ٱلْعَرَبِ وأَشْعَارِهِمْ(٢) .

= والفاكهي ، فهو على مايُفْهَمُ من كلامِهِ الجَبَلُ المُقابلُ للمِقْبَرةِ يَفْصِلُ بينَهُما وادي المُحَصَّب (الأبطح) ويُفْهَم من كلام الأزرقيّ أن أهل مكة ــ قبل الإسلام ــ كانوا يَقْبُرُونَ مَوْتَاهُمْ في سَفْحِ الجَبَلَيْنِ ، وقد أصْبَحَا في داخل مكّة ، والمسافة بينهما وبينَ المسجد الحرام قريبٌ مما ذكر السكّريُّ ، أما ماذكر السُّهَيليُّ في «الروض الأُنُف» فكما جاء في «شفاء الغرام» ١٩٦/١ : مُخَالِفٌ لِلْمَحْسُوسِ والمَعْقُول انتهى ــ أي فرسخ وثلث = ٤ أميال ، ولعله أراد (السَّرَر) الوارِدَ في شِعْرِ أبي ذُؤيْب مَقْرُوناً بذكرِ الحَجُوْنِ . فقد وَرَدَ في «شرح أشعار الهُذَلِيِّيْنَ» : ١٣ ــ: السَّرَرُ على أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ من مكّة . الحَجُوْنُ ثنيَّةٌ صغيرةٌ ، ويُقَالُ: مكانٌ مِنَ البَيْتِ على مِيْلٍ ونصف ، عَلَيْهِ سَقِيفَةُ آل زِيَاد بن عبدالله الحارثي ، وكان عاملاً على مكّة ــ انتهى والكلامُ للسُّكّري ، والسَّرَرُ بَيْنَ وَادي مُحَسِّر ومِنَى ، وزِيَادُ مِنْ بَنِي ٱلْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ مِنْ مَذْحِجٍ ، وهو خَالُ السَّفَّاح ، وذكر ابنُ جرير وغيرُهُ ولايتَهُ على مكة . وَٱلْجَارُّ والمَجْرورُ فِي ٱلْبَيْتِ (بِآيَةِ) مُتَعَلِّقٌ بِبَيِّتٍ قَبْلَهُ يَطْلُبُ فِيْهِ حَمْلَ رِسَالَةٍ إلى صاحِبَتِهِ أي بِلِّغْهَا عَنِّي بِعَلَامَةِ وُقُوفِها ــ البيت ــ

(٣) وفي المخطوطة الثانية : (تُنْسَبُ إِلَيْهِ ٱلْقَبِيْلَةُ) عِنْدَ نَصْرٍ ــ حَجُورٌ ــ: مَاآخِرُهُ رَاءٌ ــ بَلَدٌ لِبَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاة بْنِ تَمِيْم ، مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ ، وأَيْضاً: صُقْعٌ يَمَانِيٌّ تُنْسَبُ إِلَيْهِ قَبِيْلَةٌ مِنَ ٱلْيَمَنِ . انتهى . وحَجُورُ مِنْ فُرُوعِ حاشِدٍ ، من قبيلة هَمْدَانَ ، فَصَّلَ الهَمْدَانِيُّ فِي الجُزْءِ ٱلعاشِرِ مِنَ «الإكْلِيلِ» نَسَبَهُمْ ، وعدَّدَ أَفْخَاذَهُمْ ، وأَطَالَ فِي «صفة جزيرة العرب» الكلامَ فِي ذِكْرِ بلاد قَوْمِهِمْ هَمْدَانَ ، فحدَّدَ بِلَادَ حاشِدٍ ومنهم حَجُور ٱلَّذِيْنَ لايزالُ لهم بقيَّةٌ في بلادِهِم القَدِيْمَة في اليمن .

ولمعرفة بعْض منْ يُنْسَبُ إِلَى حَجُورٍ يَحْسُنُ الرُّجُوع إلى كتاب «اللُّبَاب» لابْنِ الأَثِيْرِ

وقال ياقُوتُ في «المعجم»: حَجُورُ ــ بالفَتْحِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعُولاً بِمَعْنَى فاعِلٍ مِنَ ٱلْحَجْرِ أي ٱلْمَنْع ، مثل شَكُورٍ بِمَعنَى شَاكِرٍ ، وناقَةٌ حَلُوبٌ بمعنى كَثِيرةِ ٱلْحَلْبِ: حَجُورُ موضِعٌ في دِيَارِ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاة بْنِ تَمِيْم ، قَالَ الفَرَزْدَقُ :

لَوْكُنْتَ تَدْرِيْ مابِرَمْلِ مُقَيَّدٍ ... بِقُرَى عُمَانَ إِلَى ذَوَاتِ حَجُورِ

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وزَعَمَ أَنَّهُ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ حَجْر فَجَمَعَهُ بِمَا حَوْلَهُ ــ ثم ذكَرَ حَجُورَ القَبِيلَة الحاشديَّةِ وبَعْضَ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى حَجُور . أَمَّا حَجُورُ ٱلَّذِي فِي بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ فَيَظْهَرُ أَنَّهُ فِي جِهَاتِ رِمَالِ يَبْرِيْنَ فيما بَيْنَها وبَيْنَ عُمَانَ فيمَا يُعْرَفُ الآن باسْم (الرُّبْعِ ٱلخَالِي) فَتِلْكَ الجِهَاتُ مِنْ بِلَادِهِمْ قديماً ، ورَمْلُ مُقَيَّدٍ يَبْرِيْنَ عَلَى مَا ذكَرَ نَصْرٌ .

(١) في كتاب نَصْرٍ: (بَابُ حَجْرٍ ، وحِجْرٍ ، وحُجْرٍ) .

(٢) قال نَصْرٌ ــ بَعْدَ ضَبْطِهِ ــ: بَلَدُ اليَمَامَةِ ــ ولَمْ يَزِدْ .
وقد أطال ياقُوتُ الكَلَامَ عَنْ حَجْرٍ ، قَاعِدَةِ ٱلْيَمَامَةِ ٱلَّتِي قَامَتْ مَدِينَةُ الرِّيَاضِ عَلَى أَنْقَاضِهَا ، وقَدْ فَصَّلْتُ عَنْهَا الكَلَامَ في كتاب «مدينة الرياض عَبْرَ أَطْوارِ التَّارِيخ» .

وحَجْرُ الرَّاشِدَةِ: مَوْضِعٌ في دِيَارِ بَنِي عُقَيْلٍ ، وهُوَ مَكَانٌ ظَلِيْلٌ أَسْفَلُهُ كَالعَمُودِ ، وأَعْلاهُ مُنْتَشِرٌ ، قَالَهُ أَبُوعُبَيْدَة[٣] .

وَأَمَّا الثَّانِي : بِكَسْرِ ٱلحَاءِ : ــ دِيَارُ ثَمُودَ ، جَاءَ ذِكْرُهَا في ٱلكِتَابِ الكَرِيْمِ ، وفي غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الحَدِيْثِ[٤] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : بِضَمِّ ٱلحَاءِ : أَبْرَقَا حُجْرٍ : جَبَلاَنِ بَيْنَ جَدِيْلَةَ وفَلْجَةَ ، عَلَى طَرِيْقِ حَاجِّ البَصْرَةِ ، نُسِبَا إِلَى حُجْرٍ أَبِي امْرِئِ ٱلقَيْسِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُهُمَا ، وهُنَاكَ قَتَلَتْهُ بَنُو أَسَدٍ[٥] .

---

(٣) هُوَ نَصُّ كلام نَصْرٍ إلاَّ أنَّ كَلِمة (مكان) عنده (قَرْن) ولم يَرِدْ ذِكْرُ أَبِي عُبَيْدَةَ عِنْدَهُ . وعِنْدَ يَاقُوت نَصُّ كَلاَم ٱلحَازِمِيِّ بِدُونِ نِسْبَةٍ إلاَّ أَنَّ كَلِمَةَ (أبي عُبَيْدَة) عِنْدَهُ (أَبُو عُبَيْدٍ) وبِلادُ بَنِي عُقَيْلٍ كانت في جَنُوبيّ نَجْدٍ ، جَنُوبَ وَادي الدَّوَاسِرِ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ باسْمِ (عَقِيق بني عُقَيْل) إلى فُروع الأَوْدِيَةِ المُنْحَدِرَةِ مِنْ سَرَاةِ جَنْبٍ (عَبِيدَةَ الآنَ) . وذكر أحدُ البَاحِثِينَ أَنَّ حَجَر الراشِدَة لَايَزَالُ مَعْرُوفاً بقُرْبِ مَجْرَى وَادِي الرَّاشِدَةِ على نحو ٥٨ كِيلاً جَنُوبَ بَلْدَةِ رَنْيَةَ .

(٤) لايَزَالُ الحِجْرُ مَعْرُوفاً وقَاعِدَةُ تِلْكَ البِلاَدِ مَدِيْنَةُ (ٱلعُلاَ) وعِنْدَ نَصْرٍ: وأيضاً بَيْنَ وَادي القُرَى والشَّامِ دِيَارُ ثَمُودَ ، في ٱلقُرْآن .

(٥) لازِيَادة مِنْ حَيْثُ المَعْنَى عَلَى مافي كتابِ نَصْرٍ . أما ياقوت فذكر هذا الإسم في موضعين في باب الحاء أورد نَصّ كلام الحازمي غير منسوب إليه ، والثاني في حرف الألف إذْ قال : الأَبْرَقَانِ تثنية الأبرق ، وإذا جاؤوا بالأَبْرَقَيْنِ في شعرهم مُثَنًّى فأكثر مايريدون به أَبْرَقَيْ حَجْرٍ اليمامةِ ، وهو مَنْزِلٌ على طريقِ مكة ، من البصرة بعد رُمَيْلَةِ اللِّوَاءِ للقاصد إلى مكة ، ومنها إلى فَلْجَةَ ، ثم أوردَ شعراً وقولاً للزمخشري هو : الأَبْرقَانِ ماءُ لبني جعفر . وما أرى ياقوت أراد إلا موضعاً واحداً وإن أَخْطأَ بنسبته إلى حَجْرِ اليمامة ولَعَلَّ أَوْضَحَ تحديدٍ لموقعه ماجاء في كتاب « المناسك » ص ٥٩٧ وملخصه : بين ضرية وجديلة اثنان وثلاثون ميلاً ، وأَبْرَقَا حجر من جديلة على أربعة عشر فرسخاً ، وهما جبلانِ يكتنفان الطريقَ ، كان نزل عليهما حُجْرٌ أَبُو امرئ القيس الكِنْدِيِّ الشاعر ، وكان ملكاً فقتله بنو أَسَدٍ بذالك الموضع ، وإِذَنْ فأَبْرَقَا حُجْرٍ يقعان في الجنوب الغربي من بلدة ضَرِيَّةَ لِلْمُتَّجِهِ إلى مكة وهو من ضَرِيَّةَ المعروفة على مسافة تقدر بـ ٣٢ + ٤٢ (التي هي ١٤ فرسخاً) = ٧٤ ميلاً أي نحو ١٥٠ كيلاً على وجه التقريب . وجَديلة وفلجة مجهولتان ولكن النصوص تدلُّ على ان فلجة هي مايعرف الآن باسم الخِضَارة المنهل المعروف في عالية نجد ، وقد ذكر صاحب « المناسك » ــ ٦١٣ ــ أنَّ الأبرقين بين بلاد بني كــلاب وسُلَم وفزارة وعامر بن ربيعة لا تسكنها القبائل ، وكل مشرد يلج إليها .

وَمِمَّا زَاد نَصْرٌ :

١ ــ حَجْر: قَالَ : وَوَادٍ أَيْضاً بَيْنَ ٱلْيَمَامَةِ وبِلاَدِ عُذْرَةَ وغَطَفَانَ . وعِنْدَ يَاقوت: وَوَادٍ بَيْنَ بلاد عُذْرة وغَطَفان ، وأرَى هذه العِبَارة أَكْثَرَ اسْتِقَامَة ، إِذْ بَيْنَ اليمامَة وبلاد عُذْرَة بلادُ نَجْدٍ الطَّويلةُ ٱلعَرِيْضَةُ ، وكأَنَّ كلمة (اليَمامة) في مخطوطة كتاب نَصْرٍ فوقَهَا خَـطٌّ قُصِدَ منه حَذْفُهَا لِتُصْبِحَ الجُمْلَةُ: وادٍ في بِلاَدِ عُذْرَةَ وغطفانَ فوضِعَتْ (في) ومُدَّتِ الياءُ إلى ٱلخَلْفِ فَوْقَ كلمة اليَمامة . وهذا الوادِي لَايزالُ معروفاً في =

٢٤٨ ــ بابُ حَدِيْثَةَ ، وَحَدِيْقَةَ ، وحَذِيْفَةَ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : بِفَتْحِ الْحَاءِ وكَسْرِ الدَّالِ وبَعْدَ الْيَاءِ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ ــ: حَدِيْثَةُ النُّورَةِ عَلَى الْفُرَاتِ ، نَاحِيَةُ أَنْبَار يُنْسَبُ إِلَيْهَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ الحَدِيْثِيُّ ، وغَيْرُهُ(٢) .

وَأَمَّا الثَّانِي : بَعْدَ اليَاءِ قَافٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ــ: مَوْضِعٌ بِالْيَمَامَةِ قُتِلَ فِيْهِ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ(٣) .

= الشَّمَالِ الغَرْبِي مِنْ حَرَّةِ خَيْبَرَ ، حَدَّدتُ مَوْقِعَهُ في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

٢ ــ حَجْر: قال: وجَبَلٌ أيضاً في بلادِ غَطَفانَ . وكَذَا ذَكَرَ ياقُوتُ ، ومارَاهُ إلَّا الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فالاسْمُ يُطْلَقُ عَلَى وَادٍ وعَلَى سِلْسِلَةِ جِبَالٍ وَاقِعَةٍ في بِلَادِ غَطَفَانَ مما يلي بلادَ عُذْرَة .

٣ ــ الحِجْرُ: قال: وَمَا بِكَسْرِ الْحَاءِ ــ: المَكَانُ المُحَوَّزُ عِنْدَ الكَعْبَةِ ــ يَقْصُدُ حِجْرَ اسْمَاعِيلَ الَّذِي يَصُبُّ فيه سَيْلُ الكَعْبَةِ ، وكَانَ في الأصل منها .

٤ ــ حَجْرُ وحِجْر ــ وُضِعَ فوق الحَاءِ ضَمَّةٌ وتحتها كَسْرَة وكتابَة (مَعاً) فوقَهَا إشارة إلى فَتْحِ الحَاءِ وكَسْرِها حِجْرُ بَنِي سُلَيْم قَرْيَة لَهُمْ . . وهذه القَرْيَةُ تَقَعُ شمالَ المَعْدِنِ (المَهْدِ) في الطَّريق إلَى المَدِيْنَةِ ، لها ذِكْرٌ في الشعر القديم ، ذكَرَهَا عرَّامٌ وغَيْرُهُ .

٥ ــ حِجْرُ ــ قال: وقَرْيَةٌ مِنْ دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ بِالْقُرْبِ مِنْ قَلْهَى وذِيْ رَوْلاَنَ ، وقِيلَ بالفَتْح ــ كذا قَالَ ومارأها إلَّا الَّتي تقدم ذِكْرُهَا .

٦ ــ الحَجَرُ: قالَ: ومَا بفتْحَتَيْنِ ــ: الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنْ أَرْكَانِ الكَعْبَةِ .

٧ ــ ذُو حَجَرٍ وقِيْلَ: بِضَمِّ الحاءِ ــ: مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ ــ كَذَا قَالَ نَصْرٌ ولَمْ يُحَدِّدْ مَوْضِعَهُ .

٨ ــ حَجْرَةُ: قال نَصْرٌ: وحَجْرَةُ مِنْ بِلَادِ اليَمَنِ . وكذا ورد في «معجم البلدان» وهذه هي المعروفَةُ بِحَجْرَةِ دَوْسٍ ، والحَجْرَة ــ مُعَرَّفَةً ــ وهي بَلْدَةٌ معروفَةٌ في تِهَامَةَ ، انْظُرْ عَنْهَا كِتَابَ « في سَرَاةِ غامِدٍ وزَهْرَانَ » .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بابُ الحَدِيقَةِ ، والحُدَيْقَةِ ، والْحَذِيْقَةِ) .

(٢) سَمَّاهَا ياقوتُ في «المعجم»: حَدِيْثَةُ الفُرَاتِ ، وقَالَ: وتُعْرَفُ بِحَدِيْثَةِ (النُّوْرَة) على فراسِخَ من الأَنْبَار ، وأَطَالَ الحَدِيْثَ عَنْهَا ــ وذَكَرَ غَيْرَهَا وقَالَ: الحَدِيثة في عِدَّةِ مَوَاضِعَ يُنْسَبُ إلى كُلِّ واحِدٍ مِنْهَا حَدِيثيٌّ وحدْثانِي . وتَحَدَّثَ عَنْ سُوَيْدِ بن سَعِيد فَذَكَرَ أَنَّه يَرْوِي عن مالك بْن أَنَس وسُفْيان بْن عُيَيْنَة وغيرهم ، وذكر مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ مُسْلِمٌ في «صحيحه» وغيره ، وبسط ترجمته نقلاً عن الخطيب صاحِب «تاريخ بَغْدَاد» .

(٣) هُوَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ . وقَالَ ياقُوتُ: الحَدِيْقَةُ بُسْتَانٌ كَانَ بِقَنَا (بِفَنَاءِ) حَجْرٍ ، مِنْ أَرْضِ اليَمَامَةِ ، لِمُسَيْلِمَةَ الكَذَّاب كانُوا يُسَمُّونَهُ حَدِيْقَة الرحْمن ، وعِنْده قُتِلَ مُسَيْلِمَةُ فَسَمَّوهُ حَدِيْقَة المَوْتِ . انتهى . وذَكَر=

وَأَمَّا الثَّالِثُ : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ وبَعْدَ اليَاءِ فَاءٌ ــ: مِيَاهٌ لِبَنِي عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ مِلْحَةٌ فِي وَسَطِ حَمْضٍ ، فَإِذَا شَرِبَ المَالُ مِنْهَا سَلَحَ عَنْهَا(٤).

= البلاذريُّ في «فتوح البُلْدَانِ» أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ أَبِي حُمَيْضَةَ الأَضاخِي ــ وَالِي اليَمَامة في عهد المأمون بنى مكَانَ الحَدِيْقَة مَسْجِداً (جامعاً) . وقد جُهِلَ الآن مَوْقِعُهَا ، ولَكِنَّها بِقُرْبِ قَرْيَةِ الجُبَيْلَةِ إِذْ هُنَاكَ حَدَثَتْ وَقْعَةُ عَقْرَبَاءَ التي قُتِلَ فِيهَا مُسَيْلِمَةُ ، وعَقْرَباءُ شَرْقَ الجُبَيْلَةِ غَيْرَ بَعِيْدَةٍ عَنْهَا .

وذكر ياقوت : الحديقَة قرية مِنْ أَعْرَاضِ المدِيْنَة في طريْقِ مكَّة ، كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ بَيْنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ قَبْلَ الإِسْلَامِ ، وإِيَّاهَا أَرَادَ قَيْسُ بنُ الخَطِيْمِ بِقَوْلِهِ:

أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ الحَدِيْقَةِ حَاسِراً كَأَنَّ يَدِيْ بالسَّيْفِ مِخْراقُ لاَعِبِ

ولَمْ يَذْكر السُّمْهُودِيُّ هذه القَرْيَة في مَوْضِعها من كتاب «وفاء الوفاء» مع تَقَصِّيْهِ في ذِكْرِ المَوَاضِعِ المَدَنِيَّةِ .

(٤) في مخطوطة الأصل (ماء) وفوقها في الهامش (مياه) ولَعَلَّ الصَّوَابَ (مَاءَةٌ) كَمَا في كِتَابِ نَصْرٍ: وأَمَّا بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ وَكَسْرِ الذَّالِ المَنْقُوطِ ــ: ماءٌ لِكَعْبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ ، وثَمَّ لَحِيْظُ وهُوَ ثُمَيْدُ إِزَاءَهَا ، وهي مَاءَةٌ مِلْحَةٌ ، في وَسَطِ حَمْضٍ ، فإِذَا شَرِبَ المَالُ مِنْ مائِهَا سَلَحَ عَنْهَا . وفي رسم (خَذِيْفَة) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وكَسْرِ ثَانِيهِ ، وبَعْدَ اليَاءِ المُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتِ فَاءٌ ــ أَوْرَدَ ياقوتُ الاسْمَ في «المعجم» قائلاً: وَوَجدتُها في كتاب نَصْرٍ بِالقَافِ ــ ثُمَّ أَوْرَدَ كَلَامَهُ وأَضافَ: قَالَهُ الحازِمِيُّ ونَصْرٌ ــ ولَمْ يُوْرِدِ الاسْمَ بالقَافِ ، ولَيْس في كَلَامِ نَصْرٍ نَصٌّ عَلَى أَنَّ الاسم بالقَافِ ولكنَّهُ وَرَدَ في المخطوطة . ولَمْ أَهْتَدِ إِلى مَصْدَرِ نَصْرٍ ، ولكنْ وَرَدَ في كِتَابِ «بلادِ العَرَب» ــ ١٣٨ ــ في ذِكْرِ مِيَاهِ بنِي أَبِي بَكْرِ بن كِلَاب: ثُمَّ مَاءَةٌ مِمَّا يَلِي اليَنُوفَةَ يُقَالُ لَهُ الحَوْأَبُ لِبَنِي قُرَيْطٍ ، والخَذِيْقَةُ ــ سُمِّيَتِ الخَذِيْقَة لأَنَّها مِلْحَةٌ في وَسَطِ حَمْضٍ ، فَإِذَا شَرِبَ مِنْهَا المَالُ سَلَحَ مِنْهَا ، وهي لِخُلَيْطَيِ بني أَبِي بكْرٍ ، ثُمَّ البِجَادَة إِلى آخر ماذكر . وإِذَنْ فالاسْمُ بالقَافِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ مَدْلُولِ (خَذَقَ) في كُتُبِ اللُّغَةِ ، ومَوْقِعُهَا في عالِيَة نَجْدٍ ، دُوْنَ رَمْلِ بَنِي عَبْدالله بن كِلَابٍ المَعْرُوفِ الآن باسم (نُفُود سُبَيْع) .

ومِمَّا زاد نَصْرٌ :

الْحُدَيْقَةُ : قَائِلاً : بِضَمِّ الخَاءِ ــ: بِقُلَّةِ الحَزْنِ ، في دِيَارِ بني يَرْبُوع ، لِبَنِي جُبَيْرِيِّ بْنِ رِيَاحٍ مِنْهُمْ ، وهُمَا حُدَيقتان بِذَالك المَكَان . انتهى . وأَوْرَدَ مِثْلَ هذا يَاقُوتُ في «المعجم» غير مَنْسُوب وأَوْرَدَ قَبْلَهُ : الْحُدَيْقَا ــ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِير جَمع حَدِيقَةٍ مَقْصُورٍ وهي البُسْتَان : ــ وَهُوَ مَوْضِعٌ في خَيْشُوم حَزْن الحُصَا ، ذُكِرَ في أَيَّام الغَطَالَى ، وَهُوَ والَّذي بَعْدَهُ واحدٌ ، جَمَعُوهُ بِمَا حَوْلَهُ عَلَى عَادَتِهم في أَمْثَالِ ذالك . انتهى . وَقَدْ أَوْضَحتُ في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» أَنَّ الحُدَيقَتَيْنِ ــ والحُدَيْقَا ــ آبَارٌ في وادٍ يُعرف باسْمِ وَادِي الحَدَقَةِ ، بقرب التَّيْمِيَّة (تِيَاس قديماً) شرق الدَّهْنَاء ، وهُنَاكَ آبَارٌ تُدْعَى آبَارَ الحَدَقَةِ ، وهي تابعَة لِمَرْكزِ لِيْنَة (يقع وادي الحَدَقَة بَيْنَ خَطَّي الطُّول ٣٥/٤٤° و٤٠/٤٤° وخَطَّي العَرْض ٣٥/٢٨° و٤٥/٢٨° تقريباً) .

مع القراء في اسئلتهم وتعليقاتهم

بنو زيد أسرهم ومنازلهم

[تتمة لما صدر في مجلة « العرب » عدد محرم وصفر ١٤٠٨هـ]

تلبية لما أبداه بعض الأخوة من ملاحظات حول مانشر أوضح هنا بعض الحقائق :

١) إن الهدف من تسجيل ماتقدم ماهو سوى تعريف أبناء تلك القبيلة ــ التي كثرت بطونُهَا وأفخادها وأسرها ــ بعضهم ببعض قدر المستطاع بهدف صلة الرحم والتعاون على البر والتقوى .

ثم إن في تدوين تلك المعلومات تقييداً لما لدى هذا الجيل من وثائق وروايات وأخبار تستنير بها الأجيال القادمة .

٢) ليس المقصود من هذا العمل سرد أجداد كل أسرة ، وإنما المقصود ذكر الأسرة مع بيان البطن الذي تنتسب إليه بدون الدخول في تفصيلات دقيقة قد تكون عرضة للخطإ .

وما أُثير من ملاحظات كالتي كتبها الأخ محمد بن عبدالعزيز الأصيقع من أن آباء بعض البطون دخل فيه آباء بطن آخر أو لم يدخل فهو خلاف لا طائل تحته مادام أن الكل متفقون على أن كُلاً ينتسب إلى الجد الأعلى فإن لم يكن أباً فهو جَـدٌّ ، والجد أب .

٣) أشكر الإخوة الذين شاركوا في توضيح ماخفي أو إكمال مانقص . إذ عمل الانسان معرض للنقص والسهو . وقد حصل بعض التّصرف عند طباعة مانشر في العدد المذكور أدى إلى حصول بعض الاختلاف اليسير وهاهو توضيحه :

١) الحزيم : ورد بالخاء المعجمة بينما الصحيح بالحاء المهملة .

٢) الربيعة : اسم لثلاث أسر ، إحداهما في القويعية وفي نخيلان وهم آل سلمان من عطية .

الثانية: في المزاحمية والدمام من آل سلمان أيضاً .

والثالثة: في شقراء من آل سليمان وليست من آل سلمان . وعند الطبع في المجلة أُدْمِجَتْ الأُسر الثلاث تحت اسم واحد ، ونسبت إلى سلمان مع أن كل أسرة مستقلة .

٣) الرقيب: ورد أن هذه الأسرة من آل علي . والصواب أنها من عطية من بني زيد .

٤) السحيمي: ورد هذا الاسم باعتباره من آل بلدي ، ولم يعرف في آل بلدي أسرة بهذا الاسم .

٥) الشعيلان: في بلد الشعراء ــ بالعين بعدها راء ــ أسرة معروفة ومشهورة . وقد حدث خطأ مطبعي فورد أنهم من آل صالح . والصواب أنهم من آل عثمان من آل علي من عطية من بني زيد .

ــ تعديلات وإضافات في الأماكن والبلدان :

١) الضويان في الشعراء ــ بالعين بعد الراء ــ وهم معروفون ومشهور أنهم منها بل هم أمراؤها . وسهواً كتب القويعية فقط .

٢) العويس: في الدوادمي ونخيلان وداحس .

٣) القرانا في شقراء .

٤) الماطر في شقراء كتب سهواً عطية والصواب (عطوي) وهذا يعرف مما سبق لأن بلدي ورد عدة مرات .

٥) المجيول في شقراء .

٦) الخضير: في القويعية ورويضة العرض .

ومن الأسر التي لم يرد ذكرها فيما سبق :

أ) الحُصُنُ جمع حصان في الخنقة من آل سليمان من عطية من بني زيد .

ب) الحشّاش: بتشديد الشين التي بعد الحاء في الداودمي من آل سويد من آل فيّاض من عطوي من بني زيد .

حـ) السيف في الدوادمي والشعراء من آل سويد من فياض من عطوي من بني زيد .

د) العبدالعزيز من آل حمد من آل سلمان من عطية من بني زيد .

هـ) العجيّان في رويضة العرض من آل سلمان من عطية من بني زيد .

و) العمانا في رويضة العرض من آل عبدالعزيز من آل حمد من آل سلمان من عطيّة من بني زيد .

ز) آل غرّان: بتشديد الراء ــ في القويعية من آل سليمان من عطية من بني زيد .

حـ) آل مرقب في القويعية من مسلم من عطية من بني زيد .

ط) المسلر في القويعية من آل رشيد من عطية من بني زيد .

تنبيه : بعض الاخوة يستغرب بعض الأسماء ويقول : انه لم يسمع بها . وهذا غير كافٍ في نفيها ولعل هذا بسبب كثرة الأسر ، وتشعبها وتفرقها ، ومثال ذالك المسعد والحريشان والجهيّم .

فالأولى ذكرها عبدالله أبو بكر ــ رحمه الله ــ ومن ابنه عبدالرحمن نقلتها .

والثانية أملاها عليّ بعض الاخوة من أسرة آل مهنا في الداودمي . منهم الشاعر مهنا بن محمد المهنا، وعبدالرحمن بن سعد القويز . وذكروا أنها فرع من آل مهنا .

والثالثة ذكرها الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى كما ذكر المطاوعة من آل سلمان . وقال : منهم سعود بن محمد بن سعود بن حمد بن محمد بن سلمان ــ والله أعلم .

الرياض : أحمد بن محمد بن يحيي

وقدم لنا الأخ علي بن محمد شعيلان الماضي ايضاحاً حول ماجاء في الكلمة التي نشرتها «العرب» للأخ محمد بن عبدالعزيز الاصيقع عن بني زيد وأسرهم ــ س ٢٢ ص ٨٤٦ ــ وهذا نص ماقدمه لنا الأخ علي :

ان الشعيلان وآل عليان وآل صقر وآل زينان وأولاد ماضي بن محمد وسعد بن عبدالله الابراهيم والناصر من آل عثمان من آل ماضي ، من آل علي ، من عطية من بني زيد ، وجميعهم يسكنون الشعراء ماعدا آل محمد من الناصر فانهم في الرياض من عهد قديم .

ولاتوجد اسرة باسم آل المسعد في الشعراء من بني زيد

أخطاء وليست تطبيعاً

من تنبيهات أستاذنا الجليل الدكتور علي جواد الطاهر :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصـــواب
٢٩٠	٩	مضـــان	مظان بالظاء لا بالضاد
٤١٠	١١	المشائخ	المشايخ ياء بدون همزة
٤٣٠	٦	المتـوفي	المتوفى الياء غير منقوطة

وقد أراد أستاذنا أن يخفف وقع ذالك في النفس فأشار إلى أن التطبيع (الخطأ المطبعي) لا يحد ولا يصد ، ولكن الواقع ان ضعف النظر حال دون دقة التصحيح ولاستاذنا الشكر الجزيل .

الضياغم والدنادشة

كتب الأخ الأستاذ مالك بن فيصل الدندشي المدرس في المعهد العلمي في رفحاء إلى مجلة «العرب» كتاباً مطولاً يدور حول إهمال دراسة قبيلة الضياغم من حيث ماضيها وتنقلها في البلاد ومختلف أحوالها ، وعتب على صاحب «كتاب جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» وعلى الدكتور علي شواخ صاحب كتاب «القشعم من كبريات القبائل» بأنهما لم يفصلا في كتابيهما من أخبار الضياغم ومن إيجاد صلة بينهم وبين الدنادشة التي يذكر الأخ مالك بن فيصل أنهم من ضنا عبيد ابن رشيد بن عرار بن شهوان بن منصور بن ضيغم ، وإن اسمهم الجديد الدنادشة لم يُلَقَّبُوا به إلاَّ في عهد زعيمهم إسماعيل بن نعمور .

وطلب أن يفسح فيما كتب المجال لنشره في المجلة .

والواقع أن المجلة لا تتمكن من نشر شيء لاَ يطمئنُّ محررها إلى توثيق مافيه من معلومات بذكر مصادر معتمدة ومعروفة ، ومن الممكن للأستاذ مالك أن يقوم بدراسة مفصلة عن أسرته الدنادشة يشفعها بما يؤيد كل مايذكر من معلومات حولها بأدلة يقتنع بها الباحثون ، ولا أثَر للعواطف فيها . أما عدم توسيع ماورد في الكتابين المشار إليهما عن الضياغم ، فمؤلفاهما ذكرا مايطمئنان إليه ويثقان به وهو مَبْلَغُ علمهما ، وما على العارفين سوى الإيضاح والتفصيل فيما يتعلق بتلك القبيلة .

الضاحي (آل ضاحي) من الأسلم من شمر

أسـرة الضاحي : من الغبن من الأسلم قوم ابن طوالة من شمَّر . منهم صالح ابن ضاحي بن عبدالله بن ضاحي بن محمد بن ضاحي بن محمد من السعود من الغبن من الأسلم .

وقد سكن عنيزة ثم الكويت وأخيراً استقر في الرياض وتوفي فيها رحمه الله . وأولاده : عبدالله وضاحي ومحمد ومسعود جميعهم في الرياض .

وأخوه إبراهيم بن ضاحي بن عبدالله سكن الكويت ومات فيها ــ رحمه الله ــ وله من الأولاد علي ومحمد في الكويت .

وبنو أخيهم في طابة إحدى قرى حائل وهم محمد ومشعان وعيسى وبدر أبناء ضاحي بن محمد بن ضاحي بن محمد بن السعود من الغبن من الأسلم ومازلوا في طابة والبير والجحفة والصفراء وحائل .

وكذلك بنو أخيهم سعود بن عبدالكريم أبناء مغيلث بن جارالله بن مغيلث بن محمد من السعود من الغبن من الأسلم ومازالوا في حائل وطابة والبير والجحفة والصفراء .

الرياض ــ متوسطة أجنادين: خالد بن ضاحي بن صالح الضاحي

أسر متحضرة من مطير لم تذكر في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة»

أبعث بهذه المعلومات عن بعض الأسر المتحضرة في مطير لم تذكرهم في كتابك القيم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة من نجد» ولم يذكرهم الأخ ماجد بن طاهر المطيري فيما كتب بمجلة العرب (س ٢١ ص ٤٢١) تحت عنوان (أسر متحضرة من مطير) ، ولمعرفتي بمطالبتك بتزويدك بأية معلومات أبعث إليك بهذه المعلومات :

١ ــ العوض والمعزي في حنيظل والعويمر بالأسياح .
٢ ــ بنو منديل المريخي من المريخات من واصل من بُرَية من مطير .
٣ ــ آل جويعد من مطير في الأسياح . ذكر الأسر الثلاث منديل الفهيد في كتاب «آدابنا الشعبية» .
٤ ــ آل مطيري في الرياض . على ماذكر الشيخ حمد الحقيل في «كنز الأنساب» .
٥ ــ العلي المعلي من مطير . ذكرهم الشيخ حمد الحقيل في كتابه .

٦ ــ المويس في القصيم من العبيَّات من واصل من برية من مطير.
٧ ــ آل زرعة : من مطير. ذكر هذا إبراهيم الحمد المزروع في جريدة «الجزيرة» بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٤٠٦هـ [العرب: انظر الصواب عن نسب آل زرعة في كتاب «جمهرة أنساب الأسر» ــ ص ٣٤٤ ــ
٨ ــ الفجحان: المذنب من الرخمان من الموهة من عِلْوَى من مطير.
٩ ــ الصعانين: الرياض وبريدة من الموهة من علوى من مطير.
١٠ ــ الفارس: في عنيزة من الدياحين من مطير.
١١ ــ آل السمري في الرسّ من الدياحين من مطير.

عبدالعزيز بن سعد المطيري

المندسة أيضا

وعقب بعض القراء على ماجاء في مجلة «العرب» س ٢٣ ص ٢٨٤ فكان ممن عقب :

١ ــ الأخ حِجَاب بن سعود المحمدي من مدرسة عتبان بن مالك في المدينة المنورة يقول: بأن المندسة الواقعة في الجنوب من وادي بُوَاط عندما يصب في وادي الحمض في محاذاة طريق تبوك انها واقعة في بلاد وِلْد محمد من قبيلة حرب التي تمتد بلادها شمال المدينة وغربها.

٢ ــ الأخ عوض بن عويض بن لويحق المطيري مقرراً :

أ ــ المندسة منهل قامت عليه جرة لِلشُّطِّر كما ورد في مجلة «العرب» وهذه الهجرة تقع شرقَ العُمَقِ ــ بضم العين وفتح الميم ــ جنوب وادي الشُّعْبَة شرق جبال أُبْلَى وغرب جبل فَرْقَيْن.

ب ــ المندسة هجرة كبيرة تقع غرب القصيم للزناغِيب من بني عون من بني عبدالله من مُطَيْر بالقرب من جبل النَّجَج.

هذا بعض ماعلق به القراء، وكما سبقت الإشارة إليه من أن المندسة في الأصل وصف فأطلق على مواضع متعددة.

* « أخبار مكة » للفاكهي :

وأكمل الأستاذُ المحقق الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دُهَيْش تحقيق كتاب « أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه » للإمام محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي من علماء القرن الثالث الهجري .

وقد سبق أَنْ أشارت مجلة « العرب » ــ س ٢٢ ص ٨٤٨ ــ إلى صدور الجزء الرابع من هذا الكتاب وقد تلاه الجزء الخامس يحوي بقية الكتاب مضافاً إليها :

١ ــ نصوص من القسم المفقود من الكتاب . وقد تقدم أنَّ القسم الذي نُشر يحوي النصف الأخِيْرَ من الكتاب ، وأنَّ نصفه الأولَ لايزال مفقوداً ــ انظر « العرب » س ٨ ص ٨٠١ ــ .

وهذه النصوص التي أَلحقها المحقق الفاضل الشيخ عبدالملك اقتبسها من مؤلفات عديدة كـ « فتح الباري » و« الإصابة » وكتاب « شفاء الغرام » للفاسي وهذا الكتاب حَوَى كثيراً من النصوص المفقودة .

٢ ــ مناظر لبعض المواضع المذكورة في كتاب الفاكهي . لم يقف جُهْدُ المحقق على تحقيق النص فحسب ، بل أَضاف إلى ذالك محاولة ربط الحديث بالقديم ، فصور عدداً من المواضع التي ذكرها الفاكهي وأضافها إلى الكتاب بصور موضحة ملونة تقع في ٣٢ صفحة .

٣ ــ خرائط توضيحية لبعض المعالم الأثرية في كتاب الفاكهي في عهده القرن الثالث الهجري هي :

١ ــ التقسيم الجغرافي لمكة المكرمة .

٢ ــ أشهر دُور مكة المكرمة .

٣ ــ الآبار التي كانت في مكة المكرمة .

٤ ــ البِرَك والْحِياض التي كانت في مكة .
٥ ــ حوائط مكة المكرمة (بساتينها) .
٦ ــ شبكة الطرق الرئيسة في مكة وثناياها ومقابرها .
٧ ــ المواضع التاريخية والمساجد .
٨ ــ رسم تخطيطي لشكل وأبعاد المسجد الحرام وأبوابه ومناراته وموقع الكعبة المشرفة في نهاية عهد المهدي العباسي .

وقد وقع هذا الجزء في ٣٠٦ من الصفحات .

أما الجزء السادس فهو مخصص لفهارس الكتاب ، وهي فهارس مفصلة وافية ، ويقع هذا الجزء في ٣٣٦ صفحة .

وطباعة الجزءين جيدة من حيث الورق والحروف ، وقد صَدَرَا سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) وليس في أجزاء الكتاب ما يُشِيرُ إلى مكان الطبع ، أوِ اسْمِ المطبعة .

*** كتاب « الدلائل » :**

وصدر في سلسلة منشورات (معهد المخطوطات العربية) من فروع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الكويت كتاب « الدلائل » للحسن بن البهلول ، من أهل القرن الرابع الهجري ، بتحقيق الأستاذ الدكتور يوسف حَبِّي ، ومراجعة الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة ، والكتاب كما عرفه الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المقدمة ــ ص ٥ ــ : (يضم دلائل العلوم الطبيعية والحيوية والطبية والهندسية والرياضية والفلكية والعلوم الإنسانية بما في ذلك الآداب والتاريخ والجغرافية ومفهومات النظريات الفلسفية وأصول الأفكار الدينية) .

ومع ما حواه هذا الكتاب من معلومات طريفة ومفيدة وخاصة مايتعلق بعلم الفلك إلا أنّ مِيزته البارزة احتواؤهُ على معلومات كانت شائعة عند مختلف الأمم ، ويعتبر الكتاب من أقدم المصادر لتدوين تلك المعلومات المشوبة بالخرافة والطرافة في كثير منها .

ويقع الكتاب في ٥٤٠ صفحة ، تحوي الفهارس منها نحو مئة صفحة ، والطباعة حسنة ، وعناية المحقق بارزة في كل صفحة من صفحات الكتاب ، وقد طبع في الكويت وصدر عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م) .

*** « تاريخ التراث العربي » :** [انظر «العرب» س ٢٣ ص ٥٤٢]

وصدر المجلد الرابع من هذا الكتاب القيم الذي سبق أن صدرت أجزاؤه الأولى منذ بضع سنوات ــ « العرب » س ٢٣ ص٥٤٢ ــ بتعريب لجنة من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهذا المجلد الرابع يحوي من العلوم السيمياء والكيمياء والنبات والفلاحة ، وهو مما قامت جامعة الملك سعود على نشره ، فتولى الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالله حجازي في قسم الكيمياء من تلك الجامعة تعريب المجلد ، وقام الأستاذ مازن يوسف عماري بمراجعته ، وقد صدر عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) في مجلد تبلغ صفحاته ٥٩٤ بفهارسه المفصلة .

ويظهر أنَّ مؤلف الكتاب الدكتور فؤاد سزْكين لم يطلع على الترجمة العربية ، وأن الدكتور عبدالله حجازي المعرب لم يرجع إلى كثير من الكتب التي تعرض هذا القسم للحديث عنها ، وَيَتَّضِحُ هذا فيما ورد من كلام عن كتاب « الفلاحة النبطية » ص ٤٧٨ حيث يرد اسم (قوثامي) : (قوتعامي) و (قثامي) وكذا اسم (ضغريث) فقد ورد : ضغريت بالتاء ــ أما اسم (يبنوشاد) فقد كتب بحروف لاتينية بهذه الصورة (JANBUSCHAD) مع وروده معرباً في أصل الكتاب ، ولو رجع المعرب الكريم إلى (ص ٤) من الكتاب نفسه وهو مما نشره الدكتور سِزْكين بطريقة التصوير لاهتدى إلى صحة تلك الأسماء .

ومع كل هذا فقد بذل الدكتور عبدالله في سبيل تعريب هذا الكتاب جهداً واضحاً مشكورا .

* منهاج السنة النبوية :

قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنشر كتاب « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية » لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ــ ٦٦١/٧٢٨ ــ تحقيق الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم ــ رحمه الله ــ وهو ممن نال درجة (الدكتوراه) في موضوع (موافقة العقل للنقل عند ابن تيمية) وسبق له أن حقق كتاب « درء تعارض العقل والنقل » في أحد عشر جزءا فنال بتحقيق هذا الكتاب (جائزة الملك فيصل العالمية) في الدراسات الإسلامية لعام ١٤٠٥هـ ، وكان كتاب « منهاج السنة » قد طبع بالمطبعة الأميرية في بولاق في مصر قبل ثمانين عاماً ، وقد هيأت الجامعة مجموعة من النسخ الخطية التي رَجَعَ إليها المحقق الفاضل فبرزت هذه الطبعة بصورة من الجودة والإتقان على خير ما يطمح إليه المهتمون بنشر التراث ، وجاء هذا الكتاب في تسعة أجزاء يحوي الجزء التاسع الفهارس العامة للآيات القرآنية ، وللأحاديث والآثار ، وللغة والشعر ، وللاعلام والفرق والطوائف والقبائل ، وللاماكن والبلدان ، ولأسماء الكتب ومراجع التحقيق وأُلحق به فهرس للتصويب وللاستدراكات .

وصدر عن مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) .

وفي مقدمة الجزء الأول تقديم الكتاب بقلم الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير الجامعة ثم مقدمة المحقق وفيها وصف المخطوطات التي اعتمدها في النشر ، ثم مقدمة للمحقق في طبعته الأولى للجزءين من الكتاب تحدث فيها عن مؤلفات ابن تيمية وعن كتابه « منهاج السنة » وتاريخ تأليفه وعن ابن المطهر الحلي صاحب كتاب « منهاج الكرامة » الذي رَدَّ عليه الشيخ ابن تيمية ، ثم مقارنة بين الكتابين ، وبعدها كلمة عن تقي الدين السبكي وكتاب « منهاج السنة » والرد عليه شعراً من قبل تلميذين من تلاميذ ابن تيمية ، ثم موقف ابن تيمية في كتابه « منهاج السنة » من قضية وحدة المسلمين ، فوصف بعض الأصول التي أعتمدها في نشر الكتاب ، وفي آخر كل جزء من الأجزاء بيان مفصل لموضوعاته .